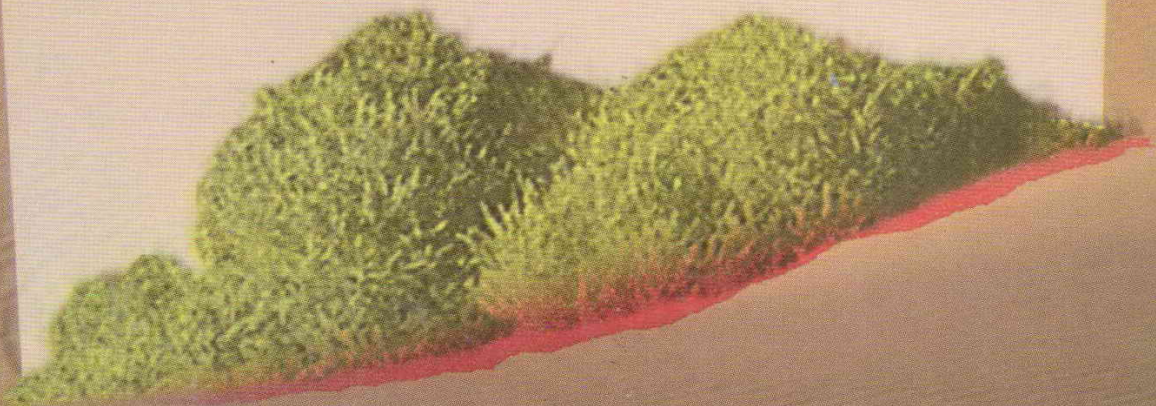


عوامل خلوة

الثورة الحسنة

الخطيب الشيخ
محمد الهنداوي



بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

دار الطالب

بيروت - لبنان

الخطيب الشيخ محمد الهنداوي

عوامل خلود الثورة الحسينية



الإهداء

إلى استاذي ومعلمي ..

إلى أخي الأكبر ..

إلى المرحوم رضا ..

رحمة الله ...

بين يدي القارئ

لقد مرت على ثورة الحسين (ع) قرون عديدة ونحن نشاهد ان هذه الثورة كل يوم تزداد رسوخاً وشمولية في كل مكان حتى اصبحت القضية التي تشغل العالم كله وقد فرضت نفسها بقوة. والمسألة ليست من باب الصدفة بل هي قضية تسير وفق تخطيط دقيق من قبل الله تعالى ومن يمثلون خط التوحيد في الارض، وقد رأيت ان ابحث في العوامل التي خلّدت تلك الثورة بشكل تفصيلي ولا ادعي الكمال في هذا العمل ولكنني استطيع القول انني بحثت المسألة بشكل مفصل وشامل مراعيّاً الاختصار في كل ما بحثت، ولو انني سجلت كل شاردة وورادة لاحتجت الى موسوعة لا تقل عن اربعة مجلدات ولكنني اكتفيت بالاشارة في بعض الاحيان والتفصيل احياناً اخرى، كما انني ذكرت للقارئ الكريم المصادر التي استقيت منها فان كانت له رغبة في التوسع - فالأمر سهل وميسور - فأن بإمكانه الرجوع اليها وادعو اخواني القراء واصحاب الاختصاص الى تزويدي بكل ملاحظة نافعة، ولهم مني فائق الشكر وخالص الدعاء.

دمشق ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

محمد الهنداوي

تقديم بقلم سماحة العلامة الحجة السيد عبد الله الغريفي

حفظه الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الهداة الميامين وبعد :

فالدراسة الماثلة بين أيدينا واحدة من الدراسات الجادة الأصيلة؛ إن في مادتها المنتقاة بأمانة، وإن في موضوعها المتفرد، وإن في لغتها الميسرة الواضحة، وهذه الدراسة محاولة ناجحة، ومعالجة متأنية واعية توفرت على قراءة شاملة لكل العوامل والأسباب التي تفاعلت في تكوين الخلود والبقاء والديمومة للثورة الحسينية، مقتحمة كل مراحل التاريخ لتتحول إلى «حضور دائم» و «شهود مستمر» في حركة الأمة ومسيرة الأجيال...

وقد تميّزت هذه القراءة بالاستيعاب ما أغنى البحث، وأثري الدراسة وعمق الرؤية، خاصة والكاتب فضيلة الشيخ الهنداوي - حفظه الله تعالى - إنسان متمرس في شأن «المسألة الحسينية» حيث «التجربة المنبرية» الطويلة، و«التعاطي الواعي» مع قضية كربلاء بكل ما يفرضه هذا التعاطي من:

- كفاءة علمية ثقافية ...

- ثروة معلوماتية تاريخية ...

- إمكانيات أدبية، وقدرات فنية خطابية ...

إن تناول الباحث لقضية الحسين عليه السلام -قراءةً ودراسةً- مسألة تختزن الكثير من الصعوبة، في ما هو الحدث في خصوصياته المتميزة، والقضية في مضمونها وعمقها، وأصالتها، والثورة في منطلقاتها، وغاياتها ومعطياتها.

ورغم ما توافرت عليه «المسألة الحسينية» من دراسات وكتابات ومعالجات، فلا زالت في ما تملكه من معطيات فكرية روحية سياسية جهادية رسالية- تحتضن الكثير الكثير من الآفاق الكبيرة التي تحرك اهتمامات الباحثين والدارسين وتستثير إبداعات الكتاب والمؤلفين، وتلهم خيالات الأدباء والشعراء والمثقفين... وتملأ روحية المجاهدين والثائرين.. ما يفرض الحاجة لمزيد من المعالجات التي تحاول أن تستنطق المخزونات الفنية لثورة كربلاء، وتتأكد أصالة هذه المعالجات من خلال ما تنفتح على الحدث في كل دلالاته، ومن خلال «المنهج» الذي تمارسه في صوغ المضامين والأفكار، ومن خلال «النتائج» التي تعبّر عن معطيات البحث والدراسة.

وقد تنوّعت المعالجات، حيث تعدّدت «المناهج» المعتمدة في تناول قضية كربلاء ما أنتج لنا حصيلة كبيرة منها :

- الكتابات السردية البحتة ...

- الكتابات النقدية التحقيقية ...

- الدراسات التحليلية...

- الطروحات العاطفية المجردة .../ الفكرية المجردة ..

- الطروحات الفكرية العاطفية ...

- وهكذا تكوّنت هذه المعالجات في كل تنوعاتها وتعدّداتها...

ويمكن ان نصّف الدراسة التي بين ايدينا في سياق الدراسات التحليلية حيث عالج المؤلف - فضيلة الشيخ الهنداوي حفظه الله - المسألة الحسينية في أسباب خلودها وديمومتها معالجة عميقة ناضجة عبّرت عن «معاناة حقيقية» في البحث والدراسة، ومثلّت «جهداً مشكوراً» استطاع ان يكتشف الكثير من المعطيات الواعية، و«إسهاماً جاداً» تمكن من إنتاج «إضافات جديدة» في دراسات الثورة الحسينية، والتي لا تزال في حاجة إلى المزيد من

الإسهامات لاعطاء الثورة الحسينية «وضوحها في وعي الأجيال» و «عمقها في وجدان الأمة» و «زخمها الثوري في حركة المسيرة» ويؤصل عند الجماهير «روح الاستشهاد» ويصوغ فيها «حسن الجهاد» ويرشد لديها «انطلاقة العمل» و «طموح الهدف» ...

وقضية كربلاء ليست حدثاً احتضنه التاريخ تتعاطى معه الأمة في «حالة استرخاء وغيوبة»، وانما هي «الصياغة الأصلية للمضمون الحضاري» الذي حاولت «قوى الردة الجاهلية» ان تصادره لتصنع من الأمة «مضموناً» لا يحمل «الهوية والأصالة»..... وما دامت الأمة تتعرض «للمسح الحضاري» فهي بحاجة إلى «كربلاء الحسين» لتعيد لها «أصالتها وهويتها ومضمونها الحضاري»، من هنا تكون القيمة الكبيرة «لأبحاث النهضة الحسينية» لتشكل رافداً هاماً من «روافد الفكر» في إنجاز «المشروع الإسلامي المعاصر» حيث تزدهم «الصيغ التحريفية» لهذا المشروع

وفي الختام نتمنى لأخينا المهدب - الشيخ الهنداوي - ان يواصل مسيرة العطاء؛ خطيباً واعياً، وكاتباً أصيلاً، وموقفاً جريئاً، وكلمة نظيفة، نسأل الله تعالى له السداد والتوفيق وان يتقبل منه هذه الجهد المبارك وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين ...

عبد الله الفريفي

المقدمة

إن ثورة الإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين (ع)، قد حققت أكبر الإنجازات للإسلام والمسلمين ، بل إن عطاء هذه الثورة العظيمة قد نهل منه الكثير من غير المسلمين ، لذا انبرى المسيحي والزعيم الهندوسي وغيرهما من أبناء الملل الأخرى إلى كشف هذا التفاعل ، عبر قصائد وكلمات مضيئة يقول الأديب المسيحي اللبناني بولس سلامة :

دُمك السمحُ يا حسينُ ضياءٌ في الدياجير يُلهِم الشعراء
أَيُّ فضلٍ لشاعرٍ منك يعـ تام اللئالي يصوغ منها رثاء
شاعرٌ مقعدٌ جريحٌ مهيضٌ غدت كلُ أيامه

لقد كان هذا الشاعر ينظم شعره في غرفة ظلماء ، وكانت دموعه تتساقط على الورق قبل الكلمات وحين سئل عن ذلك قال : « إن ملحمة كربلاء ، ملحمتي الذاتية كفرد إنساني »^(١).

ويقول المسيو مارين الألماني في حديثه عن السياسة الحسينية: «ومظلومية الحسين كشفت جميع أسرار بني أمية ورفعت الستار عن نواياهم السيئة»^(٢). ويواصل المسيو حديثه حول الدور الحضاري لثورة الحسين (ع)، يقول: «ومن يسر غور الترقيات التي حصلت في مدة مائة سنة لاتباع علي في الهند

(١) الحسين في الفكر المسيحي / انطوان بارا .

(٢) ماذا في التأريخ ج ٥ ، ص ١٣٤ ، محمد حسن القبيسي .

الذين اتخذوا إقامة هذه المآتم شعاراً لهم يجزم بأنهم متبعون اعظم وسيلة للترقي» .

كان اتباع علي والحسين في جميع بلاد الهند يعدون على الأصابع واليوم في الدرجة الثالثة بين أهل الهند يعدون من حيث العدد وكذلك في سائر البلدان»^(١) .

هذا ولو أردنا استقصاء كلمات أبناء الملل الأخرى حول الثورة الحسينية لطال بنا المقام وهو خلاف منهج الكتاب .

وأما ما لاحظته أبناء الإسلام من بركة هذه الثورة فهو من أوضح الواضحات لذا سأنتقل بالقارئ العزيز إلى صلب البحث وهو بعنوان (عوامل خلود الثورة الحسينية).

ولكن قبل ذلك لابد من مقدمة بعنوان :

الطغاة والثورة الحسينية

حيث إن ثورة الإمام الشهيد تهدد كراسي الطغاة لأنها قامت ضد الطغيان، لذا سعى الطغاة إلى إخماد صوت هذه الثورة وابتكروا الأساليب المتنوعة للوقوف بوجه المد الحسيني.

ويمكننا أن نحصر تلك الأساليب الطاغوتية ضد الثورة الحسينية بما يلي:

١- تشويه صورة الحسين (ع) وثورته.

٢- معاقبة من يذكر الحسين (ع) بخير .

(١) المصدر السابق .

٣- منع ومعاقبة من يزور المرقد الحسيني .

٤- محاولات متواصلة لهدم القبر الشريف .

٥- محاربة الشعائر الحسينية .

أولاً : تشويه صورة الحسين (ع) وثورته :

لقد أشاع الجهاز الإعلامي للدولة الأموية إن الحسين (ع) ما هو إلا رجل خارجي، خرج على جماعة المسلمين وقتل بسيف جده محمد (ص)، كما صور إعلامهم أهداف الحسين بأنها أهداف سياسية سلطوية أراد تحقيقها ولكنه فشل، لذا لما أحس بفشله طلب من عمر بن سعد قائد الجيش الأموي في كربلاء أن يأخذه إلى يزيد ليرى رأيه فيه.

إلا إن هذا الادعاء الإعلامي الكاذب ينفيه عقبة بن سميان، - وهو أحد الأشخاص الذين نجوا من الموت في كربلاء-، الذي روى لنا قائلًا: انه ليس صحيحاً ما يقوله الناس: بأن الحسين قال خذوني إلى يزيد ليرى رأيه فيّ، وإنما قال الحسين(ع)، دعوني ارجع إلى المكان الذي أقبلت منه أو دعوني اذهب إلى الأرض العريضة حتى ننظر إلى مَ يصير إليه أمر الناس فلم يفعلوا^(١).

كما إن الكلمات الحسينية تنفي هذا الادعاء وتؤكد أن الحسين (ع) لا ينوي سوى الشهادة في سبيل الله.

على كل حال لقد رسم الأمويون عبر وسائل إعلامهم صوراً مشوهة عن سيد الشهداء وثورته العظيمة .

(١) ثورة الحسين في الوجدان الشعبي. محمد مهدي شمس الدين .

ثانياً: معاقبة من يذكر الحسين (ع) بخير:

لقد تبى بنو أمية وبنو العباس سياسة قمعية تجاه محبي الحسين (ع)، بحيث منعوا ذكر الحسين بين الناس وعاقبوا الشعراء لذا نسب كثير من الشعر إلى الجن أو اختفى كثير من الأدب الحسيني نتيجة متابعة السلطات الظالمة للشاعر والأديب والخطيب .

يقول أبو الفرج الأصفهاني في المقاتل: لقد رثى الحسين بن علي صلوات الله عليهما جماعة من متأخري الشعراء، أستغني عن ذكرهم في هذا الموضع كراهية الإطالة، وأما من تقدم فما وقع إلينا شيء مما رثى به ، وكانت الشعراء لا تقدم على ذلك مخافة من بني أمية وخشية منهم^(١).

ويقول رجل شامي لسهل بن سعد الساعدي: «احفظ لسانك ونفسك فإنه ما من أحد يذكر الحسين بخير إلا ضرب عنقه» . وفي زمن هارون العباسي كان حكم الشاعر الحسيني الإعدام لو وصل إلى السلطة انه رثى الحسين أو مدحه بقصيدة. ومن هنا جاءت كلمات الثناء على عمل الشاعر من قبل أهل البيت (ع)، كل ذلك من أجل التصدي لأهداف السلطات الظالمة وإفشال مخططاتها، لذا فقد ورد عن الصادق (ع): (ما قال فينا قائل بيتاً من الشعر حتى يؤيد بروح القدس)، (أو بنى الله بيتاً له في الجنة) .

ولكن الحق يقال إن شعراء أهل البيت (ع) لم يتوانوا عن نظم الشعر الحسيني أمثال الكميت والحميري ودعبل الخزاعي وآخرين .

(١) مقاتل الطالبين ، ص ١٢٢ .

إذن كان الإنسان بشعره يعتبر ثورياً مطارداً من قبل السلطات الظالمة
وكان الشاعر يعامل معاملة من يريد الإطاحة بنظام الحكم فقد يحكم عليه
بالنفي أو السجن أو الموت.

ثالثاً : المنع والمعاقبة لمن يزور المرقد الحسيني:

من الأساليب التي اتبعها أعداء الحسين (ع) للقضاء عليه هو منع
المحبين من الوصول إلى قبره (ع)، وهذا الأسلوب متبع لدى أغلب أعداء
الحسين في زمن الأمويين والعباسيين ومن جاء بعدهما، وتعتبر فترة حكم
هارون والمتوكل اشد فترة على عشاق الحسين (ع)، حيث وضعوا المفارز
والجواسيس على طريق القبر إلا إن الزائرين كانوا يسرون ليلاً من بين
المفارز ويستريحون نهاراً ثم جاء التهديد من السلطات العباسية في زمن
المتوكل : انه من وجد عند قبر الحسين (ع) بعثنا به إلى المطبق -سجن في
بغداد- ثم نوذي على زائري مرقد الحسين (ع) إن برئت الذمة ممن وجدناه
بعد ثلاثة أيام ولكن دون جدوى حيث رفع الزائرون صوقهم بالشعار التالي:
لو قتلنا عن آخرنا لما أمسك من بقي منا. هذا وكانت الشحنات المعنوية
تأتيهم من الأئمة الأطهار (ع) لمواصلة زيارة الحسين (ع)، يقول الإمام
الكاظم (ع) : أدنى ما يثاب به زائر الحسين بشط الفرات إذا عرف حقه
وحرمة وولايته أن يغفر ما تقدم من ذنبه وما تأخر^(١).

(١) كامل الزيارة - ابن قولويه .

وذلك لما تركه زيارة المرقد الحسيني من آثار إيجابية على نفسية الزائر
كالأثر التربوي ، والثوري ، والنفسي ، والاجتماعي و
لذلك عندما أعلن التوابون ثورتهم على النظام الأموي زاروا أولاً قبر
الحسين وتعاهدوا هناك على طلب ثأره وكانوا مجموعة فدائية ولم يرجع منهم
إلا النزر القليل .

شممت ثراك فهب النسيم نسيم الكرامة من بلقع

رابعاً : محاولات متواصلة لهدم المرقد الحسيني:

لما رأى الحكام أن التهديد والسجن بل حتى القتل لا تجدي نفعاً في منع
الناس عن زيارة الحسين (ع) ، عمدوا إلى هدم القبر الشريف ، وكانت
محاولات عديدة من قبل العتاة العباسيين لا سيما في أيام هارون
الرشيد وحفيده المتوكل .

فقد قام هارون العباسي بقطع السدرة التي كان الزائر يستظل بها عند
قبر الحسين من حرارة الشمس ، فكان هارون هو المعني بحديث رسول
الله (ص): (لعن الله قاطع السدرة)^(١).

وأما المتوكل فقد كان أقسى من جده على الحسين (ع) وشيعته ، فقد
سعى جاهداً أكثر من مرة لطمس معالم القبر الشريف ، كالحرث وإجراء
الماء بل ونبشه وأوكل هذه المهمة إلى رجل يهودي يدعى إبراهيم الديزج .
يقول الشاعر :

(١) نفس المهموم ، ص ٥٥٠ ، القمي .

تا الله إن كانت أمية قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله هذا لعمرك قبره مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شايعوا في قتله فتبعوه رميما

ونقل الأستاذ انطون بارا في كتابه الحسين (ع) في الفكر المسيحي هذه
القصة : لما أجري الماء على قبر الحسين ليمحى أثره جاء أعرابي من بني أسد،
فجعل يأخذ قبضة من تراب القبر ويشمها حتى وقع على قبر الحسين (ع)
فبكى وقال: بأبي أنت وأمي ما كان أطيبك وأطيب تربتك ثم انشد :

أرادوا ليخفوا قبره عن محبه وطيب تراب القبر دل على القبر
لقد فات الطغاة إن الحسين (ع) وثورته تحولت بفضل تضحيته إلى حالة
أصيلة في الأمة لا تؤثر عليها مثل هذه المحاولات اليائسة، وأرى من
المناسب ذكر البيتين التاليين :

لا تطلبوا قبر الحسين بشر ق ارض أو بغرب
ودعوا الجميع وعرجوا نحوي فمرقده بقلي

خامساً : محاربة الشعائر الحسينية :

من المعروف إن من معالم القضية الحسينية الحزن والبكاء ولبس
السواد وإقامة المآتم وهذه المسألة أضحت سنة وأول من دعا إليها ونفذها
أهل البيت (ع)، ولم تتخذ هذه السنة اعتباطاً بل لتحريك الضمير الإنساني
عبر الجانب المأساوي في كربلاء، وما زالت هذه السنة متبعة من قبل التيار
الحسيني في كل الدنيا، أينما وجد عشاق الحسين (ع)، لا سيما في العشر
الأوائل من المحرم، حيث تعطل الأسواق ويلبس السواد وتعقد المآتم ويتفرغ

المسلمون لذلك وتبذل الأموال الضخمة في الإطعام والمجالات الأخرى، كما
يجند لإحياء عاشوراء مجموعة كبيرة من الخطباء وقراء المراثي الحسينية أما
على مستوى الجبهة الثانية المحاربة للشعائر الحسينية، فإنها حاولت تبديل هذه
الشعائر، إلى ما يقابلها من مظاهر الفرح والسرور ولبس الزينة واستخدام
الأواني الجديدة وتوزيع الحلوى فرحاً بمقتل الحسين (ع) وأصحابه.
ولعل أعداء الحسين (ع) في بعض الأمصار وفي بعض الأزمنة استخدموا
المغنيين والمغنيات لإظهار الفرح واشغال الناس عن عاشوراء وإيجاد جو
يناقض أجواء عاشوراء، ولعل أبناء العراق يتذكرون إحياء الحفلات
الغنائية في المدن المقدسة في أيام محرم الحرام وهو أكبر تحدٍ لمشاعر وعواطف
الإنسان في هذا البلد الموالي لأهل البيت (ع) .
لقد كانت تلك المقدمة ضرورية لكي نعلم كيف حارب الطغاة كل
ما يمت إلى الحسين (ع) بصلة، وليطلع القارئ على صمود الحسين (ع)
أمام كل تلك التحديات من خلال مبادئه العظيمة وتياره الواعي .

الْعَامِلُ الْأَوَّلُ
الْمُرَادَةُ الرَّابِعَةُ
بِحَقِّ ثَوْبَةِ الْحُسَيْنِ (ع)

الإرادة الربانية

كما نعلم إن الله عز وجل بيده كل شيء وهو القاهر فوق عباده وهو الذي يحول بين المرء وقلبه ، كما نعلم إن الله تعالى ينصر أوليائه ومبادئهم وقد فعل ذلك أكثر من مرة مع نبيه المصطفى (ص) لاسيما في معركة بدر التي دارت رحاها بين الرسول وأصحابه وبين المشركين في مكة ولم تكن المعركة متكافئة بين الطرفين من حيث العدد والعدة ولكن الله تعالى نصر المسلمين فيها من خلال الملائكة وثبت أقدام المؤمنين وإنزال السكينة عليهم وقذف الرعب في قلوب أعدائهم حيث جعل المشرك يعين المسلم على قتله لذا قال الله تعالى (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) ، إشارة إلى معية الله عز وجل ونصره للمؤمنين والسؤال المطروح متى يتدخل الله لإظهار المؤمنين على عدوهم ؟

الجواب: عندما تكون المسألة مصيرية ويتوقف عليها مصير الإسلام ، لذا قال رسول الله (ص) في ليلة بدر: (الهم إن شئت أن لا تعبد فلتهلك هذه العصابة)، وحيث أن قضية الحسين (ع) من حيث مبادئها مصيرية لامتنا الإسلامية ولخط التوحيد في الأرض كان لابد من إرادة ربانية تحفظ الأهداف والمبادئ السامية التي نادى بها الحسين (ع) وسعى إلى تحقيقها .

آن الجاهلية المبرقة عادت في أيام الحسين (ع) إلى مواقعها ، فبعد ما طردها الإسلام وأقصاها عن مواقعها عادت من جديد وبقوة هذه المرة

عادوا خلفاء وأمراء يتخذون مال الله دولاً وعباده خولاً، يقتلون الناس على الظنة والتهمة وبكلمة مختصرة مزقوا المجتمع الإسلامي شراً ممزقاً .

وفي قبال هذا الظلم والفساد صمت كبار الصحابة، بل وضعوا أيديهم بأيدي الأمويين واعتبروهم خلفاء حقيقيين لرسول الله (ص)، والسؤال المطروح كيف ستكون النتيجة بالنسبة للإسلام وأهله لو لم يتصد الحسين (ع) لتعزية الأمويين واطهارهم على حقيقتهم ؟

لذا نعتقد إن ثورة الحسين (ع) حققت اعظم أهدافها سواء القريبة المدى منها أو البعيدة المدى ، يقول المستشرق الإيطالي الدوميلي في كتابه - العلم عند العرب - : (نشبت معركة كربلاء التي قتل فيها الحسين بن علي إلى أن يقول .. عرضت الأسرة الأموية في مظهر سيئ ولم يكن هنالك ما يستطيع أن يحجب آثار السخط العميق في نفوس القسم الأعظم من المسلمين على السلالة الأموية والشك في شرعية ولايتهم) ^(١) .

يقول الأستاذ الاصفى في محاضراته حول الثورة الحسينية: إن الحسين (ع) فصل الدين عن قصور الخلفاء وأسس خطأ جديداً في الأمة هو خط الأئمة والعلماء الذين أصبحت الأمة منهم تأخذ معالم الدين وليس من الخلفاء، كما كان متبعاً من قبل واصبح الحاكم لا يمثل إلا ألعيب السياسة وهي مكشوفة لدى الأمة واصبح الأمر بعد ثورة الحسين (ع)، إن العالم النزيه لا يرتبط بالمؤسسة الحكومية لأنها غير شرعية وكذلك يسقط هذا العالم في نظر الأمة لو ارتبط مع الحاكم الظالم .

(١) عن مجلة الثقافة الإسلامية ، العدد ٥٠

هذا الوعي الإسلامي أوجده الحسين بثورته ولو إن ثورة الحسين لم تحقق إلا هذا لكفى مع العلم إنها حققت خيراً كثيراً للامة الإسلامية لذا استحققت دعم الإرادة الربانية عند قيامها وما بعده .

ملاحح الإرادة الربانية في القضية الحسينية :

إن الإرادة الربانية كانت ولا زالت ترعى هذه الثورة بكل تفاصيلها، واتخذ ذلك الدعم الرباني لصالح القضية الحسينية المباركة أشكالاً متعددة :

❖ منها : ربط الجماهير بالحسين وثورته من خلال غرس الحب الحسيني في القلوب.

يقول الأستاذ الاصفى: من الحقائق إن حب الصالحين أمر يقذفه الله في قلوب المؤمنين وهذا الحب لا يمكن زعزعته ، قال الله تعالى: (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً)^(١)، وقال تعالى في موسى(ع) : (وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني)^(٢) .

وعلى ما نعتقد وفق الواقع الملموس إن حب الحسين في القلوب من نوع خاص كما قال عابس (حب الحسين أجني)، انه حب أريد له أن يثبت بإرادة ربانية انه حب مطعم بالعاطفة وهو الذي عبر عنه رسول الله (ص) بقوله : (إن لقتل ولدي الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لن تبرد أبداً) .

(١) سورة مريم . آية ٩٦ .

(٢) سورة طه . آية ٣٩ .

ومن صور هذا الحب ما حدثني به الكثير من أصدقائنا ممن حضر في بعض ولايات الهند في أيام المحرم أنه رأى المسلم والهندوسي والزرادشتي جميعاً يبذلون الطعام والمشروبات باسم الحسين (ع) .

إن حب الحسين تفاعلت معه قطاعات إنسانية واسعة وعليه لا يمكننا تفسير هذا الحب وقوة نموه بهذا الشكل ، إلا إن نرجعه إلى إرادة الله عز وجل إن بقاء ثورة الحسين ثابتة رغم المحاولات الكثيرة للقضاء عليها أكبر دليل على إن الله تعالى مع الحسين (ع) وإن الله يدحض كل محاولة تريد النيل من سيد الشهداء لأن الله مع الذين آمنوا والحسين سيد المؤمنين ، إذن فالله يدافع عن الحسين ومن ينصره .

❖ منها: تسخير الطاقات لصالح القضية الحسينية :

لقد قيض الله سبحانه للحسين (ع) أناساً يخدمون مبادئه قد يختلفون معه عقيدياً بل وحتى مبدئياً نطقوا بالحق في ظروف ومناسبات حساسة واليك قارئ العزيز بعض النماذج :

(١) يقول المؤرخون: إن رأس الجالوت كان من الناقمين على يزيد فقد قال لمحمد بن عبد الرحمن إن بني داود سبعين أباً، وإن اليهود تعظمني وتحترمني وانتم قتلتم ابن بنت نبيكم^(١) - قال قولته في مجلس يزيد الحاشد .
نعم لو درسنا المكان والزمان وشخصية هذا اليهودي الذي نطق بالحق لعلمنا إن هذا الرجل مسخر من قبل الله ليقول الحق .

(١) حياة الإمام الحسين ج ٣ / ٣٩٦ . باقر شريف القرشي .

(٢) نقل المؤرخون كذلك: (إن حبراً يهودياً كان في مجلس يزيد فلما خطب الإمام زين العابدين(ع)، التفت الحبر إلى يزيد قائلاً: من هذا الغلام؟ قال علي بن الحسين، قال من الحسين؟ قال ابن علي بن أبي طالب، قال من أمه؟ قال بنت محمد، قال: يا سبحان الله هذا ابن بنت نبيكم قتلتموه بئس ما خلقتموه في ذريته فوالله لو ترك نبينا موسى بن عمران فينا سبطاً لظننت أنا كنا نعبد من دون ربنا وانتم فارقكم نبيكم بالأمس فوثبتم على ابنه وقتلتموه سوءة لكم من أمة، فغضب يزيد وأمر به فجيء في حلقة فقال: الحبر وقد رفع عقيرته إن شئتم فاقتلوني إني وجدت في التوراة من قتل ذرية نبي فلا يزال ملعونا أبداً ما بقي فإذا مات أصلاه الله نار جهنم)^(١)، نعم لقد كشف هذا الحبر كثيراً من الحقائق بشأن الحسين(ع) وخصومه. وأهمية هذه الحادثة إنما وقعت في مجلس يزيد وفي حضور أهل الشام.

(٣) نقل السيد الأمين في كتابه إقناع اللائم: إن الاباضية في زنجبار يقيمون مراسيم الحزن يوم عاشوراء لا مراسيم الأعياد وانهم بقدر بغضهم لعلي وولده الحسن يحبون الحسين لقيامه بالسيف ومقاومته للظلم...

(٤) خطب عبد الله بن الزبير وهو من الخصوم التاريخيين لأهداف البيت، فذكر فضائل الإمام الحسين(ع) في خطبته ومن جملة كلامه: رحم الله حسيناً وأخزى قاتله ولعن من أمر بذلك ورضي به افبعد ما جرى على أبي عبد الله ما جرى يطمئن أحد إلى هؤلاء أو يقبل عهد الفجر والغدر، أما والله لقد كان(ع) صواماً بالنهار وقواماً بالليل وأولى بنيهم من الفاجر، بن

(١) المصدر السابق . ص ٣٩٥ .

الفاجر والله ما كان يستبدل القرآن بالغناء وبالبكاء من خشية الله الحذاء ولا بالصيام شرب الخمر ولا بقيام الليل الزمور ولا بمجالس الذكر الصيود واللعب بالقرود ، قتلوه فسوف يلقون غيًّا ألا لعنة الله على الظالمين .

٥) الخطب والكلمات والكتب التي ألفت وألفت في حق الحسين من قبل جمع هائل من السياسيين والأدباء والصحفيين والشخصيات الدينية والاجتماعية ولو تتبعنا وجمعنا الأدبيات المؤلفة في الحسين لبلغت آلاف المجلدات، ويمكننا الجزم بأن ليد الغيب دخلاً في هذا التوجه العالمي لقضية الحسين(ع).

ومن هنا أدعو المسلمين علماء وأدباء ومفكرين وتجاراً أن يفكروا في موسوعة حسينية تضم كل ما قيل في الحسين (ع) قديماً وحديثاً لأداء بعض حقوق هذا الإمام العظيم .

❖ منها: دفع كافة الأخطار التي أحاطت بالقضية الحسينية:

إن القضية الحسينية منذ قيامها وحتى اليوم إحاطتها أخطار كثيرة وكبيرة ولعل ما أشرنا إليه في المقدمة هو بعض تلك الأخطار فقد دفعها الله تعالى عن سيد الشهداء ، وثورته بقوته القاهرة وذلك اعظم إنذار لكل طاغوت تسول له نفسه التعرض للحسين(ع) والنيل من قضيته لان الحسين باق باق لا يتزعزع بل إن مثل هذه المحاولات تزيد رسوخا وثباتا وكل من يتعرض له إنما يعرض كيانه للسقوط ويسعى في خرابه ، نعم .

هذا هو الحسين(ع) شامخٌ يحرك الدنيا بمبادئه النبيلة وأين خصومه ؟

كذب الزمان فالحسين مخلد كلما اخلق الزمان ذكره يتجدد

واجد من المناسب أن انقل لكم جزءاً من كلام المسيو مارين المذكور في كتاب إقناع اللائم للسيد الأمين : «يقول: فمن مصائب الحسين ارتفع الستار فجأة عن سرائر بني أمية وظهرت قبائح أعمالهم بمجرد قتل الحسين وورود تلك الرزايا المؤلمة واسر نسائه وبناته ظهر في المسلمين حسّ السياسة ومادة الثورة ضد سلطنة يزيد وآل أمية حتى لنفس الجيش الذي حضر واقعة كربلاء وظهر منهم الندم الهائل والأسف على ما صدر منهم وعلموا أن بني أمية هم مخربو الإسلام فردوا بدعهم ومجعلوا قهم وسموهم الظالمين والغاصبين وبالعكس كان النظر لبني هاشم فسـموهم مظلومين ومستحقين للرياسة وعرفت فيهم حقيقة روحانية الإسلام وكأنما اخذ المسلمون حياة جديدة وظهر لروحانية الإسلام رونق جديد وبرزت روحانية الإسلام التي كانت قد زالت دفعة واحدة والمسلمون كأنهم قد نسوا جهة الروحانية الإسلامية والآن قد تجددت بنورانية شفافة كما كانت أولاً.....»^(١)

(١) ماذا في التاريخ ص ١٣٢-١٣٣.

العامل الثاني
شخصية الحسين (ع)
ملك نور

شخصية الحسين (ع)

إن العامل الثاني الذي خلد ثورة الحسين (ع) هو شخصيته (ع)، وشخصيته (ع) تارة نأخذها بلحاظ السيرة الذاتية، وأخرى بلحاظ النسبة إلى الرسول الأكرم (ص) وتارة بلحاظ نظرة المسلمين إليها .

أما اللحاظ الأول : فقد كان الحسين مجمعا لكل الفضائل النفسية التي ميزته عن كل أقرانه ومعاصريه فقد عرف في كل شيء إنه هو الأفضل، فهو الاعبد في زمانه، والأشجع، والأعلم، والأكرم، والاحلم، والاسمح، والأتقى، والازهد، واليك قارئ العزيز نماذج من سيرته الذاتية :

فمن كرمه (ع) : ما حدث به المؤرخون بأن إعرابيا وفد إلى المدينة ، فسئل عن اكرم الناس فيها فدلّ على الحسين وكان (ع) يصلي فوق ف بازاء الباب وأنشأ يقول :

لن يخب الآن من رجاك ومن	حرّك من دون بابك الحلقه
أنت جواد وأنت معتمد	أبوك قد كان قاتل الفسقه
لولا الذي كان من أوائلكم	كانت علينا الجحيم منطبقه

قالوا: فسلم الحسين (ع) من صلاته فقال: يا قنبر هل بقي من مال الحجاز شيء؟ قال: نعم، أربعة آلاف دينار ، فقال: هاها قد جاءها من اهو أحق بها منا، ثم نزع ردائه ولف الدنانير فيها واخرج يده من شق الباب حياء من الأعرابي وانشأ يقول :

خذها فأني إليك معتذر وأعلم بأني عليك ذو شفقه

لو كان في سيرنا الغداة عصا أمست سمانا عليك مندفعه

لكن ريب الزمان ذو غير والكف مني قليلة النفقه

قالوا فأخذها الأعرابي وبكى فقال الحسين (ع) له : لعلك استقلت ما أعطيناك، قال : لا ، ولكن كيف يأكل التراب جودك^(١) ؟

كما حدث المؤرخون عن شدة حبه لله وخوفه منه، فقد كان أكثر أوقاته منشغلاً بالصلاة والصوم ، حتى قال عنه ابن الزبير حين بلغه مقتله (والله لقد قتلوه طويلاً بالليل قيامه كثيراً بالنهار صيامه).

كمان أنه حج لله ماشياً على قدميه خمساً وعشرين مرة، وكان يمسك الحجر الأسود ويناجي الله ويدعو قائلاً : (الهي انعمتي فلم تجديني شاكرًا، وابتليتني فلم تجديني صابراً، فلا أنت سلبت النعمة بترك الشكر ولا أدمت الشدة بترك الصبر ، الهي ما يكون من الكريم إلا الكرم) .

وأما عن شجاعته فقد كان (ع) مضرب المثل وهل سمع العالم برجل مفجوع بصحبه وأولاده وأهل بيته مع عطشه يحمل على ثلاثين ألفاً فينهزمون من بين يديه انهزام المعزى، إذا شد فيها الذئب، لذا قال عبد الله بن يغوث: ما رأيت مكثوراً قط قد قتل ولده وأصحابه وأهل بيته اربط جأشاً ولا اجراً مقدماً ولا أمضى جناناً من الحسين ...

(١) حياة الإمام الحسين . ج ١ . ص ١٣٢ .

وأما عن تواضعه، للناس وإحساسه بمعاناة الفقراء والمساكين، فقد كان (ع) يخرج إليهم في ظلام الليل يحمل الدقيق والتمر حتى اثر ذلك الجراب في جسده ..

وأما عن علمه، فقد كان اعلم أهل زمانه، إذا حضر المسجد انثال عليه الناس يسألونه وتركوا غيره وهكذا كان لما نزل مكة يقول المؤرخون: (اخذ القادمون إلى بيت الله من الحجاج والمعتمرين من سائر الآفاق يختلفون إليه ويهتفون بالدعوة إليه ويطوفون حوله، هذا يلتمس منه العلم والحديث، وذاك يقتبس منه الحكمة النافعة).

إلى هنا أرى أن الحديث عن سيرة الإمام الحسين (ع) الذاتية كافٍ ولا داعي لذكر المزيد لانه خلاف منهج الكتاب - الاختصار -^(١).

اللاحظ الثاني: الحسين (ع) ابن رسول الله (ص) :

إن الصلة التي تربط الإمام الحسين (ع) بسيد الرسل والشخصية الإسلامية الأولى المقدسة من قبل المسلمين جميعاً، وعادة الأمم والشعوب إنها تعظم أبناء عظمائها بل كل أثر من آثارها، لذا ينقل عن النصارى أنهم يحجون إلى موضع حافر حمار عيسى (ع)، وما قاله الخبر في مجلس يزيد (لو إن موسى ابن عمران خلف فينا ولدأ لظننت إنا كنا نعبد من دون الله) .

تكشف هذه القصص عن تعظيم الأمم لعظمائها وآثارهم .

والآن لنرى ما هي مخلفات رسول الله (ص) في أمته ؟

(١) للمزيد راجع كتاب - حياة الإمام الحسين - للأستاذ القرشي .

خلف رسول الله تراثاً كثيراً من سنته التي تشتمل على كلامه (ص) وسلوكياته وعلاقاته مع زوجاته والناس من حوله، إلى الغزوات وآثارها التي تركها (ص)، وغيرها من الآثار المحمدية الأخرى .

ولكن كل هذه المخلفات لا ترقى إلى الأثر الحقيقي لرسول الله (ص)، وهما القرآن وعترته الطاهرة علي (ع) وفاطمة (ع) وأولادهما (ع) ، وان الحسين (ع) في زمانه هو الوريث الوحيد والأثر الباقي لرسول الله (ص)، ولهذا احتج الإمام الحسين أكثر من مرة بصلته بجده رسول الله (ص) .

قال (ع) مخاطباً جيش الكوفة يوم عاشوراء: (أيها الناس انسبوني من أنا؟ ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، وانظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ الست ابن نبيكم وابن وصيه وابن عمه ... الخ) .

وقال (ع) مخاطباً ربه العظيم : (الهي انك تعلم انهم يقتلون رجلاً ليس على وجه الأرض ابن بنت نبي غيري) .

كما ركز أصحاب الحسين (ع) في خطاباتهم على صلة الحسين برسول الله (ص) واحتجوا بذلك على الجيش الأموي، فهذا زهير بن القين يقول في خطبته لهم: (عباد الله إن ولد فاطمة أحق بالود والنصر من ابن سمية فإن لم تنصروهم فأعيذكُم بالله أن تقتلوهم) .

وقال: برير شيخ الخطباء والقراء في الكوفة، وهو أحد شهداء الطف مخاطباً الجيش الكوفي: (يا قوم ان ثقل محمد (ص) قد أصبح بين أظهركم وهؤلاء ذريته وعترته وبناته... الخ) .

نعم ان تأكيد الحسين(ع) وصحبه على هذه المسألة البديهيّة وهي العلاقة النسبية بين الحسين(ع) والرسول(ص) جاءت اكثر من التأكيد على عنصر التقوى والعدالة في شخصية الحسين(ع)، لعل السبب في ذلك ان العرب قتم بالنسب اكثر من اهتمامها بالجوانب الأخرى، أو ان خصوم الحسين(ع) طعنوا في كل شيء فيه إلا نسبه فقد طعنوا في تقواه ووصفوه بالخارجي، ولكن لا يستطيع أحد ان يطعن في صلته برسول الله(ص)، ولهذا كان الحسين وأصحابه يحتجون على القوم بالقرابة من رسول الله(ص). نعم لازال خصوم أهل البيت (ع) يواصلون حربهم ضد الحسين الشهيد فهذا إبراهيم الجهمان الذي كتب في مجلة الدعوة في عام ١٩٧٨ مقالاً بعنوان (مزاعم طائفة الشيعة) وقد تعرض فيه إلى طعن هذه الطائفة وعقيدتها واعتبر ذلك واجبا إلهياً لا بد من أدائه وتنبيه الأمة الإسلامية إلى خطر هذه الجماعة، يقول في مقاله: (وبهذا الخنجر المسموم -خنجر عبد الله بن سبأ اليهودي- قدمت الأمة الإسلامية عشرات الألوف من الضحايا في معارك صفين والجمل، -ولم يذكر الضحايا في النهروان لا ادري ما السبب- وبهذا الخنجر المسموم نسجت خيوط مأساة كربلاء وبهذا الخنجر المسموم سقط ملايين الشهداء من المسلمين على أيدي من قادوا جيوش الظلام من أمثال المختار الثقفي...).

ان هذا الكاتب يعتبر شمر بن ذي الجوشن وعمر بن سعد وحرمة بن كاهل ومن قتلهم المختار الثقفي وهم قتلة مجرمون اشتركوا في قتل الحسين(ع) وأهل بيته وأصحابه، نعم، انه يعتبرهم شهداء ويتباكى عليهم،

ويحمل على المختار الثقافي الذي طلب بثأر الحسين (ع) من أولئك القتلة، نعم يفهم من صاحب المقام انه متعاطف مع الشمر وعمر بن سعد لا لشيء، بل لأنهم قتلوا الحسين (ع) ربحانة الرسول (ص) .
ولا يفوتني ان اذكر هنا بأن المحقق السيد مهدي الروحاني قد رد على هذا المقال بكتاب عنوانه (بحوث مع أهل السنة والسلفية) وهو كتاب جدير بالمطالعة .

نعم، ان نسب الحسين (ع) إلى رسول الله (ص) أعطى للحسين (ع) نوعاً من الحصانة قبل الثورة وفي أثناءها وما بعدها، ولازال هذا العنصر الحساس يزيد من التفاعل الجماهيري بينها وبين القضية الحسينية ولو قلبنا صفحات الأدب الحسيني لوجدنا إجماع الأدباء على ان قتلة الحسين (ع) ارتكبوا جريمة بحق الرسول (ص) بقتلهم سبطه الحسين (ع)، وعليه فلا زالت هذه الصلة تحمي وتدافع عن أهداف الحسين وشخصيته .

اللاحظ الثالث : نظرة المسلمين إلى الإمام الحسين (ع) :

لقد كان (ع) يتمتع باحترام، بل بتقديس المسلمين له وكانت له هبة وجلال في النفوس وما رآه أحد إلا وتأثر بشخصيته، لذا نقل عن عبيد الله بن الحر الجعفي قوله: (ما رأيت أحداً قط احسن من الحسين ولا أملاً للعين منه).

ويقول الشيخ محمد مهدي شمس الدين : ذهب بعض المسلمين إلى كونه إماماً معصوماً - وهي عقيدة الشيعة - وذهب بعضهم إلى انه كان دون ذلك بقليل^(١) .

(١) ثورة الحسين في الوجدان الشعبي .

هذه النظرة السامية من قبل المسلمين إلى الحسين(ع) أهله كي يقوم بثورته العملاقة التي اكتسبت صفة البقاء والانتشار ، فمن يملك مقومات القيام بالثورة الناجحة كالحسين(ع) ؟

لذا لم يكتب لتلك الثورات السابقة واللاحقة خلود كخلود ثورة الحسين(ع). يقول المسيو مارين: (قد قتلوا كثيرا من الرؤساء الروحانيين وأرباب الديانات ظلما وقامت الدعوة من بعد قتلهم وسلّ اتباعهم السيوف على أعدائهم كما تكرر ذلك في بني إسرائيل وقضية يحيى هي أحد الوقائع التاريخية الكبرى وتلك الخطة التي سلكها اليهود مع السيد المسيح(ع) إلى ذلك الزمان لم يقع نظيرها ولكن واقعة الحسين(ع) كانت عن علم وحكمة وسياسة وليس لها نظير في تاريخ الدنيا...).

العامل الثالث

العامل الحسن (ع)

بِحکم بن علی بن الحلوک ثوریه

الإمام الحسين (ع) يخطط بذكاء لخلود ثورته

يقول المسيو ماربين في مقالة عن الثورة الحسينية: (وقد تأهب الحسين للقتل قبل سنين متوالية ونظره ممدود إلى مقاصد عالية جداً ولم يوجد في التأريخ أحد سلم نفسه للقتل عالماً عامداً لترويج دينه في المستقبل سوى الحسين (ع)) .

نعم إن توضحية الحسين (ع) كانت ضمن خطة مدروسة بدقة، لذا كان (ع) يرفض فكرة الثورة قبل غن تتكامل عناصرها، فقد كان يقول لمن كان يكتب إليه بشأن الثورة على بني أمية: (ليكن كل واحد منكم حلياً من أحلاس بيته ، أو انتظروا موت هذا الطاغية - يعني معاوية -) .

إذن كان الحسين يخطط لعاشوراء اليوم الخالد في تأريخ البشرية، لذا لابد من الوقوف على عناصر ذلك التخطيط الناجح من اجل ثورة ناجحة :
(أ) ترقب الحسين (ع) لموت معاوية .

(ب) التركيز الإعلامي لبيان الثورة وأهدافها .

(ج) اختيار الحسين (ع) لأصحابه .

أ- ترقب الحسين (ع) لموت معاوية :

لقد كان الحسين (ع) ينتظر هذه اللحظة بفارغ الصبر لأن الإمام كان يرى في معاوية الحاكم الظالم الذي افسد كل شيء في الأمة الإسلامية ومع

ذلك فأن هناك موانعا تحول بين الإمام وإعلان الثورة مادام معاوية حياً، وذلك لأن معاوية اكتسب إلى حد ما صفة الحاكم والخليفة الإسلامي وذلك لأسباب عدة، منها:

منها: صحبته لرسول الله (ص) والمسلمون يقدسون كل صحابي وهذا من تصوراتهم الخاطئة .

منها : ما أشيع من انه كان يكتب الوحي لرسول الله (ص)، وحقيقة الأمر ليس كذلك إنما كان يكتب المكاتيب والرسائل ولم يكتب وحيًا -أي قرآنًا- كما يؤكد ذلك المرحوم أبو رية في كتابه أضواء على السنة المحمدية فراجع. ولكن الإعلام الأموي سخر كل الإمكانيات لهذه القضية حتى وضع معاوية في مقدمة كتاب الوحي.

منها: احتواءه لجمع كبير من أصحاب رسول الله (ص) وتسخيرهم حتى جعل منهم جنوداً مجندة له يحققون له ما يريد فكان جماعة من أصحاب رسول الله (ص) يجوبون القرى ، قرية بعد قرية لإثبات كفر علي بن أبي طالب وخروجه عن ملة الإسلام فكان أهل الشام يصدقونهم !!، إلى جانب هذا كان التركيز على شخصية معاوية باعتباره شخصية إسلامية جديرة بحمل الأمانة إن البعض من باعة الدين والضمير من أصحاب رسول الله (ص)، قد صوروا معاوية للناس بهذه الصورة: إن الله ائتمن على وحيه ثلاثة، أنا -رسول الله (ص)- وجبرائيل ومعاوية بن أبي سفيان .

هذا بالإضافة إلى أن معاوية كان يخفي لعبه وهواه عن الناس ويظهر للناس بمظهر القديسين، في الوقت الذي يقتل الأبرياء من المسلمين يتظاهر

بمحرصه على الصلاة والواجبات الأخرى بل حتى جرائمه حاول إن يوجهها إلى الدين وخطر مبتكرات معاوية الأرجاء والجبر، حيث انه من خلال الأرجاء يؤكد إيمانه ومن خلال الجبر ينسب كل جرائمه -التي لم يستطع تغطيتها- إلى الله سبحانه وتعالى ، فهو لم يقتل الحسن بن علي وحجر الصحابي الجليل وإخوانه، إلا لأنه مجبور من قبل الله، على ذلك الفعل. إن عقيدتي الإرجاء والجبر إنما وضعتا بإشارة من معاوية ولصالح معاوية .

نعم، إن وجود معاوية كان عقبة كبيرة أمام الحسين(ع)، لذا كان الإمام ينتظر موته بفارغ الصبر، ولهذا أعلن (ع) ثورته بعد وفاة معاوية مباشرة وقد بدأت الثورة الحسينية عندما أعلن الحسين(ع) عدم مبايعته ليزيد هذا وإذا قارنا بين شخصية معاوية وشخصية يزيد نجد أن الفاصلة بين الاثنين كبيرة جداً ، كان يزيد يجاهر بشرب الخمر وسماع الغناء وترك الصلاة وعدم الاهتمام بالواجبات ، بل انه كان يجاهر بالكفر وعدم الإيمان بالله :

تَلَعَّبَ بِالْخِلَافَةِ هَاشِمِي بَلَا وَحْيَ أَنَاهُ وَلَا كِتَابَ

فَقُلَ لِلَّهِ يَمْنَعُنِي طَعَامِي وَقُلَ لِلَّهِ يَمْنَعُنِي شَرَابِي^(١)

ينسب هذان البيتان وهو يخاطب القران ، إن موت معاوية وتسلط يزيد على رقاب المسلمين مهذا السبيل أمام الحسين(ع) لإعلان ثورته لذا قال عليه السلام (ومثلي لا يبايع مثله)، وقوله: (فعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد) .

(١) الصحيح من سيرة النبي الأطفال (ص) . ج ١ / ص ٢٥ . جعفر مرتضى .

إن الحسين ابن علي(ع) أرجأ إعلان الثورة إلى ما بعد موت معاوية لا لأن معاوية كان خليفةً شرعياً ، أو انه كان عادلاً بل كان طاغية في رأي الحسين(ع)، لذا وردت عبارات في كتاب للحسين إلى شعبته في الكوفة، انتظروا موت هذا الطاغية، ولكن الحسين(ع) أرادها ثورة ناجحة، ومعاوية بوسائله الإعلامية ودهائه يستطيع إخمادها فلم تكن لها تلك القيمة والديمومة، أما يزيد فهو رجل مجنون وفسق، فيكف يتمكن من إخمادها ؟ إن يزيد الذي حاصر الحسين (ع) في ارض كربلاء وقتله وأصحابه لم تمضي أيام على حدوث فاجعة كربلاء حتى وصل صداها إلى كل الأقطار الإسلامية وإلى دمشق عاصمة الأمويين حيث أحدثت ضجة كبرى وصيحة على يزيد وحكمه، مما اضطر يزيد إلى التنصل عن قتل الحسين وإلقاء اللائمة على عبيد الله بن زياد والي الكوفة فكان يزيد يكرر مقولته الشهيرة: «لعن الله بن مرجانة لقد تعجل على الحسين بن فاطمة» .

ب- التركيز الإعلامي لبيان الثورة وأهدافها :

كان الإعلام الحسيني بشأن الثورة وبيان موقف الحسين(ع) من حكم يزيد موسعاً وسريعاً لإيصال صوت المعارضة إلى كل فرد من أفراد الأمة الإسلامية وعلى ما نعتقد إن صوت الإمام قد وصل إلى مسامع المسلمين وكانت لغة الإعلام الحسيني تركز على الاستنصار لأهل البيت(ع) والتركيز على ظلم بني أمية وإن يزيد إنسان غير لائق للخلافة وقد وصفه الحسين(ع) بأنه شارب الخمر قاتل النفس المحرمة ، وإن الأمة لو بليت براع مثل يزيد فعلى الإسلام السلام .

وأما عن معالم الإعلام الحسيني الذي سبق الثورة ، أولاً: فأن رفض الحسين(ع) للبيعة ليزيد كان قد تم بعلم جماهير الناس في المدينة .
كما إن خروج الإمام(ع) من المدينة إلى مكة كان بملازمة الطريق الأعظم لإعلام الناس إن الحسين بن علي خارج على حكم يزيد، كما إن وجود الإمام في مكة وهي تشهد موسم الحج حيث يجتمع فيها عشرات الألوف من كل الديار الإسلامية يشكل ظاهرة إعلامية لصالح القضية الحسينية، كذلك كان(ع) يحرص على إيصال صوته إلى كل من رآه .
وأما ما قام به سيد الشهداء من مخاطبة الأمصار بشأن الثورة لاشك انه عمل إعلامي كبير .

وأخيراً كيفية خروجه إلى العراق في اليوم الثامن من ذي الحجة سنة ٦٠هـ عبارة عن تظاهرة إعلامية كبيرة ، وقد أسمع العالم صوته وبين لهم ما يهدف وما يريد تحقيقه حتى وصوله(ع) إلى كربلاء كان يحدث الناس والقرى التي كان يمر بها في طريقه عن مؤامرات الأمويين ضد الإسلام وأهله وانه ذاهب إلى أنصاره ليقودهم إلى الثورة على بني أمية .
نعم إن الإمام أبا عبد الله(ع) استطاع إن يوصل صوته ويبين أهدافه إلى أقصى نقاط البلاد الإسلامية بتلك الوسائل التي بينها .

ج- اختيار الحسين(ع) لأصحابه :

لقد قام الإمام السبط(ع) باختيار أصحابه بأسلوبين :
(١) الاختيار المباشر كما فعل مع حبيب بن مظاهر والآخرين ممن كانوا في مقدمة جيشه في يوم الملحمة .

٢) الاختيار غير المباشر وذلك من خلال الشروط التي وضعت النقاط على الحروف (إلا ومن كان فينا باذلاً مهجته موطننا على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فأني راحل مصباحاً إنشاء الله) هذه الكلمات الحسينية وردت في آخر خطبته وهو خارج من مكة إلى العراق، ومن خلال هذين الأسلوبين في الاختيار لم يدع لطامع أو باحث عن دنيا إن يمتطي جواده ويلتحق بركب الحسين(ع) الذي لا ينال شرف مرافقته إلا الفدائي الذي عقد صفقة البيع مع الله تعالى .

تلكم هي أهم عناصر المخطط الحسيني لإنجاح الثورة وديمومتها مدى الزمن، حيث كان التخطيط ناجحاً ويدل بوضوح على العبقرية الحسينية .

الْعَامِلُ الرَّابِعُ
الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ (ص)
بِحِلْمٍ ثَوْرَةٍ سَبِيلِ الْحَسَنِ (ع)

الرسول محمد (ص) يخلد ثورة سبطه الحسين (ع)

كان رسول الله (ص) يحدث أمته عن الحسين ومستقبله وما يلاقيه في حياته والحسين لازال طفلاً يدرج، وكان (ص) يدافع بقوة عن مبادئ سيد شباب أهل الجنة كما إن الرسول (ص) كان يكشف عن بعض الأسماء من قائمة خصوم الحسين (ع)، وبذلك وضع (ص) النقاط على الحروف وكشف الحقيقة كما هي ولم يترك لأحد عذراً إن يتفوه بكلمة سوء ضد سبطه ومن تقول على الحسين فهو متهم في دينه يدخل في عداد أعداء محمد (ص) . ولنترك أيها القارئ العزيز المجال لرسول الله (ص) ليحدثنا عن سبطه وعن خصومه وما يجري عليه .

- (١) عن جابر بن عبد الله قال: قال: رسول الله (ص) من أراد إن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسين بن علي^(١) .
- (٢) عن أبي هريرة قال: رأيت رسول الله (ص) وهو حامل الحسين بن علي وهو يقول اللهم أي احبه فأحبه^(٢) .
- (٣) روى يعلى بن مرة قال : خرجنا مع النبي (ص) إلى طعام دعينا له فإذا حسين يلعب بالسكك فتقدم النبي (ص) وبسط يده فجعل الغلام يفرّ

(١) حياة الأقطار الحسين بن علي . ج ١/ ص ٩٣. للشيخ باقر شريف القرشي.

(٢) المصدر السابق .

هاهنا وهاهنا ويضاحكه النبي (ص) حتى أخذه فجعل إحدى يديه تحت ذقنه والأخرى في فأس رأسه فقبله وقال: حسين مني وأنا من حسين، احب الله من احب حسينا حسين سبط من الأسباط^(١).

ولقد أجاد الشيخ القرشي في تعليقه على هذا الحديث حيث قال :
ودلل النبي (ص) بهذا الحديث الشريف على مدى الصلة العميقة التي بينه وبين وليده واكبر الظن انه (ص) لم يعن بقوله حسين مني الرابطة النسبية التي بينه وبينه ، وإنما عني أمرا آخر هو أدق واعمق ، فالحسين منه لأنه يحمل روحه وهديه ويحمل اتجاهاته العظيمة الهادفة إلى إصلاح الإنسان ورفع مستواه وتطوير وسائل حياته على أساس الإيمان بالله الذي يحمل جميع مفاهيم الخير والسلام في الأرض، كما عني (ص) بقوله : وأنا من حسين إن ما يبذله السبط العظيم من التضحية والفداء في سبيل الدين وما تؤديه تضحيته من الفعاليات الهائلة في تجديد رسالة الإسلام وجعلها نابضة بالحياة على مر الأجيال الصاعدة فكان النبي (ص) بذلك حقا من الإمام الحسين (ع) فهو المجدد لدينه والمنقذ له من شر تلك الطغمة الحاكمة التي جهدت على محو الإسلام من خريطة هذا الكون.. وقد نسف الإمام بنهضته أحلام الأمويين وأعاد للإسلام نضارته وحياته^(٢) .

(١) المصدر السابق . ج ١ / ص ٩٤ .

(٢) المصدر السابق ج ١ ، ص ٩٤ .

وأما حديث الرسول (ص) عن خصوم الحسين (ع) فقد وردت طائفة من الأحاديث نذكر بعضها نقلاً عن كتاب مقتل الحسين للخوارزمي الحنفي تلميذ الزمخشري وخليفته.

(١) بإسناده عن صالح بن اربد النخعي قال: قال رسول الله (ص) لام سلمة رضي الله عنها اجلسي على الباب فلا يلجن عليّ أحد فجاء الحسين وهو وحف^(١) ، قال: فذهبت أم سلمة تناوله فسبقها، قالت أم سلمة فلما طال عليّ خفت إن يكون قد وجد عليّ ، فتطلعت من الباب فوجدته يقلب بكفيه شيئاً والصبي نائم على بطنه ودموعه تسيل ، فلما امرني إن ادخل قلت يا نبي الله إن ابنك جاء فذهبت أتناوله فسبقني فلما طال عليّ خفت إن تكون قد وجدت علي فتطلعت من الباب فوجدتك تقلب بكفيك ودموعك تسيل والصبي نائم على بطنك، فقال : إن جبرائيل أتاني بالتربة التي يقتل عليها واخبرني إن أمي تقتله^(٢) .

(٢) وبإسناده عن انس بن الحرث قال: سمعت رسول الله (ص) يقول إن ابني هذا يعني الحسين يقتل بأرض العراق فمن أدركه منكم فلينصره^(٣) .

(٣) وبإسناده عن يحيى الحضرمي صاحب أمير المؤمنين (ع) قال: فلما سار - أي علي بن أبي طالب (ع) - إلى صفين وحاذى نينوى وهو منطلق إلى صفين نادى صبراً أبا عبد الله صبراً أبا عبد الله ، وهو بشط الفرات،

(١) الوحف : المسرع .

(٢) مقتل الحسين . ج ١ / ص ١٥٨ . لأبي المؤيد الموفق الخوارزمي المتوفى ٥٦٨ هـ .

(٣) المصدر السابق . ج ١ / ص ١٧٠ .

فقلت مالك يا أمير المؤمنين، قال: دخلت على رسول الله (ص) وعيناه تفيضان، فقلت: بأبي وأمي أنت ما لعينيك تفيضان، قال: قام من عندي جبرائيل آنفا فآخبرني إن الحسين يقتل بالفرات: وقال فهل لك إن أشمك من تربته قلت: نعم، فقبض قبضة من تراب واعطانيها فلم املك عيني إن فاضتا^(١) .

وأما الأحاديث النبوية التي تنص على إن قاتل الحسين بن علي هو يزيد واتباعه وان لهم اللعنة والخزي في الدنيا والآخرة فقد ورد كثير في هذا الاتجاه .

(١) روى الخوارزمي في مقتله عن ابن عباس عن رسول الله (ص) قال: اهتم لا تبارك في قاتل ولدي واصله نار جهنم ، اهتم اخذل من خذله واقتل من قتله ولا تمتعه بما طلبه.

(٢) وفي المصدر نفسه بإسناده، قال: خرج النبي (ص) في سفر فلما كان في بعض الطريق وقف فاسترجع ودمعت عيناه، فسئل عن ذلك، فقال: هذا جبرائيل يخبرني عن ارض بشاطي الفرات يقال لها كربلاء يقتل فيها ولدي الحسين بن فاطمة، فقليل: من يقتله يا رسول الله (ص)، فقال: رجل يقال له يزيد لا بارك الله في نفسه وكأني انظر إلى منصرفه ومدفنه بها وقد اهدي رأسه، ما ينظر أحد إلى رأس ولدي الحسين فيفرح إلا خالف الله بين قلبه ولسانه^(٢) .

(١) المصدر السابق . ج ١ / ص

(٢) المصدر السابق . ج ١ / ص ١٦٤ .

(٣) وفي حديث رواه معاذ بن جبل عن رسول الله (ص) وكان يتحدث عن دنو اجله وما تصير إليه الأمة من الافتتان فأوصى المسلمين بكتاب الله كما تحدث عن من يملكون زمام الأمور من بعده واخذ يعددهم قال معاذ بن جبل فأحصيت خمسة -أي من الخلفاء- فقال النبي (ص) يزيد لا برك الله في يزيد ثم ذرفت عيناه بالدموع^(١)...

لا ادري هل تدع هذه الأحاديث الشريفة الصريحة مجالا لأحد لكي يشكك في نوايا الحسين ، والعجيب من أمثال الخضري الذين أطبقوا جفونهم عن الحق حتى كأنهم لم يروه وراحوا يدافعون عن يزيد وآل أبي سفيان، يقول محمد الخضري في كتابه (محاضرات في تاريخ الأمة الإسلامية)، (فأن الحسين اخطأ خطأ عظيماً في خروجه هذا الذي جر على الأمة وبال الفرقة والاختلاف وزعزع عماد الفتها إلى يومنا هذا.. إن الرجل طلب أمراً لم يتهياً له ولم يعد له عدته فحيل بينه وبين ما يشتهي وقتل دونه... أما الحسين فإنه خالف يزيد وقد بايعه الناس ولم يظهر منه ذلك الجور ولا العنف عند إظهار هذا الخلاف) .

ويقول محمد النجار في كتابه (الدولة الأموية في الشرق) حيث يرى إن خلافة يزيد كانت شرعية وإنها من إمامة المفضول التي هي سائغة عندهم، ويقول: ليس هناك من مقتضى لخروج الحسين^(٢) .

(١) حياة الأقطار الحسين (ع). ج ١ / ص ١٠٢ .

(٢) نقلاً عن حياة الأقطار الحسين للقرشي .

إنه العناد والحب الصريح لبني أمية والبغض الدفين في القلوب لأهل البيت (ع)، أو أنه الجهل والسطحية في التفكير جعلاً أمثال هؤلاء يكتبون بأقلام منحازة، وإذا كان الأمر كذلك فليس صحيحاً إن يكتب أمثال الخضري والنجار في مواضع لا علم لهم بها (رحم الله أمراً عرف قدر نفسه) نعم كان على هؤلاء إن يتعبدوا بأحاديث الرسول في حق ولده أبي عبد الله التي مرت عليك ولا أدري كيف تكون خلافة الملعونين على لسان الرسول (ص) صحيحة وجائزة نعم على قاعدة الحق لمن ملك التي يعتقد بها علماء البلاط ووعاظ السلاطين .

العامل العامل
مطل

عاشوراء مع الفرائض
مطل

عاشوراء مجمع الفرائد

إن من العوامل المهمة في تخليد ثورة الإمام السبط (ع) كونه ثورة جمعت بين طياتها كل عجيب وغريب وفريد فاستحقت إن تسمى ثورة الفرائد والغرائب والعجائب، وكما نعلم إن كل عجيب يكون حديثاً على الألسن وقد الفت كتب عن عجائب الدنيا وغرائبها واليك عزيزي القارئ بعض الأمثلة حدثت - كما تعلم - آلاف الزلازل في العالم منذ القدم وحتى عصرنا هذا ولكن الحديث يركز على الغريب والفريد من الزلازل كالزلازل الذي دمر نصف العاصمة اليابانية طوكيو عام ١٩٢٣، والزلازل الذي ضرب شمال الصين عام ١٩٧٦، وآخرها زلزال إيران الذي قضى على نحو ٥٠ ألف إنساناً .

وهكذا حينما يكون الحديث عن الفيضانات يتبادر إلى الذهن اغرب فيضان في العالم وهو الذي حدث في زمن نوح (ع)، وقد تحدث القرآن عن حجم ذلك الطوفان الهائل، قال تعالى: (وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه قال يا بني اركب معنا قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) (١) .

نعم، لقد وصف القرآن أمواج طوفان نوح بأنها كالجبال وهذه الأمواج بهذا الشكل لعلها لم تشاهد حتى في المحيطات والبحار، كما إن هناك

(١) سورة هود . آية ٤٢ .

فيضانات بقيت خالدة لهُولها و غرابتها رغم بعدها الزماني كالفيضان الذي حدث قبل الميلاد لنهر هوانغ هو في الصين، و يفيض هذا النهر مرة ثانية وبشكل هائل فيشمل مساحة تقدر بـ ٥٠,٠٠٠ ميل مربع، ويمحو عدداً من القرى و يقضي على حياة ٩٠٠,٠٠٠ نسمة .

كما إن نهر يانغسي في الصين يفيض فيشكل بحيرة طولها ٨٠ ميلاً وعرضها ٣٥ ميلاً و يقضي على حياة ١٠٠,٠٠٠ نسمة ، و يفيض مرة ثانية في عام ١٩٣١ مهلكاً ٢٠٠,٠٠٠ نسمة ومشرداً أكثر من مليوني نسمة .
وهكذا كل حديث غريب تتناقله وكالات الأنباء والصحف ويتداول على السنة الناس .

نعم، إذا طبقنا هذه القاعدة على واقعة الطف نجدها غريبة وفريدة فهي بحق أم الغرائب ولهذا يقول السيد الحلبي :

غريباً أرى يا غريبَ الطفوف توسّد خديك كثبانها
وقتلِكَ صبراً بأيدي أبوك ثناها وكسّر اوثانها

إذن لتتوقف عند أهم عناصر هذه الواقعة الفريدة :

(١) الحسين(ع) هاتئذ الثورة :

لا تعلم الدنيا شخصاً برباطة جأشه وقوة جَنانه، فقد شق طريقه إلى كربلاء وكان الأمويون يقلبون الأمور ضده بسرعة البرق الخاطف، أو كما يقال اليوم بسرعة الضوء حتى حولوا في أيام قلائل من كتبوا إليه الكتب إن اقدم إلينا فقد اخضر الجنب وأينعت الثمار وإنما تقدم على جند لك مجندة تحول هؤلاء الجند المجندة إلى ألد الأعداء وكان يتم ذلك بعلم منه(ع)

ولكن دون إن يؤثر ذلك على استقامة مسيرته ومضى إلى كربلاء، وإن كلن قصده الكوفة، ولكن الجيش الأموي اضطره إن يتجه إلى كربلاء فوصل إليها ونصب خيامه وتجمع أمامه من جند الأمويين ما قدر بثلاثين ألف مقاتل ولم يكن معه إلا اثنان وسبعون أو يزيدون قليلاً ودارت الحرب وقتل من أولئك الاصحاب ٥٠ رجلاً في الحملة الأولى، ولم يزد سديد الشهداء إلا تصميماً على المضي، وهكذا حتى سقط الجميع ويواجه أبي العظيم جيشاً عظيماً، فكان هذا الإمام الفريد يقاتل قتالاً لا يرجع حتى يروي سيفه من دمائهم ثم يسترجع ويعود إلى أوساط النساء والأطفال ليطمئن على سلامتهم.

زوج السيف بالنفوس ولكن مهرها الموت والخضاب والنجيع

لذا كان من الطبيعي إن يظهر الرواة إعجابهم بهذه الشخصية لأنهم لم يسمعو بمثلها من قبل يقول عبد الله بن يغوث (ما رأيت مكثوراً قط قتل ولده وأهل بيته وأصحابه اربط جأشاً ولا أمضى جناً ولا أجراً مقدماً والله ما رأيت قبله ولا بعده وإن كانت الرجالة لتشدّ عليه فيشد عليها بسيفه فتتكشف عن يمينه وعن شماله انكشاف المعزى إذا شد فيها الذئب ولقد كان يحمل فيهم وقد تكاملوا ثلاثين ألفاً فينهزمون من بين يديه كأنهم الجراد المنتشر. أليس هذا الموقف الفريد للحسين(ع) ساعد في إدخاله إلى تأريخ الخالدين، نعم دخل التأريخ من أوسع أبوابه واحتل أكبر مساحة فيه .

٢) أصحاب الحسين عليهم الرضوان :

لا أغالي لو قلت إن أصحاب الإمام الحسين(ع) كانوا نسخة فريدة لم يشاهد العالم قبلهم ولا بعدهم مثيلاً لهم وسأثبت ذلك بالدليل بعد قليل.

أ - شهادة الإمام (ع) لهم :

لقد شهد (ع) بحقهم أنهم فوق جميع أصحاب الأنبياء والأوصياء قال لهم ليلة عاشوراء بعدما امتحنهم فما وجد فيهم إلا الصدق والوفاء لسيدهم فكرمهم بهذا الوسام (أما بعد، فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عني خيراً)^(١).

ب - من المعروف إن الرسول (ص) اخذ البيعة من أصحابه أكثر من مرة لإلزامهم بالقتال ومع وجود النبي معهم (ص) واخذ البيعة منهم فقد انهزم بعض أصحاب الرسول في أكثر من موقف وما صدر منهم في (أحد) فهو مما لا يمكن إن ينسى، (أفأن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم)^(٢)، ولكن لو قرأنا ملف أصحاب الحسين نجد إن الإمام لم يأخذ البيعة من أحد بل كان (ع) يقول لا ذمام عليكم اذهبوا فان القوم لا يطلبون أحداً غيري ولكن أولئك الرجال الصادقين قاتلوا وقتلوا جميعاً، ولم ينهزم أو يتراجع أو يندم أحد منهم وقد أجاد القائل:

ورأوا عظيم الخطب غير عظيم
وهنا يجوز تقدم المأموم

وردوا على الهيجاء ورود الهيم
وتقدموا للموت قبل إمامهم

(١) حياة الأقطار الحسين . ج ٣ / ص ١٦٦.

(٢) سورة آل عمران . آية ١٤٤.

ج - عصرهم عصر الثقلبات :

لو قارنا بين عصر النبي(ص) وعصر الإمام الحسين(ع)، وأخذنا بعض الخصوصيات نرى إن المقارنة غير ممكنة وذلك لأن شخصية النبي(ص) تختلف من حيث تأثيرها على الناس عن شخصية الحسين(ع)، لان الرسول لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وليس الأمر كذلك بالنسبة للحسين في نظر الناس وكذلك كان الرسول وأصحابه يقاتلون المشركين والحسين يقاتل أهل القبلة ومن يقرأون القرآن ويصلون الصلاة كما كان يفعل الحسين (ع)، كما إن النبي(ص) كان يقاتل بأصحابه قوما عذبوا المسلمين وسيطروا على أموالهم وفي عصر الحسين(ع) كان بنو أمية يمتنون الناس بالأموال لو تركوا نصرة الحسين ، واما من حيث العدد فقد كانت المواجهة بين النبي (ع) وخصومه الواحد يواجه ثلاثة وهو ما حصل في بدر، وأما بعدها من المعارك فقد كانت الكفتان متقاربتين واما في عاشوراء فقد كان الواحد من أصحاب الحسين(ع) يواجه المئات من جيش الأمويين الذين قطعوا الماء عن معسكر الحسين وهو العنصر الحيوي للإنسان فكانوا يقاتلون وهم في غاية الظمأ. واخيراً كان الرسول يمتني أصحابه بالنصر ويقول لهم كأني انظر إلى مصرع فلان وفلان يسميهم بأسمائهم واما في عصر الحسين، فقد كان الحسين يقول لهم (كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء) ولم يرد على لسانه(ع) ذكر النصر بمعناه المادي .

نعم إن الذي يتابع مواقف أصحاب الحسين يصل إلى هذه النتيجة أنهم

نسخة فريدة لا نظير لها .

(٣) المرأة في عاشوراء :

مثلت المرأة في أثناء فاجعة كربلاء ادواراً لا نظير لها سواء كانت أمّاً أو بنتاً اختاً أو زوجة .

فالأم قدمت وحيدها والبنت وقفت إلى جانب أبيها والأخت دفعت أخاها إلى ميدان الجهاد والزوجة شدت على يد زوجها ولعل بعضهن كانت حديثة العهد بالزواج فلم تمنعها عاطفتها وشدة حبها لزوجها إن تقول له: قاتل دون الحسين بن فاطمة، كان دين المرأة في كربلاء الحسين (ع) أقوى بكثير من عاطفتها وهي ظاهرة غريبة، ولأجل إن نتعرف على هذا العنصر الفعال في مجريات أحداث الطف وما بعدها نذكر بعض الأمثلة .

أ) ذكر الشيخ محمد السماوي في كتابه القيم (إبصار العينين في أنصار الحسين) عليه وعليهم السلام ، كان عمر بن جنادة الأنصاري غلاماً جاء مع أبيه وأمه فأمرته أمه بعد إن قتل أبوه في الحرب فوقف أمام الحسين (ع) يستأذنه فلم يأذن له فاعاد عليه الاستئذان ، قال أبو مخنف فقال الحسين إن هذا غلام قتل أبوه في المعركة ولعل أمه تكره ذلك ، فقال الغلام إن أمي هي التي أمرتني فأذن له فتقدم إلى الحرب فقتل وقطع رأسه ورمي به إلى جهة الحسين (ع) فأخذته أمه وضربت به رجلاً فقتلته^(١) .

وقيل: عادت إلى المخيم فأخذت عموداً وبرزت إلى القتال وهي تقول:

أني عجوز في النساء ضعيفة	بالية خاوية نحيفة
اضربكم بضربة عنيفة	دون بني فاطمة الشريفة

(١) إبصار العين . ص ٩٤ .

كم هي عظيمة هذه المرأة العجوز الضعيفة جسداً ولكنها أقوى من
الجليل إيماناً، لقد حققت اعظم انتصارٍ على الذات بإيمانها وحبها لأهل
البيت (ع) .

ب- ذكر الشيخ محمد السماوي في إِبصار العين ، إن عبد الله بن
عمير الكلبي كانت له زوجة تسمى أم وهب وهي امرأة صالحة دخل عليها
زوجها ذات يوم فاعلمها بتجمع الناس لحرب الحسين بن فاطمة واعلم
زوجته بميله إلى نصره الحسين (ع) فقالت له أصبت أصاب الله بك ارشد
أمورك، افعل وأخرجني معك فخرج بها ليلاً حتى أتى الحسين (ع) فأقام معه
حتى كان يوم العاشر من المحرم برز إلى القتال حتى قتل جماعة ثم عاد إلى
الحسين وقد قطعت أصابع إحدى يديه، قال أبو مخنف فأخذت أم وهب
امراته عموداً ثم أقبلت نحو زوجها تقول فداك أبي وأمي قاتل دون الطيبين
ذرية محمد فاقبل إليها يردها نحو النساء فأخذت تجاذب ثوبه وتقول لن
ادعك دون إن أموت معك وإن يمينه سدكت على السيف ويساره مقطوعة
أصابعها فلا يستطيع رد امرأته فجاء إليها الحسين (ع) وقال جزيتم من أهل
بيتٍ خيراً ارجعي رحمك الله إلى النساء فاجلسي معهن فإنه ليس على
النساء قتال، فانصرفت إليهن ولما بلغها استشهاد زوجها خرجت تمشي إليه
حتى جلست عند رأسه تمسح التراب عنه وتقول هنيئاً لك الجنة اسأل الله

الذي رزقك الجنة إن يصحني معك فقال شمر لعلامه رستم اضرب رأسها بالعمود فضرب رأسها فشدخه فماتت مكانها^(١) .

كل الإجلال والإكبار لهذه المرأة لجهادها ومؤازرتها زوجها في نصرة الحسين(ع) وهنيئاً لام وهب شهادتها في سبيل الله وفي محبة آل محمد في يوم عز النصر للحق .

ج- ومن النماذج النسوية العظيمة التي شاركت الحسين(ع) في كل كبيرة وصغيرة من شؤون الثورة تلك هي زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام المرأة التي أذهلت العالم بصلابتها وقوة قلبها ورباطة جأشها أنها امرأة عدم نظيرها في عالم النساء فأى امرأة تتحمل فقد أهلها في يوم واحد وعندما تقف على سبط الرسول (ص) وتراه بحالة تقطع الفؤاد وينهار أمامها الرجال لكن زينب بنت الرسول تحتضن جثمان أخيها وترفعه قليلاً إلى الأعلى، وتقول اللهم تقبل منا هذا القربان، وحينما توقف بين يدي الطاغية عبيد الله بن زياد فيسألها كيف رأت صنع الله بأخيك وأهل بيته؟ تجيبه بكل عنفوان محطمة عنفوانه (مارأيت إلا جميلاً هؤلاء قوم برزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن الفلج ثكلتك أمك يا ابن مرجانه). نعم إن زينب ضحت بولدها وإخوانها وأبناء عموماتها ورأت أجسادهم تقطع بأرجل الخيل ورؤوسهم تفصل عن أجسادهم، أمية ما حل بزينب ومن معها من النسوة لا تتحمل العين رؤيته .

(١) إِبصار العين / ١٠٦

جری ما جرى في كربلاء وعينها ترى ما جرى مما ينوب له الصخرُ
لقد أبصرت جسم الحسين موزعاً فجاءت بصبرٍ دون مفهومه الصبرُ
لقد أعطت المرأة في كربلاء صورة جديدة عن عالم النساء لأنها جسدت
صورة البطولة والإيثار وحب الشهادة في سبيل الله.

٤) الأطفال الشهداء :

أعني بالطفل الذي لم يراهق وبعبارة أخرى هو الذي لم يكلف شريعاً
ولكن هؤلاء الأطفال الحسينيين كانوا شيئاً آخر عن عالم الطفولة في مواقفهم
وطموحاتهم ، فإن المعروف عن الطفل في هذه السن كل طموحه هو توفير
وسائل اللعب واللهو وإن يعيش مدلاً في كنف والديه ولكن الطفولة في يوم
الحسين كانت تحمل وعياً دينياً كبيراً.

فهذا عمر بن جنادة الأنصاري الذي لم يبلغ الحلم يبرز إلى القتال مرتجراً :

أميري حسين ونعم الأمير سرور فؤاد البشير النذير
علي وفاطمة والداه فهل تعلمون له من نظير

انه اكبر من رجال الكوفة في تفكيره واستدلالة علي موقفه الحق انه
استدل بدليل مقنع، فهو يقول للألوف المجتمعة في صحراء كربلاء لقتال
الحسين إنني أقاتل إلى جانب أميري وإمامي لأنه ربحانة رسول الله سرور فؤاد
البشير النذير، وهو ابن علي وفاطمة وتعلمون من هما علي وفاطمة، فمن
كان كذلك فهو جدير بالاتباع ولكن الخزي والعار لمن ينصر خصمه يزيد
ومن هو يزيد انه عدو الله ورسوله ومن عرف بالتهتك والإجرام وكل
الموبقات، واما نسبه فهو ابن معاوية أبوه عدو الإسلام وأمه آكلة الأكباد.

انه الوعي الثاقب الذي كان أطفال المعسكر الحسيني يتمتعون به فكانوا حقاً عظماء ورجالاً أشداء ، فهم نسخة فريدة في عالم الطفولة، وإذا أردنا إن نربي أطفالنا فلتكن التربية على أساس مواقف هؤلاء العباقره الذين أعطوا لإسلامهم ولم يكونوا في عمر العطاء.

ولنتقل إلى طفل آخر، طفل عمرا ولكنه كبير إيمانا وعملا، انه القاسم بن الإمام الحسين (ع) - الذي كان على صغر سنه - يحمل هموم الإسلام في صورته فإذا استمعنا إليه وهو في ميدان الحرب يردد أرجوزته يتراءى لنا أنه: بطل خاض غمار الحروب فاكسب خبرة كبيرة، كلا ليس الأمر كذلك، انه لم يشاهد حرباً من قبل، ولكن تشخيصه لخطورة الموقف الذي يمر به الإسلام وإمام المسلمين الحسين (ع) دفعه إلى القتال لينال أشرف شهادة في سبيل الله، استمعوا إليه وهو يلخص الأهداف التي من أجلها خاض غمار الحرب، وكان يقول :

إن تنكروني فأنا نجل الحسن سبط النبي المجتبي والمؤتمن
هذا حسين كالأسير المرقن بين اناس لا سقوا صوب المزن
وكان (ع) يقول لا يقتل عمي وأنا أحمل السيف .

قارنوا بين هذا الطفل الغيور على حرمة الإسلام وبين قائد جيش الأمويين في كربلاء عمر بن سعد، إن عمر كان يقول :

أأترك ملك الري والري منيتي أم ارجع مأثوماً بقتل حسين
تعبساً لهذه الأفكار والمواقف الدنيئة التي لا تفكر إلا بذاتها ومصالحها، إن عمر يعلم بجرمة قتال الحسين ولكنه يصبر عليه لان ذلك يجني له الأرباح.

نزل القاسم إلى الحرب لا يحمل أقصى سيفاً بيده ونعللاً في رجليه وانطلق يحصد الرؤوس كأن المنايا كانت طوع أمره يقذف بها من يشاء، وبينما هو يقاتل إذ انقطع شسع نعله فأبى سليل النبوة إن تكون إحدى رجليه بلا نعل - كما يقول القرشي - فوقف يشده متحدية تلك الوحوش الكاسرة واغتم هذه الفرصة الخبيث عمر بن سعد الازدي فشده على الغلام بسيفه فضربه فهوى إلى الأرض صريعاً .

وهكذا جسّد هذا الفتى الإسلامي أروع صور التضحية والفداء، وأضاف هذا الفتى قوة إلى دينه الذي تربي على قيمه وتعاليمه، وما زالت كل الأجيال جيلاً بعد جيل عندما تقرأ الصفحات المشرقة لهذا البطل تنهل منه الروح الثورية والتحدي للظالمين.

إن القاسم بموقفه هذا غذى أرواحنا بما تحتاج إليه من غذاء معنوي، وإنه جعلنا نفكر في إسلامنا أكثر من تفكيرنا بمصالحنا الخاصة لأنه قدوتنا ورائدنا في الحياة. وأخيراً نستطيع القول إن هذه الصورة الغريبة عن ذهن الإنسان ساعدت في تخليد ذاتها فاستحقت الخلود لأنها فريدة من نوعها .

(٥) الشيوخ : الشباب .

أعني بالشيوخ أولئك الذين جاوزوا الثمانين في أعمارهم ولكنهم شباب في همهم وجهادهم، وهؤلاء كانوا معجزة في جهاد الطغف، حيث أنهم أبلوا بلاءاً حسناً أذهل جيش الأمويين .

أ - فهذا عابس بن أبي شبيب الشاكري شيخ جاوز التسعين من عمره نزل إلى القتال وهو يشد حاجبيه بعصابة لأنها كانت تتدلى على عينيه لكبر سنه تقدم

إلى القتال وهو يخاطب الإمام الحسين(ع): يا أبا عبد الله أما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريب وبعيد اعز علي ولا احب منك ولو قدرت على إن ادفع عنك الضيم والقتل بشيء اعز علي من نفسي ودمي لفعلته، السلام عليك يا أبا عبد الله اشهد أني على هداك وهدى أبك وينسب إليه قوله حب الحسين أجني، قال ذلك لما سئل يا عابس أجننت ؟

عندما نزل إلى القتال صاح الناس أسد الأسود هذا ابن أبي شبيب لا يخرجن إليه أحد فأخذ ينادي ألا رجل ألا رجل، فلم يتقدم إليه أحد، فلما رأى ذلك ألقى درعه ومغفرة خلفه ثم شد على الناس، يروي أحدهم قائلاً : فوالله لقد رأيته يكرد - يطرد - أكثر من مأتين من الناس ثم انهم تعطفوا عليه من حواليه فقتلوه واحتزوا رأسه فرأيت رأسه في أيدي رجال ذوي عدة هذا يقول أنا قتلتـه وهذا يقول أنا قتلتـه فأتوا عمر بن سعد فقال لا تختصموا هذا لم يقتله إنسان واحد كلكم قتله ففرقهم بهذا القول^(١) .

إن قوة الإيمان والافتداء بقيادة المسلمين يعطي كل القوة والثبات لأصحابه فأن عابس كان أسدا ضاريا بقوة إيمانه وتأسيه بأئمة أهل البيت(ع) وحبهم لهم، فقد كان رضوان الله عليه من أصحاب أمير المؤمنين(ع) ثم الحسن والحسين عليهما السلام وكان من ابرز رجال الشيعة في الكوفة .

ب- جيب بن مظاهر الاسدي :

تشرف جيب بحمل راية الإسلام في عاشوراء، وكان في عقده التاسع لكنه كان يتحرك على أكثر من محور فتارة يلزم الحسين(ع) في حواراته ومفاوضاته مع

(١) إِبصار العين . ص ٧٦ .

الجيش المعادي، وأخرى يدعو قومه من بني أسد إلى نصره الحسين(ع)، وتارة يطمئن على بنات الرسالة بأنه لن يمسهن سوء - وذلك في ليلة عاشوراء - مادام حبيب وأنصار الحسين على قيد الحياة وأخرى ينصح عسكر بن سعد بالحجة والدليل لينحازوا إلى نصره آل الرسول. ومن كلماته رضوان الله عليه (معاشر القوم انـه والله لبئس القوم عند الله غداً قوم يقدمون على الله وقد قتلوا ذرية نبيه وعترته وأهل بيته وعباد أهل هذا المصر المجتهدين بالأسحار والذاكرين الله كثيراً)^(١).

انه كان جديراً بحمل راية الحق فقد كان ذا سابقة بنصرة أهل البيت(ع) فهو من أصحاب رسول الله الأخيار، وصاحب أمير المؤمنين عليا(ع)، وكان من خاصته وحملة علومه ومن الملازمين للحسن والحسين(ع) ولمنزله عند أهل البيت(ع) كتب إليه الحسين(ع) رسالة يدعو فيه إلى نصرته^(٢).

نعم إن أي إنسان يقرأ عن ملاحم حبيب بن مظاهر يوم الطف لا يصدق انه كان بهذا العمر، ولكن الإيمان وحب أهل البيت(ع) يمنحان المؤمن كل القوة والنشاط والحيوية، فالإنسان قوي بعقيدته إذا تفاعل معها ولا غرابة في مواقف هذا الرجل الفقيه الحافظ للقرآن العامل بالسنة الذي صلبَ في حب أهل البيت .

هذه الغرائب العاشورية أعطت لثورة الحسين بعداً آخر خلودها وبقائها وفق الأسس الإنسانية في التعامل مع كل حدث غريب، لذا كانت الغرائب والعجائب في ثورة الحسين من أسباب خلودها .

(١) إِبصار العين . ص ٥٨ .

(٢) ورد في كتاب الحسين (ع) الذي أرسله المرأة حبيب بن مظاهر : من الحسين بن علي بن أبي طالب المرأة الرجل الفقيه حبيب بن مظاهر ، إليهن بعد : يا حبيب فأنت تعلم قرابتنا من رسول الله وأنت اعرف بنا من غيرك وأنت ذو شيمة وغيرة ، فلا تبخل علينا بنفسك .

الْعَامِلُ السَّامِعُ

السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ وَالْأَمَامُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ

عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

بِحَقِّكَ أَنْ تُورِدَ الْحُسَيْنَ (ع)

السيدة زينب والإمام علي بن الحسين عليهما السلام

لقد كان لأهل البيت (ع) الناجين من واقعة كربلاء أثر في إحياء هذا الحدث واستثماره بالشكل الحسن ومن أولئك السيدة زينب والإمام علي بن الحسين عليهما السلام، فقد كان لهما مساهمة في كل صغيرة وكبيرة في تلك الثورة . وابدأ أولاً بالحديث عن السيدة زينب (ع) ثم بالحديث عن الإمام علي بن الحسين (ع).

(أ) السيدة زينب عليها السلام :

إن الحديث عن هذه السيدة يتمحور في نقطتين :

أ) ملامح من شخصيتها .

ب) جهادها في ثورة الحسين (ع) .

(أ) ملامح من شخصية الحوراء زينب (ع) :

١ - عقيلة الطالبين :

لم تلقب بهذا اللقب إلا لمكانتها فيهم ، وهم سادة العالم ، لأن العقيلة هي المرأة الكريمة على قومها، العزيزة في بيتها إنها استحقت هذا اللقب بجدارة فقد عرفت بالموثقة والعارفة والعالمة غير معلمة والفاضلة والكاملة وعابدة آل علي والصديقة الصغرى، يقول الشاعر :

فلولا أمها الزهراء سادت نساء العالمين بلا جدال
لها تنمى المكارم حيث كانت وفيها ينتهي شرف الخصال

٢ - يقينها (ع) :

ذكر العلامة النقدي : في كتابه - زينب الكبرى - رأي علماءنا في يقينها ، فقال : ولا أحد يشك في عصمتها .

أقول : إن مواقفها وتحملها لكل المصائب يدل دلالة واضحة على قوة يقينها ، لله درها فأى رجل من الرجال فضلاً عن النساء يستطيع أن يتحمل تلك المشاهد من ذبح الرجال واضطهاد الأطفال وحرق الخيام مع ذلك تقول (ع) لعبيد الله بن زياد : ما رأيت إلا جميلاً، إنها معجزة النساء، إنها تقف على جثمان أخيها الحسين (ع) فتطيل النظر إليه ثم ترفعه قليلاً إلى الأعلى وترمق السماء بطرفها قائلة : اللهم تقبل منا هذا القربان.

وقد أجاد الأستاذ باقر القرشي الذي قال معلقاً على هذا الموقف : إن الإنسانية لتحنى إجلالاً وخضوعاً أمام هذا الإيمان الذي هو السر في خلود قضية الحسين ، لقد تحملت بطلا كربلاء أعباء تلك الحن الشاقة وتجرعت غصص تلك الأهوال محتسبة الأجر عند الله وهي تتضرع إلى الله أن يتقبل ذلك القربان^(١) .

٣ - علمها (ع) :

إن هذه السيدة كانت عالمة فاقت بعلمها نساء زمانها، فقد كان الخبر عبد الله بن عباس يتعلم منها كما ورد عنه قوله حدثني عقيلتنا بجديث

(١) حياة الإمام الحسين . ج ٣ . ص ٣٠٤

فدك - أي خطبة الزهراء (ع) - وكان لها مجلس في المدينة والكوفة لتفسير القرآن الكريم ، ويكفيها فخرا قول الإمام السجاد (ع) : يا عمة أنت بحمد الله عالمة غير معلمة وفهمة غير مفهمة .

ولا غرابة أن تكون الحوراء بهذا المستوى من العلم لأنها ربيبة ستة من المعصومين من رسول الله (ص) جدها وعلي أمير المؤمنين أبيها وفاطمة الزهراء أمها والحسن والحسين أخويها والإمام السجاد ابن أخيها .

إنها عاشت مع جدها وأمها ست سنين وأربع وثلاثين سنة مع أبيها وكانت ملازمة له في المدينة والكوفة وبقية عمرها عاشته مع البقية من المعصومين الثلاثة عليهم السلام .

ومن يلزم أمثال هؤلاء العظماء لابد أن يكون مثلهم لاسيما وأنهم كانوا يعدونها لمثل هذا اليوم ومن يتأمل في خطبها يجد فيها العلم الغزير والدقة في الفكر مع فهم عميق لمفاهيم الإسلام والقران :

رَبِيبَةُ عَصْمَةٍ طَهَّرَتْ وَطَابَتْ وَفَاقَتْ فِي الصِّفَاتِ فِي الْفِعَالِ
وَكَانَتْ كَالْأُتَمَةِ فِي هِدَاهَا وَانْقَازِ الْأَنَامِ مِنَ الضَّلَالِ

٤ - عبادتها (ع) :

ذكر العلامة النقدي وغيره من المؤرخين: إنها كانت تقضي عامة لياليها بالتهجد وتلاوة القرآن حتى إنها ما تركت تهجدها لله تعالى طول دهرها حتى ليلة الحادي عشر من المحرم، وقد روي عن زين العابدين (ع) إنه رآها تصلي تلك الليلة من جلوس، وكذلك كانت تواصل تعبدها في طريق الشام مع كل المصائب النازلة بها ولكثرة عبادتها سميت بعبادة آل علي

وهذه التسمية لها معنى دقيق لان العبادة رائجة في هذا البيت أكثر من أي بيت من بيوتات المسلمين، هذا البيت الذي انزل الله تعالى فيه: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)^(١). وفيه انزل الله تعالى: (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال)^(٢). مع كل هذا فزینب (ع) عابدة هذا البيت :

فكانت في المصلی إذ تناجي وتدعوا الله بالدمع المذال
ملائكة السماء على دعاها تؤمن في خضوع وابتهاال

٥- زهدا (ع) :

ورد في بعض الكتب المعتمدة إنها (ع) ما ادخرت شيئاً من يومها لغدها، إنها كانت تشد حجر الجماعة على بطنها لأنها كانت تنفق ما لديها من مال في سبيل الله وان هجرتها مع أخيها الحسين (ع) وتركها لبيتها وما فيه لأكبر دليل على زهدا وان هذه السيدة بزهدا استطاعت أن تجتاز كل الأزمات التي سببها لهم قلة الطعام والماء في كربلاء .

إن الله هياً أهل البيت لأمثال هذه الأيام العصيبة، حيث إن هناك علاقة وطيدة بين حادثة (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً) الحادثة المعروفة وبين جوعهم وعطشهم في كربلاء :

وزاهدة لدار الخلد تافت ولم تركزن إلى دار الزوال
فعافت كل ما ملكت يداها لوجه الله من نشب ومال

(١) سورة الأحزاب . آية ٣٣ .

(٢) سورة النور . آية ٣٦ .

٦- صبرها وتسليمها إلى الله عز وجل :

لا يستطيع أحد أن يتصور مدى صبر الحوراء زينب وتسليمها إلى ربها هذه المرأة التي لازمت الحسين (ع) من اللحظات الأولى من إعلانه الثورة حتى استشهد وهي تنظر إليه ثم جاء دورها بعد مقتل أخيها والبره من أهل بيته وأصحابه وهي لم تقل كلمة تدل على الجزع والندم أو ما ينقص من عظمتها بل كانت توكل الأمور إلى الله وتؤكد إن ما حصل كان بعين الله وفي سبيل الله متحدياً الطغيان الأموي. (فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك فوا الله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا .. ولا يدحض عنك عارها هذا ما قالته ليزيد).

ولعل المؤرخين ظلموا هذه السيدة العظيمة عندما وصفوها بالمتطيرة وإنها انكسرت أمام خصومها أكثر من مرة، هذا ليس صحيحاً لأن زينب (ع) كانت القائد للثورة بعد أخيها الحسين (ع)، وأي انهيار منها يعني انهيار الثورة بكاملها لذالم يكن أي انهيار أو انكسار قد حصل لزينب بنت علي (ع).

سلام على القلب الكبير وصبره	بما قد جرت حزننا له الادمع الحمر
جوى ما جرى في كربلاء وعينها	ترى ما جرى ما ينوب له الصخر
لقد أبصرت جسم الحسين موزعا	فجائب بصير دون مفهومه الصبر

ويقول المرحوم حسين الحاج وهج :

بربك من كزيب في البرايا	لوقع النائبات غدت حولـه
فيا لله ما لاقى وقاست	من الأشرار أرباب الرذيلة
فأبدت بعد يوم الطف حزمـا	وما من حرة أبدت مثيلـه

ويقول المرحوم الشيخ محمد رضا آل صادق :

أبدت جميل الصبر وهي وقورة أنى يحاط بمن بعرضة كـربلاء
أنى يحاط بمن بعرضة كـربلاء لم تشك مما ناهى واعصوباً

ب- جهادها في ثورة الحسين (ع) :

لقد قيض الله تعالى هذه المرأة العظيمة لهذا الحدث الإسلامي العظيم إلى جانب الإمام العظيم، ولعل قائلاً يقول لماذا ؟

الجواب: ينطلق من كيان المرأة إسلامياً وإنسانياً واجتماعياً وعريبياً، فالمرأة في الإسلام مهما قالت لا يجوز قتلها والاعتداء عليها وهذا ما حصل لزینب نفسها عندما همّ ابن زياد بضربها أو قتلها قال له عمر بن حريث إنها امرأة ، والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها ، لذا فكونها امرأة لها ان تخطب وتتحدى والتحدى غير ممكن بين رجل ورجل لا سيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار ان الزعامة وبكل عناصر القوة المادية كانت بيد خصوم أهل البيت (ع)، لذا خطبت زينب (ع) بكل صراحة وتناولت التاريخ الأسود لبني أمية وتحذتهم وتعرضت لتاريخ آل زياد كل ذلك في مجالسهم وأمام مسمع ومرأى الحاضرين والذي منعهم من معاقبتها كونها امرأة .

وإما إنسانياً فالحكم كذلك بالإضافة إلى أن المرأة أقدر من الرجل على إثارة العواطف وتحريك الضمائر وهذا ما حققته الحوراء (ع) في أول كلماتها مع أهل الكوفة لذلك قالوا لها: حسبك يا ابنة الطاهرين فقد أحرقت قلوبنا وأنضجت نحورنا وأضرمت أجوافنا .

كما ان المؤرخين ذكروا: ان تحريك الأمة وتأليبها ضد الأمويين بعد واقعة الطف ينسب إلى هذه السيدة كما ينص العبيدي في أخبار الزينيات .
وأما عربياً فإن شعار المجتمع العربي في ما يخص المرأة فهو كما عبر شاعرهم :

كتب القتل والقتال علينا وعلى الفانيات جر الذبول
حيث ان العرب تحرم قتل النساء وتعتبر ذلك عاراً لو أقدم عليه أحد، لذا كون الحوراء زينب(ع) إنها امرأة منحها حصانة عن القتل والعقاب، لذلك كانت تخطب بحرية تامة وقد ركزت في خطبها على الأمور التالية :

(١) التركيز على شخصية الإمام الحسين(ع) ونزاهته، وقد ربطت في كلماتها بين الحسين وبين جده المصطفى(ص)، إذ قالت (ع): (أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم وأي دم له سفكتم وأي حرمة له انتهكتم وأي كريمة له أبرزتم) .

وكأنها قالت أن المقتول هو الرسول(ص) وهو المعتدى على حرمة لا الحسين وحده، لأن الحسين هو الوريث لرسول الله (ص) وأبنه والمبلغ لرسالته.

(٢) تطبيق النصوص والمفاهيم القرآنية على شخصية الحسين(ع) وأنصاره الذين استشهدوا معه، إذ قالت(ع)، (ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بقتل حزب الشيطان الطلقاء)، فهنا طبقت سلام الله عليها المصطلح القرآني بحق الأمة المؤمنة حزب الله على الحسين واتباعه كما طبقت مصطلح حزب الشيطان على يزيد واتباعه.

واستشهدت سلام الله عليها في نفس الخطاب بآية (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل إحياء عند ربهم يرزقون)^(١) .

إنها استشهدت بهذه الآية وهي تتحدث عن جبهتي الصراع أهل البيت (ع) وخصومهم بني أمية حيث أشادت بمزايا أهل البيت وأثنت على الشهداء وتطرقت إلى التاريخ المخزي لبني أمية وحملت يزيد مسؤولية هذه الفاجعة المؤلمة فقالت له : وحسبك بالله حاكماً ومحمد خصيماً و بجبريل ظهيراً وسيعلم من سؤل لك وممكنك من رقاب المسلمين بئس للظالمين بدلاً وأيكم شراً مكاناً و اضعف جنداً .

٣) إيقاظ الضمير والأشعار بالإثم :

كان الخطاب الزينبي بعد واقعة الطف يستهدف إيقاظ الأمة واشعارها بالإثم سواء الأمة التي شاركت في قتل الحسين أو التي سكنت عن الجريمة البشعة بحق الحسين وأصحابه وفي هذا الصدد تقول لهم بأنكم ضيعتم تاريخكم المجيد وهدمتكم كل بناء بنيتموه، لذا وصفتهم في خطبتها في الكوفة بمحقاء قريش وانهم أهل غدر ومكر قالت (ع) : الحمد لله وصلواته على أبي محمد رسول الله (ص) وعلى اله الطاهرين الأخيار .

أما بعد: يا أهل الكوفة يا أهل الختل والغدر أتبكون فلا رقأت الدمعة ولا هدأت الرنة إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم ألا بئس ما قدمت لكم أنفسكم ان سخط الله عليكم وفي العذاب انتم خالدون. أتبكون وتنتحبون أي والله فابكوا

(١) سورة آل عمران . آية ١٦٩ .

كثيراً وضحكوا قليلاً.. لقد جئتم بها خرقاء شوهاء كطلاع الأرض وماء السماء افعجبتكم أن مطرت السماء ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون.. قال خزيمة الاسدي -وهو أحد الحاضرين الذين سمعوا خطابها-: لم أرَ والله خفرة انطق منها كأنما تفرغ عن لسان الإمام أمير المؤمنين ورأيَ الناس بعد خطابها حيارى واضعي أيديهم على أفواههم ورأيت شيخاً قد دنا منها يبكي حتى اخضلت لحيته وهو يقول: بابي انتم وأمي كهولكم خير الكهول وشبابكم خير الشباب ونسائكم خير النساء ونسلكم لا يبور ولا يخزى أبداً^(١).

وهكذا أحدثت خطبها في أكثر من موقع شعوراً بالإنتم وإيقضت ضمير الأمة. ومنذ ذلك الحين وإلى يومنا هذا لازالت أصداء الكلمات الزينية ترن في مسامع الدنيا لتكون إحدى عوامل الصحوة الإسلامية، يقول المؤرخ الإنجليزي جيبون: (إن مأساة الحسين المروعة على الرغم من تقادم عهدها تثير العطف وتقر النفوس من اضعف الناس إحساساً وأقساهم قلباً)^(٢).

٤) تأليب الأمة على النظام الأموي :

لقد عملت السيدة زينب(ع) بكل قوة لفضح الأمويين وسلب الشرعية عن خلافتهم وتحريك الأمة للثورة عليهم .

مع علمها بالرد العنيف من قبلهم وكانت تستخدم في خطبها ألفاظاً لها مداليل في فكر الأمة مثل الطلقاء قالت ليزيد(امن العدل يا بن الطلقاء)، والطلقاء هم مسلمو ما بعد الفتح المكي وهؤلاء حرم الرسول(ص) عليهم الخلافة.

(١) مقتل الحسين (ع). ص ١٣٨. عبد الزهراء الكعبي .

(٢) مجلة الثقافة الإسلامية . عدد ٥٠ .

فقد ورد عنه (الخلافة محرمة على الطلقاء وأبناء الطلقاء)، مع ملاحظة ان الخلافة بمعناها الشامل لزعامة الأمور الدينية والدنيوية لا تكون إلا بالنص وهي خاصة بأهل البيت (ع) وفق المدرسة الشيعية والمقصود من الحديث المتقدم والله العالم ان المسلمين لو قبلوا بخلافة بعض الصحابة فلا يجوز لهم ان يقبلوا بتسلط الطلقاء وأبناء الطلقاء على رقابهم ولعل الحديث النبوي (إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه) يعين الموقف الإسلامي من الطلقاء وأبناءهم.

والحوراء (ع) أرادت هذا المعنى عندما عبرت عن يزيد بأنه ابن الطلقاء فكأنها كانت تناشد المسلمين قائلة لهم: ان هذا الشخص لا يحق له ان يكون حاكماً عليكم، أيها المسلمون ثوروا عليه حاربوه، وقد فهم أصحاب الضمائر الحرة هذا الخطاب الثوري فأعلنوا الثورة عليه وقاتلوه ولم يقتلوا إلا بعد زعزعة أركان حكمه وهذا ما حصل لأهل المدينة بقيادة عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة^(١).

كما ركزت زينب الثائرة من اجل تحريك الأمة على صلتهم برسول الله (ص) ومع هذا فان يزيد يصون نسائه وجواريه ويشهر بنات محمد (ص) بين الناس وما أدخلوهم بلداً إلا هيثوا الناس للتفرج على آل محمد (ص) بحالة يندى لها الجبين لذا أعطت الحوراء قسطاً من خطاباتها لهذه القضية، وقد

(١) حياة الإمام الحسين . ج ٣ . ص ٤٤٩ / القرشي.

وأضاف : لقد كانت شقيقة الحسين وحفيدة الرسول (ص) زينب تلهب العواطف للطلب بثأر أخيها وقد رأى أهل المدينة ان الخروج على يزيد واجب شرعي فخلعوا بيعته رسمياً وأعلنوا الثورة على حكومته .

حققت الغرض عندما عرضت هذه القضية في مجلس يزيد قائلة: (امن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك إماءك وسوقك بنات رسول الله(ص) سبايا قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن تحسدوا بهن الأعداء من بلد إلى بلد ويستشرفهن أهل المناهل والمعاقل ويتصفح وجوههن القريب والبعيد ليس معهن من حماقن حمي ولا من رجاهن ولي ...

وقد أثرت هذه المأساة في نفوس المسلمين وقد نضم خطبتها الشعراء في شعرهم ما لا يحصى كثرة ومن متقدمي الشعراء دعلج بن علي الخزاعي المعاصر للإمام الرضا(ع) نظم في تائيته هذه المصيبة بقوله :

بنات زياد في القصر مصونة وآل رسول الله في الفلوات
وآل رسول الله تسبي حريمهم وآل زياد ربة الحجالات

هذا وقد استثمر أهل البيت هذه المظلومية أحسن استثمار، ووظفوها لتحريك الأمة فقد كان الإمام السجاد يبكي ليل نهار بعد فاجعة كربلاء فإذا قيل له ألم يكن القتل لكم عادة وكرامتكم من الله الشهادة ؟ فيجيب قائلاً : وهل سبي النساء لنا عادة؟ .

ان زينب بنت علي(ع) هزت بكلماتها ومواقفها وشجاعته أركان الدولة الأموية التي راح قادتها يفكرون في أمر هذه السيدة كيف يتعاملون معها أيقتلونها؟ ليس صحيحا لأنهم ارتكبوا قبل قليل مجزرة بحق أهلها ولا زالوا يدافعون عن أنفسهم وإصاق هذا العار بغيرهم كما ينسب إلى يزيد نفسه انه قال لقد تعجل عليه ابن مرجانه والله ما أمرته بقتل الحسين ...

إذن ماذا؟ أتركوها في المدينة؟ هذا ليس صحيحاً لأن زينب (ع) كانت لا تهدأ عن فضح بني أمية يقول العبيدلي في -أخبار الزينبيات- واصفاً حالتها بعد رجوعها إلى المدينة وكيف واجهها النظام الأموي قال: (ان زينب الكبرى بعد رجوعها من أسر بني أمية إلى المدينة أخذت تؤلب الناس على القيام بأخذ ثأر الحسين وخلع يزيد فبلغ ذلك أهل المدينة فخطبت فيهم زينب وصارت تؤلبهم على القيام للأخذ بالثأر فبلغ ذلك عمر بن سعيد الأشدق فكتب إلى يزيد يعلمه بالخبر فكتب إليه ان يفرق بينها وبينهم -الناس- فأمر ان ينادى عليها بالخروج من المدينة والإقامة حيث تشاء فأبت الخروج ولكنها أجبرت على الخروج) (١).

ويغلب على ظني: أن السيدة زينب (ع) اختارت قرى الشام لوجود ضيعة لزوجها عبد الله بن جعفر، ولعل هناك أسباباً خفية أخرى، وهناك من يذهب من المؤرخين إلى إنها اختارت مصر.

وكما أن لها مرقداً في الشام يقصده الزائرون، كذلك فإن لها مرقداً في مصر يحضى بتقديس المصريين له.

إلى هنا ينتهي الحديث عن بطلة كربلاء زينب بنت علي (ع) وان كان بودي ان أزيد ولكن الاختصار أولى .

(١) أخبار الزينبيات . ص ١١٧

(ب) الإمام علي بن الحسين عليه السلام :

كما قلنا عند الحديث عن السيدة زينب (ع) ان وجودها في كربلاء ضرورة حتمية، كذلك نقول عن الإمام السجاد (ع) لان عاشوراء الثورة كانت بحاجة إلى عنصرين امرأة ورجل يكمل الواحد للآخر الرسالة التي ضحى الحسين (ع) من اجلها فأن وجود زينب بعد الحسين يتيح للحقائق ان تظهر اكثر لأنها امرأة تستطيع ان تقول أشياء يمنع على الرجل ان يخوض فيها، وان وجود علي بن الحسين (ع) يعني الجدية في طلب الحق لان زينب في نظر الناس مهما بلغت من الكمال فإنها تبقى في نظرهم امرأة وتقييم البشر للمرأة دون المستوى المطلوب، لذا قال ابن زياد عنها: أنها سَجّاعة، وقال يزيد فيها إنها صائحة. فقد سعى كلاهما إلى التقليل من أهمية خطبها (ع)، إلا ان الإمام السجاد لم يستطع أحد منهما الطعن بخطبه أو التقليل من أهميتها .

نقل المؤرخون: انه جاء شيخ من أهل الشام إلى الإمام السجاد فقال: الحمد لله الذي قتلکم وأهلكم وأراح البلاد من رجالکم وأمكن أمير المؤمنين -يزيد- منکم، فقال علي بن الحسين (ع): يا شيخ هل قرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: فهل قرأت هذه الآية (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى)، قال: نعم قد قرأت ذلك، فقال (ع) له: فنحن القربى يا شيخ فهل قرأت في بني إسرائيل (وآت ذی القربى حقّه)، فقال الشيخ: قد

قرأت، فقال: فنحن القربي يا شيخ، فهل قرأت هذه الآية (واعلموا إنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول ولذي القربي)، قال: نعم، فقال له: فنحن القربي يا شيخ فهل قرأت هذه الآية (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)، قال الشيخ: قد قرأت ذلك، فقال(ع): فنحن أهل البيت الذين خصنا الله بآية الطهارة يا شيخ .

قال الراوي فبقي الشيخ ساكناً نادماً على ما تكلم وقال: بالله إنكم هم، فقال(ع) تالله أنا لنحن هم من غير شك وحق جدنا رسول الله(ص) إنا لنحن هم ، فبكى الشيخ ورمى عمامته ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم انا نبرأ إليك من عدو آل محمد(ص) من جن وانس، ثم قال: هل لي من توبة؟ فقال(ع): نعم، ان تبت تاب الله عليك وأنت معنا، فقال أنا تائب فبلغ يزيد بن معاوية حديث الشيخ فأمر به فقتل^(١) .

ان للإمام علي بن الحسين تأثيراً مباشراً على مستمعي خطبه في الكوفة والشام لقد خطب(ع) في الكوفة فقال(ع): بعد الحمد والثناء على الله والصلاة على محمد وآل محمد - أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا اعرفه بنفسي أنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، انا ابن من انتهكت حرمة وسلبت نعمته وانتهب ماله وسبي عياله انا ابن المذبوح بشط الفرات من غير ذحل ولا تراث، انا ابن من قتل صبراً وكفى بذلك فخراً، أيها الناس ناشدكم الله هل تعلمون إنكم كتبتُم إلى أبي وخدمتموه وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة وقاتلتموه فتبا لما

(١) اللهوف ، ص ٧٧ .

قدمتم لأنفسكم وسوءة لريكم بأية عين تنظرون إلى رسول الله (ص) إذ يقول لكم قتلتم عترتي وانتهكتم حرمتي فلستم من أمتي. قال الراوي فارتفعت الأصوات من كل ناحية يقول الناس بعضهم لبعض هلكتم وما تعلمون فقال (ع) رحم الله امرأ قبل نصيحتي وحفظ وصيتي في الله وفي رسوله وأهل بيته فأن لنا في رسول الله (ص) أسوة حسنة، فقالوا بأجمعهم كلنا يا ابن رسول الله سامعون مطيعون حافظون لدمامك غير زاهدين فيك ولا راغبين عنك فمرنا بأمرك يرحمك الله فأنا حرب لحربك وسلم لسلمك لناخذن يزيد لعنه الله ونبرء ممن ظلمك^(١).

لقد استطاع الإمام (ع) بكلماته ان يحدث في أهل الكوفة انقلاباً في الولاء والبراء حولهم ولو في تلك الساعة من موالين لبني أمية إلى أعداء لهم، كما استطاع ان يوجههم نحو الشعور بالمسؤولية حيث نقلهم من التفكير بعالم الدنيا إلى عالم الأخرى، ورأى الإمام (ع) ان لا يمنح لعواطفهم آنذاك بل أراد ان يزيدهم شعوراً بالإثم، حيث رد عليهم بقوله: هيهات هيهات أيها الغدرة المكررة لقد حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم أتريدون ان تأتوا الي كما أتيتم إلى أبي من قبل... ثم قال لهم موجهاً عواطفهم وأحاسيسهم تلك، ومسألتي ان تكونوا لا لنا ولا علينا رضينا منكم رأساً برأس.

لقد ترك الإمام المجال لأهل الكوفة لتقييم أنفسهم ومحاسبتها فهم بحاجة إلى دورة صقل وإعادة البناء الروحي لهم.

(١) اللهوف، ص ٦٩.

ان المتابع لخطب الإمام علي بن الحسين يلحظ فيها نقطة مشتركة بينها جميعاً وهو المحور الذي اهتم به (ع) عند حديثه في اكثر من مكان، إلا وهو التعريف بهوية أهل البيت (ع) والتركيز على دورهم في الحياة الإسلامية وهو ما كانت جماهير الشام تجهله لأنها عاشت تحت ظل الإعلام الأموي الهادف إلى إبعادهم عن آل محمد ورجال الإسلام الحقيقيين لذا وقف عليه السلام في مجلس يزيد خطيباً: أيها الناس أعطينا ستاً وفضلنا بسبع ، أعطينا العلم والحلم والسماحة والفصاحة والشجاعة والمحبة في قلوب المؤمنين، وفضلنا بأن منا النبي المختار (ص)، ومنا الصديق، ومنا الطيار، ومنا أسد الله وأسد رسوله، ومنا سيدة نساء العالمين فاطمة البتول، ومنا سبطا هذه الأمة وسيدا شباب أهل الجنة .

أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي: أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن زمزم والصفاء، أنا ابن من حمل الزكاة بأطراف الرداء، أنا ابن خير من انتزر وارتدى، أنا ابن خير من انتعل واحتفى، أنا ابن خير من طاف وسعى، أنا ابن خير من حج ولبي... إلى ان قال: أنا ابن من دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، أنا من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا لا اله إلا الله .. أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيدة النساء، أنا ابن الطهر البتول، أنا ابن بضعة الرسول (ص)، أنا ابن المزل بالدماء، أنا ابن ذبيح كربلاء، ولم يزل يقول أنا حتى ضج الناس بالبكاء والنحيب وخشي يزيد من وقوع الفتنة وحدث ما لا يحمد عقباه لما أحدثه خطاب

الإمام في القلوب من انقلاب فكري وعقائدي، لذا أوعز يزيد إلى المؤذن ان يؤذن كي يقطع على الإمام كلامه فقال المؤذن الله اكبر، قال الإمام(ع) كبرت تكبيراً لا يقاس ولا يدرك بالحواس لاشيء اكبر من الله، ثم قال المؤذن اشهد ان لا اله الا الله، قال الإمام شهد بها شعري وبشري ولحمي ودمي وفمي وعظمي، ولما قال المؤذن اشهد ان محمد رسول الله التفت الإمام إلى يزيد، فقال له: يا يزيد محمد هذا جدي أم جدك؟ فأن زعمت انه جدك فقد كذبت وان قلت جدي فلم قتلت اعترته^(١)؟

ثم أقيم للصلاة إلا ان جدالاً قوياً وقع في مجلس يزيد فتفرق اكثر الناس ولم يشهد الصلاة إلا عدد قليل .

لقد حطم خطاب الإمام علي بن الحسين(ع) جزءاً كبيراً من الإعلام الأموي الذي قام على هدم كيان أهل البيت من خلال الإعلام الكاذب والمبالغ الضخمة التي صرفوها لباعة الضمير إلا ان كلمات الإمام(ع) في مجلس يزيد أبرزت الوجه الحقيقي لآل محمد(ص)، فقد عرف الناس من الإمام أشياء كثيرة غير ما عرفوه من بني أمية لذا ارتبك الوضع في الشام بعد خطاب الإمام فما كان من يزيد إلا ان أعلن عدم مسؤوليته لما حصل للحسين وأهل بيته فقد قال لعن الله ابن مرجانه أما والله لو إني صاحبه ما سألني خصلة أبداً إلا أعطيتها إياه ولدفعت الحتف عنه بما استطعت ولو بهلاك بعض ولدي ولكن قضى الله وما رأيت يا بني - يخاطب الإمام السجاد(ع) - كاتبني بكل حاجة تكون لك^(٢) .

(١) مقتل الحسين ج ٢ ، الخوارزمي ، ص ٧١ .

(٢) حياة الإمام الحسين بن علي ، ج ٣ ، ص ٤١٣ ، القرشي .

ومن اجل امتصاص غضب الجماهير حاول ان يظهر بمظهر المشفق على أهل البيت (ع) يقول المؤرخون: فأمر بأنطاع من الابرسم ففرشت في مجلسه وصب عليها أموالا كثيرة وقدمها لآل البيت (ع) قائلاً هذا عوض عن ما أصابكم فردت عليه أم كلثوم بنت أمير المؤمنين : ما اقل حيائك واصلف وجهك تقتل أخي وأهل بيتي وتعطيني عوضهم^(١).

كما قام بإخراج عيال الحسين (ع) من الشام لما رآه من تعاطف أهل الشام معهم حتى ذكرت بعض الأخبار ان الناس كانوا يأتون إلى الإمام السجاد يزورونه في مكان إقامته معتردين لما صدر منهم في حق أهل البيت (ع).

وبعد رجوعه (ع) من الشام وعودته إلى المدينة قام بعمل إعلامي ضخم اطلع الأمة من خلاله على مظلومية الحسين الشهيد (ع)، وقد ترك أثراً عظيماً في نفوس أهلها ذكر المؤرخون: انه لما وصل الإمام (ع) بالقرب من يثرب نزل فضرب فسطاطه وانزل عمّاته وأخواته والتفت إلى بشر بن حذلم فقال له: يا بشر رحم الله أباك لقد كان شاعراً فهل تقدر على شيء منه؟ قال بلى يا ابن رسول الله. قال (ع): ادخل المدينة وانع أبا عبد الله، وانطلق بشر إلى المدينة فلما انتهى إلى الجامع النبوي رفع صوته مشفوعاً بالبكاء وهو يقول:

قتل الحسين فادمعي مدار
والرأس منه على القنا يدأر

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها
الجسم منه بكربلاء مخرج

(١) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤١٤ .

وهرعت الجماهير نحو الجامع النبوي وهي ما بين نائح وصائح
تنتظر من بشر المزيد من الأنباء فالتفت إليهم وهو يقول : هذا علي بن
الحسين مع عماته وأخواته قد نزلوا بساحتكم وأنا رسوله إليكم أعرفكم
مكانه ، وضع الناس بالبكاء وانطلقوا مسرعين يستقبلون آل الرسول (ص)
وقد وصف المؤرخون كثرة الناس وحالتهم في ذلك اليوم بأنه كاليوم الذي
مات فيه رسول الله وازدحم الناس على الإمام وهم يعزونه بالمصاب الأليم^(١).
وأراد الإمام زين العابدين تعميق تلك العاطفة وتوجيه الناس من
خلالها بالاتجاه الصحيح لتؤتي ثمارها في الوقت المناسب فقال (ع) مخاطبا
الجماهير: أيها القوم ان الله تعالى ابتلانا بمصائب جليلة وثلمة في الإسلام
عظيمة قتل أبو عبد الله الحسين وعترته وسبيت نسائه وصبيته وداروا
برأسه في البلدان من فوق عالي السنان وهذه الرزية التي لا مثلها رزية .
أيها الناس فأني رجالات منكم يسرون بعد قتله أم أي فؤاد لا يحزن من
اجله أم أي عين تحبس دمعها وتخف عن إنهمالها ، فلقد بكت السبع
الشداد لقتله وبكت البحار بأمواجها والسموات بأركانها والأرض بأرجائها
والأشجار بأغصانها والحيتان في لجج البحار والملائكة المقربون وأهل
السموات أجمعون - إلى ان قال (ع): أيها الناس أصبحنا مشردين
مطرودين مذودين شاسعين عن الأمصار كأننا أولاد ترك وكابل من غير
جرم اجتراحناه ولا مكروه ارتكبناه ولا ثلمة للإسلام ثلمناها.. والله لو ان
النبي تقدم إليهم في قتالنا كما تقدم إليهم في الوصية بنا لما زادوا على ما

(١) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤٢٣ .

فعلوا بنا، فأنا لله وأنا إليه راجعون من مصيبة ما أعظمها وافجعها واكظمها وافضعها وأمرها وافدحها فعند الله نحسب ما أصابنا وما بلغ بنا فإنه عزيز ذو انتقام .

قال المؤرخون : وجاء الناس يعتذرون إليه لعدم مشاركتهم مع أبيه الحسين(ع) ومنهم صوحان بن صعصعة بن صوحان العبدى الذي كان زمنا فقبل الإمام عذره وترحم على أبيه^(١) .

وعندما استقر في بلد الرسول(ص) راح سلام الله يستخدم أسلوب البكاء والتظلم لمصاب أبيه والبررة من الشهداء بأسلوب عاطفي مهيج فلم يكن أحد يراه حتى يرق لحاله ويتفاعل معه ،انه كان يبكي ويحدث الناس إثناء بكائه عن مظلومية أهل البيت في كربلاء فلم يكن بكاءه بكاء صامتاً لذا لما عدله أحد الناس قائلاً له: إني أخاف عليك ان تكون من الهالكين. ردّ عليه الإمام(ع): يا هذا إنما أشكو بثي وحزني إلى الله واعلم من الله ما لا تعلمون، ان يعقوب كان نبياً فغيب الله عنه واحداً من أولاده وعنده اثنا عشر ولداً وهو يعلم انه حي فبكى عليه حتى ابيضت عيناه من الحزن وإني نظرت إلى أبي واخوتي وعمومي وصحبي مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني وإني لا اذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني العبرة وإذا نظرت إلى عماتي وأخواتي ذكرت مزارهن من خيمة إلى خيمة^(٢) .

(١) المصدر السابق ، ص ٤٢٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٢٧ .

بقي الإمام علي بن الحسين على هذه الحالة بقية حياته التي استمرت أربعة وثلاثين عاماً بعد واقعة الطف بقي يبكي أباه وصحبه بهذه الطريقة المهيجّة .

كما كان اهتمامه (ع) ينصب على إحياء الروح الإسلامية من خلال الدعاء ونشر العلم حيث أن الظروف التي أحاطت به لم تسمح له بأكثر من هذا العمل حيث أنه كان تحت الرقابة الأموية، لذا ذكر النقدي أن التوقيع بعد واقعة الطف لم يكن يصدر باسم الإمام بل كان يصدر باسم الحوراء زينب وكان الحجاج عندما كان والياً على الحجاز يشير على عبد الملك بن مروان بقتل علي بن الحسين .

مع كل الظروف التي أحاطت بزين العابدين كان (ع) يناصر كل حركة تقوم ضد الحكم الأموي ومن تلك الحركات حركة المختار الثقفي .

فقد روى المجلسي في البحار أن وفداً من الكوفة قدم إلى المدينة في أيام المختار فدخلوا على محمد بن الحنفية فقالوا لمحمد بن الحنفية: إن المختار يزعم أنه جاء من قبلكم وقد دعانا إلى كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدماء أهل البيت فبايعناه على ذلك فإن أمرتنا باتباعه اتبعناه وإن نهيتنا اجتنبناه، فقال محمد بن الحنفية: قوموا بنا إلى إمامي وإمامكم علي بن الحسين (ع) فلما دخل ودخلوا عليه أخبر محمد بن الحنفية الذي جاءوا من أجله فقال علي بن الحسين (ع): يا عم لو أن عبداً زنجياً تصب لنا أهل البيت لوجب على الناس مؤازرته وقد وليتك هذا الأمر فاصنع ما شئت، فخرجوا وقد سمعوا كلامه وهم يقولون أذن لنا زين العابدين (ع) ومحمد بن الحنفية عليه الرضوان (١) .

(١) نقلاً عن كتاب التاريخ الإسلامي للمدرسي نقلاً عن البحار .

على كل حال لقد ساهم سيد الساجدين بقوة وعلى مرور اكثر من
ثلاثين عاما بإحياء قضية أبيه الحسين(ع)، لا لأن الحسين أبوه بل لان الحسين
قضية إسلامية فقد كان بكاءه على الإسلام وما حل به وليس بكاءه
على أب له قتلوه كلا انه يبكي على القرآن والسنة المنتهكين من قبل
الأمة الإسلامية .

نعم هذا هو زين العابدين في صفحة من صفحات حياته المعطاءة .

العامل الساجد

طبعة المؤسسة وبشاعة الجريمة

بجاء ان ثورة الحسين (ع)

طبيعة المأساة وبشاعة الجريمة

لم يشاهد العالم جريمة كالجريمة التي ارتكبها قتلة الحسين (ع) بحقه وبحق من معه حيث كانت جريمة شاملة رفعوا فيها شعار اقتلوهم ولا تبقوا لأهل هذا البيت باقية ثم بعدما نهبوا مخيم الحسين (ع) نادوا بنداء احرقوا بيوت الظالمين على أهلها. هاتان القضيتان تكشفان عن إن المخطط كان يهدف إلى استئصال الحسين (ع) ومن معه حتى النساء والرضع ولكن - يمكنون ويمكر الله والله خير الماكرين - .

ويمكن للمتبع لتأريخ كربلاء أن يلحظ الجرائم التالية .

- (١) تعطيش الأطفال حتى الرضع وتجويعهم وترويعهم .
- (٢) إرهاب النساء وتجويعهن وضربهن وتسييرهن من بلد إلى بلد أمام المتفرجين ومنعهن من البكاء على قتلاهن وسلبهن حليهن بصورة مروعة.
- (٣) حرق الخيام على أهلها من دون إنذار وفيها المريض والطفل والمرأة.
- (٤) قتل الصبيان دون سن البلوغ .
- (٥) منع إقامة الصلاة وممارسة العبادة.
- (٦) قطع الرؤوس وحملها أمام عيون أهلها من الأزواج والبنات والأخوات.
- (٧) تقييد المرضى بالسلاسل وضربهم .
- (٨) رض أجساد الشهداء بالخيول أمام عيون ذويهم .
- (٩) ترك الأجساد بلا دفن بحالة تثير غيرة الإنسان .

والجريمة الكبرى ان ما حصل في كربلاء لم يحصل لشخص جاء من وراء البحار أو الجبال بل رجل نص القرآن على وجوب محبته وألزم الرسول (ص)

الناس باتباعه فكيف ساع لأهل الكوفة مع كل هذا ان يرتكبوا مثل هذه الجريمة ؟ لو عرضنا هذه الأعمال البشعة على الأمم الأخرى لاستنكرتها لان مثل هذه الجرائم محرمة في شريعة القرآن والإنسان حيث ان القرآن لا يحمل الأطفال غير البالغين أية مسؤولية حتى لو ارتكبوا بعض الجرائم فأن الدية تدفعها عاقلة الطفل فهو بحكم المجنون وان كانت هناك بعض العقوبات البسيطة التي تعرف في الشريعة الإسلامية بالعقوبات التأديبية.

كما ان المرأة في الشرع لا تؤاخذ بجريرة زوجها وكذلك شريعة الإنسان فهي لا تبيح لإنسان الاعتداء على حقوق الطفل والمرأة .

كما ان من حق الإنسان إذا مات ان يدفن باحترام (ثم أماته فاقبره) وهكذا الحال في قانون الإنسان، لا ان يمثل بجسده ويترك بالعراء لعدة أيام، ولو أن الجريمة توقفت عند قتل الرجال فقط لما كان لواقعة كربلاء تلك الحرارة وذلك التفاعل الإنساني لان القتل يحصل لكثير من البشر من العظماء وغيرهم، لقد قتلت بنو إسرائيل مئات الأنبياء ولكن لم يكن لقتلهم أثر يذكر، وقد حاول اتباع بعض الأنبياء ان يصنعوا لأنفسهم مجداً من خلال مظلومية هذا النبي أو ذلك، إلا انهم فشلوا، كما حاول النصارى صنع مأساة للمسيح عيسى(ع)، ولكن لم يكن لها اثر لان عيسى(ع) ظلم لوحده وحسب، ووفقاً للعقيدة الإسلامية فإن عيسى لم يقتل ولكن شبه للقتلة، وان الله رفعه إلى السماء، بينما الحسين(ع) تعرض للإبادة الشاملة هو وأهل بيته ولم يحصل ذلك لعيسى لذا كانت قضية عيسى(ع) باردة رغم عمليات التسخين التي اصطنعها لقضيته باتباعه، لذا يبقى الحسين(ع) فريداً في

مأساته ومن خلال هذا التفرد كتب الخلود له ولقضيته لان الجريمة النكراء التي ارتكبتها الأمويون هزت العالم بل إنها تركت أثرها على القتلة أنفسهم، كما يحكي لنا التاريخ ان رجلاً جاء لسلب فاطمة بنت الحسين (ع) فكان الرجل ينتزع خلخالها وهو يبكي، فقالت مالك؟ فقال كيف لا ابكي وأنا اسلب ابنة رسول الله، قالت له إذن دعني، قال أخاف ان يأخذه غيري^(١).

كما ان هذه الجرائم حركت المشاعر نحو الاستنكار، روي ان امرأة من آل بكر بن وائل كانت مع زوجها ، فلما نظرت إلى بنات رسول الله بهذا الحال صاحت: يا آل بكر بن وائل أتسلب بنات رسول الله ؟ لا حكم إلا لله يالثرات رسول الله^(٢) .

لقد أثرت تلك الجرائم التي ارتكبتها بنوا أمية بحق أهل البيت (ع) لا سيما التي طالت النساء والأطفال أثرت في نفوس البشر مما دفع الشاعر والأديب والمفكر والمؤرخ أن يهتم بهذه الجوانب من مأساة أهل البيت في كربلاء، لذا نظم الكثير من الشعر في هذا المجال مصوراً، مأساة الأطفال، والنساء، وجرائم بني أمية، التي كشفت عن خستهم ودناءتهم التي حسنت صورة التبر والبربر وغطت على جرائمهم .

يقول العالم الآثاري البريطاني وليم لوفتس : لقد قدم الحسين بن علي ابلغ شهادة في تاريخ الإنسانية وارتفع بمأساته إلى مستوى البطولة الفذة^(٣) .

(١) مقتل الحسين للمقرم ، ص ٣٨٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٨٦ .

(٣) الثقافة الإسلامية ، العدد ٥٠ .

الْعَامِلُ الْثَامِنُ
الْعَامِلُ الْكَلْفَةُ بِحَالِك
ثَوْنَةُ الْحَسَنِ (ع)

العاطفة تخلد ثورة الحسين (ع)

قبل كل شيء علينا ان نتعرف على معنى العاطفة بشكل عام، ثم نتعرف على معناها في الإطار الخاص .

العاطفة بمعناها العام هي الشفقة، والشفقة هي الإحساس بما يلاقه الغير قريباً كان أو بعيداً، فقد نتعاطف مع مسلم في أقصى الأرض لأنه تنتهك حقوقه ويعتدى عليه وقد نتعاطف مع قريب لنا لأنه وقع عليه ظلم فيدفعنا هذا الإحساس العاطفي إلى إظهاره حسب قوته وضعفه .

وأما العاطفة بمعناها الخاص فأن لها لوناً آخر لان الأمة تنظر إلى الحسين(ع) باعتباره إماما لها فهو قضية إسلامية أولاً، وثانياً ان إظهار العاطفة وترجمتها إلى سلوك إنما هو التزام بنصوص القرآن قال تعالى: (قل لا اسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى)^(١)، ومهما اختلف المسلمون في سعة دائرة القربى وضيقها فأن الحسين بن علي(ع) داخل فيها، وثالثاً لوجود النصوص الخاصة في ضرورة تفعيل العاطفة حيث اعتبرت الأحاديث هذا العمل من افضل العبادات التي تقرب إلى الله تعالى فقد ذكر المؤرخون: ان الإمام محمد الباقر(ع) قال للكميت بن زيد الاسدي لما انشد قصيدته:

من لقلب مننيم مستهـام	غير ما صبوة ولا احلام
بل هواي الذي اجن وابدي	لبنى هاشم اجل الانام

(١) سورة الشورى، آية ٢٣ .

(لا زلت مؤيداً بروح القدس ما ذببت عنا أهل البيت) ^(١) .

ونقل عن الأغاني ان الكميت استأذن على الإمام الصادق في أيام التشريق وأراد ان ينشده قصيدته فكبر على الإمام ان يتذكروا الشعر في الأيام العظام ولما قال له الكميت أنفسهم فيكم انس الإمام ثم دعا بعض أهله ف قرب ثم انشده الكميت فكثر البكاء ولما أتى على قوله :

يصيب به الرامون عن قوس غيرهم فيا آخرأ اسدى الفى اول

رفع الصادق يديه وقال : اللهم اغفر للكميت ما قدم وآخر وما أسرّ وأعلن واعطه حتى يرضى ^(٢) .

كما ان هناك روايات تفيد بأن رسول الله (ص) بكى على الحسين وبكى معه أصحابه ^(٣) ، خرج النبي (ص) في سفر فلما كان في بعض الطريق افف فاسترجع ودمعت عيناه فسئل عن ذلك فقال هذا جبرئيل يخبرني عن ارض بشاطي الفرات يقال لها كربلاء يقتل فيها ولدي الحسين ابن فاطمة فقيل له من يقتله يا رسول الله فقال: رجل يقال له يزيد لا بارك الله في نفسه، وكأني انظر منصرفه ومدفنه بها وقد اهدي رأسه والله ما ينظر أحد إلى رأس ولدي الحسين فيفرح إلا خالف الله بين قلبه ولسانه - ليس في قلبه ما يكون بلسانه من الشهادة - ، قال: ثم رجع النبي من سفره ذلك مغموماً فصعد المنبر فخطب ووعظ والحسين بين يديه مع الحسن فلما فرغ من خطبته

(١) رجال الكشي/١٨١/ نقلا عن ثورة الحسين في الوجدان الشعبي ١٣٩ .

(٢) ثورة الحسين في الوجدان الشعبي ١٣٩ .

(٣) مقتل الحسين ج ١ . ص ١٦٣ . للخوارزمي .

وضع يده اليمنى على رأس الحسين ورفع رأسه إلى السماء وقال اللهم ان محمد عبدك ونبيك وهذان اطائب عترتي وخيار ذريتي وأرومتي ومن اخلفها في أمتي اللهم وقد اخبرني جبرئيل بأن ولدي هذا مقتول مخذول اللهم فبارك في قتله واجعله من سادات الشهداء انك على كل شيء قدير اللهم ولا تبارك في قاتله وخاذله. قال فضج الناس في المسجد بالبكاء فقال النبي(ص): أتبكون ولا تنصرونه اللهم فكن له أنت ولياً وناصرأ.

ان هذه الرواية وغيرها من الروايات النبوية تعطي للمسلم شحنة ضخمة من العاطفة وتفرض عليه التعاطي مع شهادة الإمام الحسين(ع) .
والسؤال هو كيف تعاملت الأمة الإسلامية مع شهادة الإمام الحسين(ع)؟
نحيل الجواب إلى الشيخ محمد مهدي شمس الدين في كتابه القيم «ثورة الحسين في الوجدان الشعبي» قال الشيخ: لقد واجه المسلمون النهاية الفاجعة للثورة وما أعقبها من ذبول - قطع الرؤوس، السي - بثلاثة مواقف :

الموقف الأول :

موقف شيعة أهل البيت : فقد استقبلوا النهاية والفاجعة بالحزن والندم والغضب، حزنوا بسبب فضاة ما حدث في كربلاء وندموا لأنهم قصروا في النصرة والمساندة وغضبوا على النظام الأموي لأنه ارتكب الجريمة البشعة، وقد تفاعل الندم مع الحزن فولدوا عندهم مزيداً من الغضب وولدا عندهم رغبة حادة في التفكير عبروا عنها بمواقفهم من النظام ورجاله شعراً، وخطباً، وثورات استمرت أجيالاً، وجعلت من شعار (يا ثارات الحسين) شعاراً لكل الثائرين على الأمويين .

الموقف الثاني :

موقف عامة المسلمين غير الملتزمين بالخط السياسي للشيعه وأئمة أهل البيت(ع): فقد واجه هؤلاء الكارثة بالدهشة والاستنكار وقد هالهم ما كشفت عنه عملية قمع الثورة من أسلوب معاملة الأمويين لخصومهم السياسيين، هذا الأسلوب الذي لا يحترم شريعة ولا أخلاقاً ولا تقيم وزناً حتى للأعراف الاجتماعية .

ويقدم الشيخ شمس الدين بعض النماذج على استنكار أصحاب هذا الاتجاه:

(أ) كان زيد بن أرقم أحد الحاضرين في مجلس عبيد الله بن زياد في الكوفة لما أدخلت عليه السبايا ورؤوس الشهداء، فبكى لما رأى ابن زياد يضرب بسوط في يده ثانياً الإمام الحسين(ع)، ولما زجره ابن زياد لبكائه وهدده، قال زيد: أيها الناس انتم العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانـه والله ليقتلن خياركم وليستعبدن شراركم فبعدا لمن رضي بالذل والعار.

(ب) وقال الحسن البصري لما بلغه استشهاد الحسين(ع) : (وأذل أمة قتلت ابن بنت نبيها...)

الموقف الثالث :

موقف النظام واتباعه :

فقد استقبل هؤلاء البشائر بالقضاء على الثائر بالفرح والبهجة واطهروا شعورهم بالراحة والغبطة فقد ظهر يزيد بن معاوية شعوره بالفرح والغبطة بل يبدو ان قدوم السبايا اتخذ مناسبة شعبية وفرحة، استخدمت فيها الموسيقى والأهازيج.

قال يزيد للنعمان بن بشير الأنصاري (الحمد لله الذي قتل الحسين)، وكذلك الحال بالنسبة لعبيد الله بن زياد ومروان بن الحكم وعمرو بن سعيد الأشدق وغيرهم. واتخذ الأمم واتباعهم يوم قتل الحسين عيداً لهم كما نقل أكثر من مؤرخ^(١)، بعد استعراض المواقف الثلاثة للمسلمين مع شهادة الحسين بقي علينا ان نشير إلى نقطتين هما :

١- العاطفة ضرورة لدعم الفكر .

٢- الأساليب المعبرة عن التعاطف الجماهيري مع الحسين (ع) .

أولاً: العاطفة ضرورة لدعم الفكر :

طرحت هذه المسألة على بساط البحث فأثار البعض حولها الملاحظات والاشكالات حتى وصل الحال ببعضهم انه يتهم طائفة من المسلمين بالبدعة والانحراف لان الشيعة تفاعلوا عاطفياً مع مأساة الحسين (ع) ما اضطر علماء الشيعة ان يكتبوا الكتب حول البكاء ولبس السواد ودافعوا فيها عن إقامة المآتم الحسيني بكل إشكاله ومن كتبوا هو السيد محسن الأمين حيث ألف كتاباً سماه (إقناع اللائم في إقامة المآتم)، كما كتبت المقالات وألقيت المحاضرات ونظمت القصائد المطولة دفاعاً عن هذا العمل الذي تقوم به الشيعة أهل البيت (ع) دون بقية المسلمين وان إصرار الشيعة على التفاعل العاطفي مع أئمتهم (ع) وتقديم الضحايا من اجل استمراره بجرارته يكشف عن ضرورته وأهميته في حياة المسلمين فهم بحاجة إلى العاطفة كما انهم بحاجة إلى الفكر .

(١) ثورة الحسين في الوجدان الشعبي - بتصرف -

وانا اكتب عن العاطفة أرى أمامي كتاباً قيماً بعنوان: (من وحي عاشوراء) لأستاذنا آية الله السيد محمد حسين فضل الله، والكتاب عبارة عن خطب ألقاها سماحته في الجماهير الحسينية، قال سماحته في خطبة بعنوان (صلة العاطفة بالذكرى الحسينية) .

مسألة العاطفة في درجة كبيرة من الأهمية بحيث يلاحظ ان الخصوصية الذاتية للذكرى لا يمكن إبعادها عن العنصر الحزين (ع) للمأساة في أي موقع من مواقع الإثارة، الأمر الذي يجعل من العمق العاطفي مسألة حيوية في هذه القضية فلا مجال للفصل بين إثارة الذكرى في وعي الناس وبين الأسلوب العاطفي لان ذلك يعني أبعاد الشيء عن ذاته .

ويلاحظ ثانياً: ان العاطفة تتيح للذكرى الاستمرار في خط تأثيرها في الشعور الإنساني مما يؤصل علاقة عاطفية للناس بأهل البيت(ع)..

ان الاكتفاء بالمضمون الفكري للذكرى يجعل القضية جامدة جافة في الوعي الإنساني ككل القضايا التاريخية المتصلة بالصراع بين الحق والباطل التي يتجاوزها الزمن ويضيف سماحته: وهناك نقطة أخرى متصلة بالجانب الشرعي للمسألة فأنا نلاحظ في النصوص الكثيرة الواردة عن النبي(ص) وعن أئمة أهل البيت(ع) على مستوى التوجيه والممارسة العملية أنفسهم تؤكد على البكاء وتدعو إليه وتخطط للتربية العامة للأمة في اتجاه إبقاء هذا الأسلوب في خط الذكرى في امتداداتها الزمنية فقد كان الأئمة من أهل البيت(ع) يشجعون المسلمين الشيعة من اتباعهم على إقامة الذكرى بالطريقة العاطفية الشجية ويستدعون الشعراء لإثارة التجربة

الشعرية بالطريقة الفنية المثيرة للعاطفة بحيث يريدون حشد المفردات
المأساوية في داخلها وتحريك الوسائل الحزينة في إنشاء الشعر وكان
الشعراء يقصدونهم لذلك الغرض، والأئمة يجلسون للاستماع إليهم
مع عوائلهم التي تجلس وراء الستار.

ان كل ذلك يدلنا على ان تحريك المسألة العاطفية في الذكرى ليست
مسألة عادية بل هي من المسائل المهمة في التخطيط الإسلامي لإبقاء هذه
القضية حية في المنطقة الشعرية للإنسان المسلم على امتداد الزمن،
بحيث تتحول إلى مسألة تتصل بالضمير الإنساني في علاقة الحاضر بالتاريخ،
ويؤكد سماحته على ان العاطفة مسألة إنسانية الأبعاد إسلامية الروح غنية
المؤثرات كثيرة المعطيات أنفسهم تمنح الفكر حرارته وحيويته وتخرجه من
جهوده وتقوده إلى النشاط والحركة وتخرجه عن حالة فكرية ليدخل في حالة
إيمانية... ان هذا التزاوج بين الحالة العاطفية والحالة الفكرية هو الذي
يحقق للرسالة مضمونها العميق في وعي الإنسان وحركته^(١).

ثانياً: الأساليب المعبرة عن التعاطف الجماهيري

مع الحسين (ع) :

على امتداد التفاعل العاطفي والفكري مع القضية الحسينية
ابتكرت أساليب متعددة للتعبير عن تعاطف الناس مع الفاجعة الأليمة التي
حلت بآل البيت في كربلاء ومن تلك الأساليب :

(١) من وحي عاشوراء ٢٣/١٨ .

- ١- البكاء .
 - ٢- لبس السواد.
 - ٣- إنشاد الشعر.
 - ٤- إقامة المآتم .
 - ٥- بناء الحسينيات .
 - ٦- زيارة الحسين والشهداء(ع) في كربلاء .
 - ٧- المنبر وما يتصل به .
 - ٨- المسيرات .
 - ٩- اللطم على الصدور والرؤوس .
 - ١٠- الضرب بالسيوف على الرؤوس .
 - ١١- المشي على النار (ع) .
 - ١٢- الشبيه .
 - ١٣- المشي إلى مرقد الحسين من مسافات بعيدة .
 - ١٤- سقي الماء بأسم الحسين (ع).
 - ١٥- طلي الرؤوس بالطين .
 - ١٦- ضرب الظهور بالنزجيل .
 - ١٧- إطعام الطعام بأسم الحسين(ع) .
- هذه بعض الأساليب وليس كل الأساليب التي يعبر بها الجمهور الحسيني عن عاطفته وارتباطه بالحسين (ع) .
- والسؤال المطروح هو : كيف ينظر المجتمع الشيعي إلى هذه الأساليب من الناحية الشرعية ؟
- هناك اتجاهان :

الاتجاه الأول : الذي يرى شرعية كل هذه الأساليب ويدافع عنها بكتب وخطب وشعر معتبراً أن بقاء القضية الحسينية مرتبط ببقاء هذه المظاهر وقد قام بعض رجال الدين بتشجيعها حتى أنهم مارسوها بأنفسهم ودفعوا المال لتشجيع الآخرين عليها .

الاتجاه الثاني : هو الذي يضع علامة x على بعض الأساليب وينتقدها بشدة ويحرمها بصراحة ، بينما يسعى إلى دعم الأساليب الأخرى ويعتبرها من الدين .

وكل هذه المظاهر تسمى في العرف الخاص بالشعائر الحسينية ولكن البعض يناقش في الكلمة الثانية الحسينية قائلاً : أولاً لابد من إثبات شرعيتها حتى تصح نسبتها إلى الحسين(ع).

لذا يضع البعض علامة على بعض الأساليب كالتطبير وهو -ضرب الرأس بالسيف- لأنها تؤدي إلى توهين المذهب، كما يقول أصحاب هذا الاتجاه، وكذلك ضرب الظهر بالزنجيل لما فيه إيذاء للجسد لوجود المدى الجارحة فيه كما ان المشي على النار يوجب السخرية لاتباع أهل البيت(ع) وهكذا الشبيه، حيث أصدر السيد محسن الأشدق : كتابه الشهير (التنزيه عن أعمال الشبيه) الذي حرم فيه بعض هذه الأساليب .

وللسيد الأستاذ محمد حسين فضل الله كلام ورد في كتابه «من وحي عاشوراء»، نذكره لأهميته، قال سماحته : ولكن هنالك نقطة مهمة في الذكرى الحسينية تبنى التركيز عليها انطلاقاً من إنسانيتها الذاتية من جهة، ومن الاقتداء بالرسول(ص) والأئمة من أهل البيت(ع) من جهة أخرى

ونخطط من خلال تخطيطهم لإقامة الذكريات المعبرة عن المأساة الحزينة
بمختلف الوسائل والأساليب .

وهذه النقطة هي مسألة تطوير أساليب الإثارة العاطفية تبعاً لتطور
وسائل الإثارة الإنسانية في المؤثرات النفسية العامة والخاصة فإذا كانت
أساليب التعبير عن الفكرة متطورة في قضية الإبداع الفني فلا بد أن تتطور
أساليب التعبير عن الشعور العاطفي في قضية الإبداع التعبيري .

فربما كانت بعض الإثارات خاضعة لمرحلة معينة فلا تصح لتحريكها
في الواقع في مرحلة أخرى، قد تكون المسألة متصلة بالمستوى الثقافي المتخلف
في تأثيره بأسلوب معين، فلا يكون عنصراً للإثارة في مستوى ثقافي متقدم
وهذا ما نلاحظه في بعض مفردات الشعر الحسيني العامي والفصحى التي
تنطلق من العادات العشائرية من في حث النساء للرجال لتحريك حماسهم
وتخوئهم وحركتهم فأنا لو طرحنا مثل هذه المفردات في مجتمع ثقافي متطور
فإننا لا نجد أنه يتأثر بذلك لأن الحالة الثقافية قد طوّرت حركة عاطفته كما
طوّرت حركة فكره .

وعلى ضوء ذلك، فلا بد لنا من دراسة كل الوسائل الشعبية المتبعة في
هذه الذكرى مقارنة بالانطباعات الإيجابية أو السلبية التي قد تثيرها هذه
الوسيلة أو تلك في النظرة العامة في الواقع الإسلامي أو غير الإسلامي
وبالعناوين الثانوية: التي قد تنطبق عليه في هذه المرحلة أو تلك لأن
العناوين الأولية إذا كانت تقتضي إباحتها في ذاتها، فإن العناوين الثانوية قد
تقتضي حرمتها بلحاظها، كما لاحظنا ذلك في جواب بعض الاستفتاءات من

قبل بعض المراجع الكبار، حيث علق إباحة بعض هذه الوسائل كجرح الرؤوس وضرب الظهور بالسلاسل على عدم استلزامها لهتك حرمة المذهب من خلال النظرة العامة التي قد تختزن في داخلها السخرية فإذا استلزمت ذلك كانت محرمة بسبب هتك الحرمة للمذهب أو للمسلمين. وأخيراً يقول سماحته: ونحب ان نؤكد في نهاية المطاف على حيوية الدموع الواعية والمشاعر المنفتحة والندبيات الموجهة لتكون ذكرى الحسين مغسولة بدموعها في عناصرها المأساوية الحية وممزوجة بدمائنا في مواقع الإحساس ومواقف الشهادة ومفتوحة على عقولنا في حركة التفكير الباحث في الدعوة الإسلامية من خلال عاشوراء عن كل جديد يغني عقولنا ويفتح المستقبل لفجر جديد على خط الإسلام في خط الحسين(ع)^(١).

(١) ص ٢٤-٢٥ ، من وحي الشعراء .

الْعَامِلُ الْبَارِعُ

الْأُمَّةُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ (ع)

بِحِلْمِهِ وَنُورَةِ الْحُسَيْنِ (ع)

الأئمة من أهل البيت (ع) يخلّدون ثورة الحسين (ع)

لا شك ان واقعة كربلاء حضيت باهتمام بالغ في حياة الأئمة من آل البيت وان دلّ هذا الاهتمام على شيء فإنما يدل على القيمة الإسلامية لهذه الواقعة وإذا أردنا معرفة الدور الذي قام به الأئمة من اجل هذه القضية فلا بد من ملاحظة النقاط التالية :

(١) نماذج من سيرتهم (ع) لإحياء القضية الحسينية .

(٢) حثهم المتواصل للأئمة لإحياء القضية الحسينية .

(٣) التأكيد على بعض الشعائر الحسينية .

(١) نماذج من سيرتهم (ع) لإحياء القضية الحسينية :

لقد أجمع المؤرخون على ان الأئمة الأطهار جميعاً احيوا هذه الفاجعة حتى الإمامان علي والحسن (ع)، وان سبقت وفاتهما الواقعة إلا ان حديث كربلاء كان من المسلمات التي يتداولها أهل البيت في أحاديثهم .

روى ابن سعد في الطبقات عن عامر الشعبي انه لما مر علي (ع) بكربلاء في مسيره إلى صفين وحاذى -نينوى- وقف ونادى صاحب مطهرته: اخبر أبا عبد الله ما يقال لهذه الأرض فقال: كربلاء، فبكى حتى بل الأرض من دموعه ثم قال: دخلت على رسول الله (ص) وهو يبكي فقلت له ما يبكيك؟ فقال: كان عندي جبرئيل آنفا واخبرني ان ولدي

الحسين يقتل بشط الفرات بموضع يقال له كربلاء ثم قبض جبرئيل قبضة من تراب فشمي إياها فلم املك عيني ان فاضتاً^(١) .

كما روى المؤرخون بأن الحسن لما دس إليه السم جاء الحسين يبكي، فقال له الحسن ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ فقال: ابكي لما نزل بك قال ان الذي أوتي اليّ بالسم أقتل به شخص واحد ولكن لا يوم كيومك أبا عبد الله وقد ازدلف إليك ثلاثون ألفاً فيجتمعون على قتلك وسفك دمك وسي ذراريك وعندها تحل اللعنة ببني أمية .

واما عن الإمام علي بن الحسين (ع) فقد أشرنا إلى أسلوبه الذي تعامل به مع فاجعة كربلاء .

واما الأئمة الباقر فقد ذكر الشهرستاني في كتابه (تأريخ النياحة)، ان الباقر قال: في يوم عاشوراء وليندب الحسين ويكبه ويأمر من في داره بالبكاء ويقيم في داره المصيبة بإظهار الجزع عليه ويتلاقون بالبكاء عليه بعضهم في البيوت وليعزّ بعضهم بعضاً بمصاب الحسين^(٢) . كما انه (ع) كان يقيم المآتم ويبكي لمصاب جده الحسين (ع) .

واما الإمام الصادق (ع) فانه كان في أيام المحرم لا يرى ضاحكاً وتغلب الكتابة عليه فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته .

(١) نقلا عن كتاب حول البكاء على الإمام الحسين (ع) ، ص ٥٩ .

(٢) تأريخ النياحة ، ص ١٥٣ .

عن عبد الله بن سنان قال: دخلت على سيدي أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام في يوم عاشوراء فلقيته كاشف اللون ظاهر الحزن ودموعه تنحدر من عينيه كاللؤلؤ المتساقط فقلت: يا ابن رسول الله مم بكائك لا أبكي الله عينيك فقال لي: أو في غفلة أنت؟ أما علمت ان الحسين بن علي أصيب في مثل هذا اليوم^(١).

وكذلك حال الإمام الكاظم فقد جرى على سنة آبائه الطاهرين من البكاء والحزن على سيد الشهداء وكان يقول في يوم عاشوراء هو اليوم الذي قتل فيه جدي الحسين^(٢).

وكذلك الإمام الرضا(ع) الذي كان يقول: «ان المحرم شهر كان أهل الجاهلية يحرمون فيه القتال فاستحلت فيه دمائنا وهتكت فيه حرمتنا وسبي فيه ذرارينا ونسائنا وأضرمت النار في مضاربنا وانهبت ما فيها من ثقلنا ولم تدع لرسول الله(ص) حرمة في امرنا، ان يوم الحسين أقرح جفوننا واسبل دموعنا وأذل عزيزنا بأرض كرب وبلاء وأورثنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء فعلى مثل الحسين فليبك الباكون فأن البكاء عليه يحط الذنوب العظام»^(٣).

كما ان المعروف عن الأئمة الباقيين انهم كانوا على السيرة نفسها وان لم ينقل لنا المؤرخون بعض المشاهد والأقوال على إحياءهم لهذه

(١) في رحاب الأئمة ، ج ٣ ، ص ٦٩ ، محسن الأشدق .

(٢) تاريخ النباحة ، ج ١ ، ص ١٦٥ .

(٣) تاريخ النباحة ، ج ١ ، ص ١٦٦ .

الفاجعة لان التاريخ تغافل عن قضايا مهمة في حياة أهل البيت (ع) لان التاريخ كتب بأقلام موالية للحكام الظلمة فكيف نتوقع منه ان يهتم بآل محمد خصوم هؤلاء الحكام؟

٢) حثهم المتواصل للامة لاحيد القضية الحسينية:

يقول الشيخ محمد مهدي شمس الدين: لقد حرص أهل البيت على إبقاء الثورة وتفاصيلها الفاجعة حية في الذهن العامة للامة وذلك بالتشجيع على قول الشعر وإنشاده وبعقدهم المجالس الخاصة لسماع هذا الشعر وبدعوتهم إلى عقد المجالس والاجتماعات المخصصة للمذاكرة في أحداث الثورة وبنائهم لمؤسسة الزيارة وتوجيهات أخرى غير ما ذكرنا تخدم كلها هدفا واحدا هو إبقاء الثورة حية في العقول والقلوب^(١).

ان أئمة أهل البيت (ع) باعتبارهم قادة وقدوة للأمة، وانهم مبرزون للتشريع، وبتصرفهم تجاه الثورة الحسينية، وحثهم الناس يعني ان إحياء هذه الثورة إنما هو جزء من الواجبات الإسلامية التي يجب على كل مسلم القيام بها، لان الأمة تأخذ موقفها الشرعي من آل محمد (ص) قادة الإسلام، وحيث انهم أقاموا المجالس وبكوا على الحسين ودعوا الشعراء إلى إنشاد الشعر في الحسين واستمعوا لهم ومنحوهم الهبات العظيمة كل هذا يمنح هذه القضية أهمية خاصة في نظر المسلم ويجعلها من المسائل الأساسية في هذا الدين، ولنستمع إلى أحاديث آل محمد (ص) في نطاق الحث على ممارسة الشعائر الحسينية :

(١) ثورة الحسين في الوجدان الشعبي ، ص ٤٣ .

(١) عن زرارة قال قلت لأبي جعفر -الباقر- (ع): ما تقول فيمن زار أباك عن خوف؟ قال: يؤمنه الله يوم الفرع الأكبر وتلقاه الملائكة بالبشارة، ويقال له: لا تخف ولا تحزن هذا يومك الذي فيه فوزك .

(٢) قال الإمام الصادق (ع) لعلي بن ميمون: زُر الحسين ولا تدعه، قال: قلت: ما لمن أتاه من الثواب؟ قال: من أتاه ماشياً كتب الله له بكل خطوة حسنة ومحى عنه سيئة ورفع له درجة.

(٣) عن الإمام موسى بن جعفر (ع): أدنى ما يثاب به زائر الحسين (ع) بشط الفرات إذا عرف حقه وحرمة وولايته ان يغفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر .

(٤) عن علي بن موسى الرضا (ع): ان لكل إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته وان للإمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً لما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعا لهم يوم القيامة^(١).

هذه أربعة أحاديث في خصوص الزيارة لقبور الأئمة من أهل البيت وقد اتضح من خلالها ان الزيارة لقبورهم (ع) من افضل الأعمال العبادية بالإضافة إلى الأبعاد الأخرى التي تترتب عليها. واما ما ورد عنهم في نطاق الحث على نظم الشعر في فاجعة الحسين (ع) فهو كثير نذكر بعضاً منه :

(١) الأحاديث التي مرت عليك : نقلتها عن كتاب (ثورة الحسين في الوجدان الشعبي) وكلها مروية عن كتاب (كامل الزيارة) .

(١) ذكر الشهرستاني في تاريخ النياحة : ان الكميت قدم إلى المدينة وانشد الإمام الباقر قصيدته الميمية فلما بلغ قوله :

وقتيل بالطف غودر منهم بين غوغاء امّة وطغام

بكى الإمام ثم قال يا كميت لو كان عندنا مال لأعطيناك ولكن لك ما قال الرسول لحسان بن ثابت لازلت مؤيداً بروح القدس ما ذبيت عن أهل البيت^(١).

(٢) قال الإمام الصادق(ع): من قال في الحسين شعراً فبكى وأبكى غفر الله له ووجبت له الجنة^(٢).

(٣) روى الشيخ الصدوق بسنده إلى أبي هارون المكفوف، قال: دخلت على أبي عبد الله الصادق(ع) فقال: يا أبا هارون أنشدني في الحسين، فأنشدته فقال: لي أنشدني كما تنشدون - يعني بالرقّة - فأنشدته:

أمرر على جدث الحسين فقل لاعظمة الزكية

قال: فبكى ثم قال: زدني فأنشدته القصيدة الأخرى قال: فبكى وسمعت البكاء من خلف الستر، قال: فلما فرغت قال لي: يا أبا هارون من انشد في الحسين شعراً فبكى وأبكى عشرأ كتبت له الجنة ومن انشد في الحسين شعراً فبكى وأبكى خمسة كتبت له الجنة ومن انشد في الحسين شعراً فبكى وأبكى واحداً كتبت له الجنة^(٣).

(١) ج ١/ص ١٥٣.

(٢) ج ١/ص ١٦٢.

(٣) ج ١ / ١٦٢.

٤) يقول دعبل بن علي الخزاعي دخلت على سيدي ومولاي علي بن موسى الرضا (ع) بمرو أيام المحرم فرأيتته جالساً جلسة الحزين الكئيب وأصحابه جلوس حوله، فلما راني مقبلاً قال لي: مرحباً بك يادعبل مرحباً بناصرنا بيده ولسانه ثم انه وسع لي في مجلسه وأجلسني إلى جانبه، ثم قال: يا دعبل احب ان تنشدي شعراً فان هذه الأيام أيام حزن كانت علينا أهل البيت وأيام سرور كانت على أعدائنا خصوصاً بني أمية ثم انه نهض وضرب سترأ بيننا وبين حرمة واجلس أهل بيته من وراء الستر ليكبوا على مصاب جدهم الحسين ثم التفّت وقال: يادعبل ارث الحسين - فأنت ناصرنا ومادحنا - مادمت حياً، قال دعبل فاستعبرت وسالت دموعي وأنشأت :

افاطم لو خلت الحسين مجدلاً	وقد مات عطشاناً بشط فرات
إذن للطمت الخد فاطم عنده	واجريت دمع العين في الوجنات
فلما بلغت هذا البيت :	
أرى فيهم في غيرهم متقسماً	وايديهم من فيئهم صفرات

بكى الإمام وبكت معه النسوة والأطفال وقال صدقت ياخزاعي^(١).

(١) ج ١ / ١٦٩.

لقد وردت روايات عن المعصومين(ع) بعضها يفيد الحث وبعضها العتاب لمن قصر في ذلك وفي بعضها التعبير بالجفاء لأنه لمسوا في بعض الشيعة عدم التواصل مع زيارة الحسين(ع). وأما بالنسبة للمجالس الحسينية فإنها حضيت بتشجيعهم وحثهم عليهم السلام، حتى ان شيعتهم فهموا من خلال كلماتهم وممارساتهم ، ان المجالس وكل الشعائر الحسينية تشكل أهمية قصوى، لذا واصلوها ودفعوا الضرائب الجسيمة من اجل استدامتها ، فقد بذل شيعة أهل البيت كل ما في وسعهم وما لديهم من طاقة، وما عندهم من مال، سخروا ذلك في خدمة القضية الحسينية .

ذكر الشيخ شمس الدين ان احمد البلادي نظم الأمين قصيدة في رثاء الإمام الحسين(ع)^(١) .

(٣) وسائل إحياء الثورة الحسينية :

لقد ورد عن أئمة أهل البيت(ع) التأكيد على بعض الوسائل لتأصيل فاجعة كربلاء في ضمير الأمة فاستخدموا الحزن والمأتم والبكاء والشعر وزيارة مراقد الشهداء في كربلاء للتعبير عن ارتباطهم مع هذه القضية . كما قاموا ببحث الجماهير على هذا العمل وأمروهم ان لا يتراجعوا مهما كان الثمن لان الأجر عظيم والثمرة كبيرة .

(١) ثورة الحسين في الوجدان الشعبي/ ١٣٦ .

والسؤال : هو هل نكتفي بهذه الوسائل التي كانت تتناسب مع عصر الأئمة ؟ أما اليوم ونحن نعيش في عصر الكمبيوتر والمخطات الفضائية وتطور السينما والتلفزيون ووجود نظام الانترنت فان علينا ان نفكر بتطوير الوسائل التي ورثناها عن أئمتنا(ع) ونستفيد من الوسائل الحديثة لتكون قضية الحسين(ع) قضية العصر كي تواكب حركة العصر، لأن الوسائل التعبيرية التي نستخدمها اليوم تعتبر بدائية لا تصلح ان نطرح ثورة الحسين من خلالها للعالم .

العامل العاشر
الحكام الظالمون
بجلائل ونبوة الحسين (ع)

الحكام الظالمون يخلدون ثورة الحسين (ع)

لعل عنوان العامل العاشر يثير تساؤلاً لدى القارئ ، كيف يكون الحكام الظالمون قد شاركوا في تخليد ثورة الحسين (ع) وهم الذين حاربوا هذه الثورة بكل ما يملكون من وسائل حرب؟

أقول صحيح أنهم حاربوا الثورة الحسينية إلا أنهم بحربهم الشاملة فتحوا العيون والقلوب على هذه الثورة ودفعوا الأمة إلى التأمل في جوهرها وأبعادها حتى أدركت أن هذه القضية تشكل ركناً هاماً من أركان هذا الدين، فهناك حِكْم وقواعد من قبيل الإنسان حريص على ما منعه، وان لضغط يوْلَد الانفجار، والمظلومية ترسخ الحق لأنها تؤدي إلى التعاطف الإنساني معه، مثلاً لو لم يحفروا قبر الحسين (ع) ويجروا عليه الماء لما كانت تعلن الثورة في كربلاء يومها، وإلى اليوم بقيت هذه المسألة -انتهاك حرمة القبر الشريف- تثير العواطف لصالح الحسين (ع). وتؤصل عداة الأمة لخصوم أهل البيت لأنهم بلغوا إلى هذا الحد من الدناءة. يقول المستشرق الهنغاري غولد تسيهر في كتابه (العقيدة والشرعية في الإسلام) قام بين الحسين بن علي والغاصب الأموي نزاع دام وقد زودت ساحة كربلاء بتاريخ الإسلام بعدد كبير من الشهداء.. اكتسب الحداد عليهم حتى اليوم مظهراً عاطفياً^(١).

(١) مجلة الثقافة الإسلام عدد ، ص ٥٠.

ويقول الاثاري الإنكليزي وليم لوفتس في كتابه (الرحلة إلى كلدة وسوسيانة) :

لقد قدم الحسين بن علي ابلغ شهادة في تأريخ الإنسانية وارتفع بمأساته إلى مستوى البطولة الفذة^(١) .

ومن المصاديق الواضحة على إن الحكام الظلمة ساهموا من حيث لا يشعرون بتخليد ثورة الحسين(ع)، ما رواه العلامة المجلسي في البحار^(٢) .
-وملخصه- حدث موسى بن عبد العزيز الشريعي، قال: إن يوحنا بن سراقبون النصراني المتطبب قال لي بحق نبيك ودينك من هذا الذي يزور قبره قوم منكم بناحية قصر ابن هبيرة من هو من أصحاب نبيكم؟

قلت: ليس هو من أصحابه انه ابن بنته فما دعاك إلى المسألة لي عنه، فقال عندي حديث طريف قلت وماهو؟ قال: بعث إلى سابور خادم الرشيد لعلاج موسى بن عيسى الهاشمي وكان زائل العقل وكان متكئاً على وساده وبين يديه طست فيه حشو جوفه فسأل سابور خادماً لموسى عن خبره، فقال انه كان جالساً وحوله ندماءؤه فجرى ذكر الحسين بن علي فقال موسى إن الرافضة ليغالون فيه حتى انهم فيما عرفت يجعلون تربته دواء يتداوون به فقال رجل من بني هاشم قد كانت بي علة فتعالجت بها وكان ليس لها علاج، فقال له موسى أبقى عندك منها شيء؟ قال : نعم فوجه فجاءه منها بقطعة فناولها موسى فأخذها فاستدخلها دبره استهزأاً بها واستصغاراً للحسين، فما

(١) المصدر السابق .

(٢) ج ٤٥ ، ص ٣٣٩ .

هو إلا أن صاح النار النار الطست الطست فجئناه بالطست فاخرج فيها ما ترى فتحول المجلس إلى مجلس حزن، فاقبل عليّ سابور وقال: أترى فيه حيلة؟ فدعوت بشمعة فنظرت فإذا كبده وطحاله وريته خرج منه في الطست فنظرت إلى أمر عظيم فقلت ما لأحد في هذا صنع إلا أن يكون لعيسى الذي كان يحبي الموتى، فقال سابور: صدقت وبقيت عنده فما رفع رأسه حتى مات في وقت السحر .

قال محمد بن موسى قال لي موسى بن عبد العزيز الشريعي كان يوحنا يزور قبر الحسين وهو على دينه ثم اسلم بعد هذا وحسن إسلامه، وصدق الله العظيم حيث يقول (فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض)^(١).

إن الطغاة من حيث لا يشعرون أظهروا كرامات الحسين (ع)، ونبهوا الناس إلى مكانته السامية، فأثم عندما طافوا برأسه البلدان اسمعوا الأمة في العراق والشام صوت الرأس الشريف وهو يتلو القرآن .

ولو إن القوم لم يسيروا بعائلة الحسين بعد قتله من العراق إلى الشام لما كانت هذه الآثار العظيمة التي خلفها موكب السبايا فما نزلوا بمكان إلا وقد حدث فيه أمر لهم .

يقول المقرّم وقبل أن يصلوا الموضع بفرسخ وضعوا الرأس على صخرة هناك فسقطت منه قطرة دم على الصخرة فكانت تغلي كل سنة يوم عاشوراء ويجتمع الناس هناك من الأطراف فيقيمون المأتم على الحسين

(١) سورة الرعد . آية ١٧ .

ويكثر العويل حولها وبقي هذا إلى أيام عبد الملك بن مروان فأمر بنقل الحجر فلم ير له اثر بعد ذلك ولكنهم بنوا في محل الحجر قبة سموها مشهد النقطة^(١)، وهناك مشاهد كثيرة لأهل البيت (ع) كلها معالم شاخصة على مظلومية آل محمد صلوات الله عليهم، إن الله تعالى قد شاء أن يخلد الحسين (ع) فلا يستطيع أحد مهما أوتي من قوة أن يدحض إرادة الله تعالى لذا ما من أحد سعى إلى محاربة الحسين الشهيد (ع) إلا وكان من المساهمين في تخليد ثورة الحسين خلافا لإرادة الطغاة (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون)^(٢).

(١) مقتل الحسين للمقرم، ٣٤٦. ويضيف المرحوم المقرم أنه لما جيء برأس الحسين مع السبايا ووصلوا القارئ هذا الجبل غربي حلب قطرت من الرأس الشريف قطرة دم وعمر على أثرها مشهد عرف بمشهد النقطة. نقلاً عن كتاب (نهر الذهب في تاريخ حلب)، ج ٢ / ص ٢٣.

(٢) سورة الصف، آية ٧.

العامل الحلي عشر

الشعر بجلالة ثورة الحسين (ع)

الشعر يخلّد ثورة الحسين

إذا أردنا تقويم حركة الشعر منذ فجر النهضة الحسينية وحتى الوقت الحاضر علينا دراسة النقاط التالية :

(١) أهمية الشعر في الثقافة الإسلامية والإنسانية .

(٢) شعر رجال الثورة .

(٣) شعر المحاربين للحسين .

(٤) شعر ما بعد الثورة .

أولاً: أهمية الشعر في الثقافة الإسلامية والإنسانية:

منذ العصر القديم للإنسان وهو ينظم الشعر للتعبير عن الأفكار والتصورات التي تختلج في صدره حتى نسب إلى أمير المؤمنين (ع)، انه قال أول من قال الشعر هو آدم (ع) ولما سئل ما كان شعره؟ قال (ع) لما نزل إلى الأرض من السماء فرأى تربتها وسعتها وهواها وقتل قابيل هابيل فقال آدم (ع) :

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح^(١)

وسواء صحت هذه الرواية أم لا فان الإنسان تعاطى الشعر منذ القدم وفي كل أمة شعراء بكل لغة من لغات العالم وكل الأمم تحترم شعراءها وتقيم لهم مهرجانات التكريم لان الشاعر كان ولا يزال صوتاً إعلامياً له

(١) ميزان الحكمة ، ج ٥ ، ص ١٠١ .

صداه وله قيمته، واليوم مع كل التطور الهائل لوسائل الإعلام يظل الشاعر صوتاً معبراً عن عقيدة شعبه وفضائل أمته يترجم جهادها ويزيد حماسها. لقد مثل الشاعر دوراً عظيماً في الحروب التي خاضتها الأمم حيث ساهم كصوت إعلامي في الحرب النفسية والإعلامية التي تصاحب الحروب وهي لا تنفك عنها فساهم الشاعر مساهمة فعالة في الانتصارات التي حققتها الأفكار في كثير من الحروب ولهذا كان رسول الله (ص) يكرم الشعراء.

روي عن البراء بن عازب قال : قيل يا رسول الله إن أبا سفيان بن الحرث بن عبد المطلب يهجوك فقام ابن رواحة فقال : يا رسول الله أئذن لي فيه، قال أنت الذي يقول: ثبت الله؟ قال: نعم يا رسول الله، قلت : ثبت الله ما أعطاك من حُسْنٍ تثبت موسى ونصراً مثل مانصره قال: وأنت يفعل الله بك مثل ذلك.

ثم وثب كعب فقال: يا رسول الله أئذن لي فيه. فقال: أنت الذي تقول همت؟ قال نعم يا رسول الله قلت:

همت سخينة ان تغالب رهبا فليغلبن معالب الغلاب قال: أما ان الله لن ينسى لك ذلك^(١).

وعنه أيضاً قال: قال رسول الله (ص) لحسان بن ثابت أهج المشركين فأن جبريل معك^(٢).

(١) ميزان الحكمة ج ٥ - ١٠٠/٩٩ - محمد ري شهري .

(٢) ميزان الحكمة ج ٥ - ١٠٠/٩٩ - محمد ري شهري .

وقال (ص): ان من الشعر لحكماً وان من البيان لسحراً .

وكان (ص) يقول: اشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لييد (إلا كل شيء ما خلا الله باطل).

وقال الإمام الصادق (ع): (من قال فينا بيت شعر بنى الله له بيتاً في الجنة)^(١).

كما ان جميع الأئمة من آل البيت (ع) قد تعاطوا الشعر وأدلووا بتصوراتهم حول الشعر، لذا عندما سُئل أمير المؤمنين عن اشعر الشعراء، قال: ان القوم لم يجروا في حلبة تعرف الغاية عند قصبتها فأن كان ولا بد فالملك الظليل^(٢).

وللإمام علي (ع) ديوان شعر وهكذا باقي الأئمة فأن الكثير ممن ترجم لهم عقد فصلاً بعنوان الإمام والشعر .

وأستطيع القول ان الثقافة الإسلامية بنيت على الشعر بعد القرآن والحديث، فالشعر أساس من أسس الثقافة الإسلامية وقد أخذ الشعر حيزاً كبيراً من أدبيات المسلمين فلو جمع كله وهو مستحيل لبلغ الآلاف من المجلدات. وقد ضاع من شعر المسلمين اكثر بكثير مما جمع .

ثانياً : شعر رجال الثورة :

لقد سجل التاريخ جانباً من الأراجيز الشعرية التي قالها رجال ثورة كربلاء من الحسين القائد إلى أصحابه حتى الغلمان والنساء وقد كان للشعر

(١) ميزان الحكمة ، ج ٥ ، ص ٩٩-١٠٠ - محمد ري شهري .

(٢) الملك الظليل : امرئ القيس .

اثر في توضيح الحقيقة وكشف بعض الملابس. لان الحسين وأصحابه قد وضحو الأهداف التي من أجلها ثاروا وذلك من خلال الخطب والكلمات والأراجيز الشعرية .

ولو تأملنا ببعض المقطوعات الشعرية لعلمنا ان الحسين وأصحابه إنما جاءوا إلى كربلاء للحفاظ على حرمة هذا الدين وأهله، وهذه النقطة اختلف فيها المسلمون فمنهم من خطأ الحسين ومنهم من جعل فعله عين الصواب وقد ساهم اتباع الاتجاه الأول في صناعة بعض الأحاديث ونسبها إلى رسول الله (ص)، حتى وصلوا إلى هذه المسألة، ان الحسين قتل بسيف جده رسول الله (ص).

وبقي اتباع الاتجاه الثاني يدافعون عن حركة الحسين (ع) واعتبروها عين الصواب منطلقين من مبدأ عصمة الحسين (ع)، أو من الدراسة الموضوعية لأسباب ثورته والمقارنة بينه وبين يزيد .

يقول العقاد: (ما اختصم رجلان كان أحدهما أوضح حقاً واظهر فضلاً من الحسين في خصومته ليزيد بن معاوية) ^(١). ولعل هذا المبدأ قد ركز عليه الحسين (ع) كثيراً في خطبه وكلماته وأشعاره يقول (ع) في أرجوزته :

أنا الحسين بن علي	أحمي عيالات أبي
آليت ان لا اثني	امضي على دين النبي ^(٢)

(١) أبو الشهداء الحسين بن علي، ص ٤١ : عباس محمود العقاد .

(٢) الوثائق الرسمية ، ص ٢١٢ ، القزويني .

بهذه المقطوعة الشعرية يؤكد أبي الضيم أهدافه التي ينشدها من خلال ثورته فهو يؤكد على: هويته الشخصية بقوله :

أنا الحسين بن علي، ويؤكد استقامته ومواصلته لثورته مهما كانت العوامل الضاغطة فلا تراجع كما قال من قبل (ومن رد علي ذلك اصبر حتى يحكم الله والله خير الحاكمين)، وأكد دفاعه عن حرمان الإسلام المتمثلة بآل محمد(ص) التي عبر عنها(ع) بقوله: احمي عيالات أبي، ثم أكد على ان عمله هذا هو من صميم الإسلام المحمدي، نعم انه يتعارض مع إسلام آل أبي سفيان أما إسلام محمد(ص) فهو الداعي والمحرك للحسين بن علي(ع) نحو الثورة لذا كان(ع) يستشهد بأقوال جده(ص) في مقارعة الحاكم الظالم قال(ع) مخاطباً الحر وأصحابه بمنطقة -البيضة -:

أيها الناس ان رسول الله(ص) قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله(ص) يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله ان يدخله مدخله إلا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن واطهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء واحلوا حرام الله وحرموا حلاله وأنا أحق ممن غير وبدل^(١)..

وأما أصحاب الحسين (ع) فأثم جميعاً قد اجمعوا على نقطة وهي الدفاع عن الحسين(ع) إمامهم وعن الدين الذي اعتنقوه لان القيادة الإسلامية والإسلام اصبحا في خطر عظيم.

(١) حياة الأعلام الحسين بن علي ، ج ٣ ، ص ٨٠ / باقر القرشي.

لنصفي إذن إلى أراجيز أصحاب الحسين(ع) ونتأمل فيها .

(١) الحر بن يزيد الرياحي :

اني أنا الحر ومأوى الضعيف اضرب في أعناقكم بالسيف
عن خير من حلّ بأرض الخيف أضربكم ولا أرى من حيف

(٢) يزيد بن زياد بن المهاجر الكندي :

أنا يزيد وأبي مهاجر^(١) أشجع من ليث بغيل خادر
يا رب اني للحسين ناصر ولا بن سعد تارك وهاجر^(٢)

(٣) زهير بن القين :

أنا زهير وأنا ابن القين أذودكم بالسيف عن حسين
ان حسينا أحد السبطين من عترة البر التقي الزين

(٤) القاسم بن الإمام الحسن المجتبي(ع) :

ان تنكروني فأنا نجل الحسن سبط النبي المصطفى
هذا حسين كالأسير المرتقم بين أناس لا سقوا صوب

(٥) العباس بن علي(ع) :

يا لله ان قطعتموا يميني اني أحامي أبداً عن ديني
وعن إمام صادق اليقين نجل النبي الطاهر الأمين

(١) كان يزيد بن زياد من المهاجرين من أصحاب بن سعد فلما رد القوم على الحسين ما عرضه عليهم عدل المؤمنين وجثا بين يديه وارسل مائة سهم لم يكذب منها خمسة اسهم . أبو الشهداء / ١٥٢ / عباس محمود العقاد.

(٢) مهاجر : جده .

٦) علي بن الحسين الملقب بالأكبر :

أنا علي بن الحسين بن علي نحن وبيت الله أولى بالنبي
تالله لا يحكم فينا ابن الدعي أطعنكم بالرمح حتى يشني
أضربكم بالسيف أحمي عن أبي ضرب غلام هاشمي علوي

٧) زوجة جنادة الأنصاري :

أنا عجوز سيدي ضعيفة خاوية بالية مخيفة
أضربكم ضربة عنيفة دون بني فاطمة الشريفة
تلكم نماذج من شعر أبطال الثورة كلها ترمي إلى تركيز مسألة الدفاع
عن الحسين(ع) والعقيدة، وليس فيها أية إشارة إلى أهداف دنيوية أو
دوافع عصبية أو مذهبية ان أهدافهم إسلامية محضة .

ان إجماع أصحاب الحسين(ع) على هدف واحد وهو الدفاع عن
دينهم وإمامهم وعدم الإشارة إلى أطماع، يؤكد الحالة الإسلامية التي
كانت عليها تلك الجماعة وبالتالي فقد اثبتوا انهم طلاب آخرة لا طلاب دنيا
بخلاف ما وصفهم به الإعلام الأموي .

وان من أصحاب الحسين(ع) من أشاروا في أراجيزهم إلى انحراف
الأمويين وابتعادهم عن القرآن، والتزموا شريعة آل أبي سفيان. قال أحد
أصحاب الحسين (ع):

أشكو إلى الله من العدوان قتال قوم في الردى عيان
قد تركوا معالم القرآن ومحكم التنزيل والقرآن
واظهروا الكفر مع الطغيان^(١)

(١) نقلت هذه الأراجيز عن كتاب آبار العين في أنصار الحسين، محمد طاهر السماوي ومصادر أخرى.

ان أصحاب الحسين(ع) افصحوا عن أهدافهم وقالوا بوضوح نعم لآل البيت، نعم للإسلام لا لحكام بني أمية الظلمة الذين عاثوا في الأرض فساداً.
ان أدب الثوار ساهم مساهمة فعالة في كشف الحقيقة واثبت مشروعية الخروج على الحاكم -يزيد- وعماله، فقد كان الحق معهم وكانوا مع الحق بثورتهم ولم يكونوا خارجين على حكم إسلامي كما كتبت بعض الأعلام الحاقدة، ولا ادري كيف يدافع البعض عن يزيد ويصحح خلافته بينما يتهم الحسين وأصحابه بالتمرد اللا مشروع على حاكم مسلم جامع للشرائط!!
كما يصوره هؤلاء^(١)!!

ثالثاً : شعر المحاربين للحسين (ع) :

وقعت بأيدينا النصوص الشعرية لرموز الجيش المحارب لأبي عبد الله(ع) أكدوا فيها على أهدافهم ونواياهم الخبيثة وأحقادهم الدفينة، يقول قائد الجيش الأموي المحارب للحسين(ع) في أبياته المشهورة :

فو والله لا ادري وإني لحائر^(٢) أفكر في أمري على خطرين

(١) كآبن عربي في كتابه (العواصم والقواصم)، ومحمد الخضري في كتابه (تأريخ الأمة الإسلام) ج ١، ص ٥١٧، قال: (ان الحسين اخطأ خطأ عظيماً في خروجه هذا الذي جر للأمة وبال الفرقة والاختلاف وزعزع عماد الفتها القارئ يومنا هذا) عن كتاب حياة الأعلام الحسين . للقرشي .

(٢) كان ابن زياد قد كتب لابن سعد بولاية الري وثر دسني والديلم فطلب منه ان يسير القارئ حرب الحسين فاستعفى فهدده باسترجاع ولاية الري منه وطلب منه ليلته لينظر في الأمر فأمهله ومضى القارئ داره وقد بقي ليلته ساهراً يطيل التفكير في الأمر هل يقدم على حرب الحسين ربحانة الرسول(ص) وفي قتله العذاب الدائم والحزني الخالد إنما يترك ملك الري وهي فرصة العمر بالنسبة له وسمع في تلك الليلة يقول: أترك ملك الري .. الأبيات . حياة الأعلام الحسين(ع)، ج ٣، ص ١١٣، باقر شريف القرشي.

أترك ملك الري والري بغيتي أم ارجع مأثوماً بقتل حسين
وفي قتله النار التي ليس دونها حجاب وملك الري قرّة عيني^(١)
هذا هو هدف قائد الجيش الأموي وعلى هذا فقس ما سواه ان هؤلاء
كشفوا الحقيقة بوضوح من خلال تصرّحاتهم هذه.

وأما شمر بن ذي الجوشن الرجل الثاني في جيش المحاربين للحسين قال
لابن زياد عندما وفد عليه بعد قتل الحسين(ع):

أوقر ركابي فضة أو ذهباً إني قتلت السيد المحجبا
قتلت خير الناس أمّا وأباً وخيرهم إذ ينسبون النسب^(٢)
هذه هي الدوافع التي دفعت شمر وغيره إلى قتال الحسين(ع) وقد
أنجزوا مهمتهم قتل الحسين ومن معه، جاءوا يطالبون بالذهب والفضة يا
للعار، يا للخزي .

ان القتلة اجمعوا على هدف واحد وهو المكاسب المادية ولو بقتل الذرية
الطاهرة. روى المؤرخون ان العشرة الذين رضوا بحوافر خيولهم صدر
الحسين(ع) وظهره دخلوا على ابن زياد وشعارهم :

نحن رضضنا الصدر بعد الظهر بكل يعبوب شديد الاسر
فقال ابن زياد: من انتم؟ قالوا: نحن الذين وطئنا بخيولنا ظهر الحسين
حتى طحنا جناجن صدره، فأمر لهم بجائزة يسيرة .

(١) في رحاب الأئمة ، ج ٣ ، ١٠٢ ، محسن الأمم.

(٢) في رحاب الأئمة ، ج ٣ ، ١٤٤ ، محسن الأمم .

قال: أبو عمر الزاهد فنظرنا في هؤلاء العشرة فوجدناهم جميعاً
أولاد زنا .

ويؤكد يزيد الذي ورط أهل العراق بقتل الحسين (ع) ان دوافعه هي
طلب الثأر من الحسين باعتباره وريثاً لرسول الله (ص)، وقد صرح بهذا
أكثر من مرة .

قال: الزهري لما جيء بالرؤوس كان يزيد في منظره له على جيرون
فانشد لنفسه:

لما بدت تلك الحمول واشرقت تلك الشموس على ربي جيرون
نعب الغراب فقلست صح أو تصح فلقد قضيت من الغريم ديوني
وفي بعض الكتب: فلقد قضيت من الرسول ديوني^(١).

أي أنه قتل الحسين لقتل رسول الله (ص) أجداده يوم بدر ، ولا يقول
هذا القول إلا كافر بالله .

وقال: ابن عساكر ان يزيد لما وضع الرأس بين يديه جعل يتمثل
بأبيات ابن الزبعرى وزاد فيها البيتين الأخيرين :

ليت أشياخي ببدر شهيدوا جنزع الخنرج من وقع الاسل
لاهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلناه ببدر فاعتدل
لست من خندف ان لم انتقم من بني احمد ما كان فعل^(٢)

(١) في رحاب الأئمة ج ٣ ، ص ١٤٠ ، محسن الأمم .

(٢) في رحاب الأئمة ج ٣ ، ص ١٥٠ ، محسن الأمم .

هذه مجموعة من أشعار رواها المؤرخون وهي لا تبقى شكاً لطلاب الحقيقة بأن يزيد وحزبه قد ارتكبوا جريمة عظيمة لا تغتفر بحق آل النبي (ص)، ولكن وللأسف الشديد ان البعض يدافع عن يزيد رأس الفساد والظلم فيظل علينا بكتاب عنوانه (حقائق عن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية)^(١) ولكن المسألة في جوهرها تعود إلى ما ذكره المرحوم العقاد في كتابه -أبي الشهداء-، قال رحمه الله: (ولا ننسى ان السنين الستين التي انقضت بعد حركة الحسين، قد انقضت في ظل دولة تقوم على تخطيطه في كل شيء وتصويب مقاتيله في كل شيء).

ان القول بصواب الحسين معناه القول بطلان تلك الدولة، والتماس العذر معناه إلقاء الذنب عليها وليس بخاف على أحد كيف ينسى الحياء وتبتذل القرائح أحيانا في تريه السلطان القائم وتأثيم الزاهب^(٢).
إذن من الوثائق التي تدين الأمم واتباعهم ما مر عليك أيها القارئ حيث لم نر في أشعارهم وكلماتهم أية إشارة إلى دفاع عن دين أو حرمة مسلمين وانما وجدنا هذا في أدبيات الحسين وأصحابه.

دائماً: شعر ما بعد الثورة :

لقد ساهم الشعر منذ انطلاقة الثورة الحسينية، وحتى اليوم مساهمة فعالة في كشف الحقائق فهو الترجمان الصادق لجهاد الحسين (ع)، ولعل بعض

(١) الكتاب نشر صورة غلافه السيد مرتضى العسكري في كتابه معالم المدرستين، ج ١، ص ١٥٩،

وقد قامت بطبعته ونشره وزارة المعارف في السعودية والكتاب يدرس في المدراس السعودية !!.

(٢) أبو الشهداء، ص ١٠٦، عباس محمود العقاد.

الشعراء قد عبرَ بيت من الشعر أروع تعبير عن أهداف الحسين في نهضته،
خذ مثلاً قول الشاعر محسن أبي الحب:

ان كان دين محمد لم يستقم إلا بقتلي يا سيوف خديني
إن هذا الشاعر قد عبر تعبيراً تاماً عن جهاد الإمام الشهيد، ولهذا فقد
نسبه البعض إلى الحسين (ع)، والحق خلافه فهو للمرحوم محسن أبي الحب
الكربلائي وهو مثبت في ديوانه ضمن قصيدة طويلة يقرأها مشاهير الخطباء .
وإليك مثلاً آخر وهو قول الشاعر :

الهي تركت الخلق طراً فني وايتمت العيال لكـي اراكا
فلو قطعني بالحب إرباً لما مال الفؤاد إلى سواكـا
ان هذين البيتين جمعاً كل ما تنطوي عليه نوايا الحسين (ع) في ثورته،
لان الحسين نهض لله وقتل في الله تعالى.

وهكذا استمر الشعر يخلد ثورة الحسين ويوصلها في وجدان الأمة
حتى جعلها قضية تتحرك في واقع الحياة الإسلامية بشكلها الواسع.
ولعل الشيخ شمس الدين افضل من بسط القول في الشعر الحسيني،
يقول الشيخ :

وأما القيمة التربوية لشعر الرثاء الحسيني فأنها تختلف عن قيمته الفنية
كثيراً، ان القيمة التربوية لشعر الرثاء الحسيني قيمة حقيقة وكبرى وذات
تأثير حاسم، فلقد استمر هذا الشعر في عمله التربوي التوجيهي الذي أريد
له حين وجه أئمة أهل البيت شيعتهم إلى إنشاء وإنشاده، وقد ساهم على
امتداد العصور الإسلامية مع الخطوط الثقافية الأخرى من زيارة ومأتم في

تغذية الإنسان الشيعي بالمفاهيم الإسلامية الأساسية لموقف التشيع وخطوطه الكبرى، وفي أحكام صلة الإنسان الشيعي بالثورة الحسيني، ان القيمة التربوية لشعر الرثاء الحسيني كانت قيمة كبرى في الماضي وستبقى كذلك في المستقبل مادام المنبر الحسيني ووسائل الأداء الحديثة مسارب لهذا الشعر تنقله إلى الناس فتجدد لديهم الصلة بثورة الحسين ومثلها العليا وتجعلها في قلوبهم رمزاً حياً للنضال في سبيل الحق والعدالة والاستشهاد في سبيل الصالح العام^(١).

وأما المواضيع التي يطرحها الشاعر فهي كثيرة، منها: سياسية وأخرى عقائدية، ومنها: ما يخص فضائل أهل البيت (ع)، وذكر مثالب خصومهم، ومنها ما يصور الفاجعة ويدعو إلى البكاء والحزن، ومنها: ما يركز على مسألة الثار الحسيني ويطلب من بني هاشم والإمام المنتظر (ع) الانتقام من قتلة الحسين (ع)، ويصور مأساة السيدة زينب (ع) وبقية بنات الرسالة، حتى ان بعض الأشعار يشم منها العتاب الشديد لان الشاعر يتصور بنات رسول الله (ص)، وقد سلب منهن الحجاب وبقين مكشفات الرؤوس إمام المتفرجين فلم لا يخاطب بني هاشم وبقية آل محمد بهذه اللغة، وإذا أردنا ان نحسن القول بهذا اللون من الشعر ان نقول فيه انه شعر يتناسب مع تلك المرحلة وأما مرحلتنا فهي بحاجة إلى لون جديد من الشعر يتناسب مع الحركة الثقافية الصاعدة .

(١) ثورة الحسين في الوجدان الشيعي ٢١٧/٢١٨.

ولازال بعض الشعراء يطرح الثورة الحسينية من منطلق قبلي بين بني هاشم وبني أمية، ومن حق الأمة أن تقول إذا كان الصراع بين أسرتين أو قبيلتين فما الذي يعنينا نحن؟ لذا لو أن الشاعر سلط الضوء في شعره على الصراع بين الحق والباطل، بين الإيمان والكفر، بين الهدى والضلال، بين الإصلاح والفساد، بين الخير والشر لكانت عاشوراء أكثر وضوحاً في معانيها الإنسانية، لذا فقد انتقد المفكر الإسلامي الأستاذ محمد حسين فضل الله من يتعاطى من الشعراء هذا اللون من التعبير العاطفي في الوقت الحاضر قال: لابد ان تتطور أساليب التعبير عن الشعور العاطفي في قضية الإبداع التعبيري. فربما كانت بعض الإثارات خاضعة لمرحلة معينة فلا تصح لتحريكها في الواقع في مرحلة أخرى، وقد تكون المسألة متصلة بالمستوى الثقافي المتخلف في تأثيره بأسلوب معين فلا يكون عنصراً للإثارة في مستوى ثقافي متقدم، وهذا ما نلاحظه في بعض مفردات الشعر الحسيني العامي والفصح التي تنطلق من العادات العشائرية في حث النساء للرجال لتحريك حماسهم ونخوتهم وحركتهم فإنه لو طرحنا مثل هذه المفردات بمجتمع ثقافي متطور، فأنا لا نجد أنه يتأثر بذلك لان الحالة الثقافية قد طورت حركة عاطفته كما طورت حركة فكره^(١).

ولكن والحق يقال: ان عصرنا الحاضر يزخر بمئات النماذج الشعرية التي ترقى إلى المستوى الثقافي والفكري في هذا العصر، وقد اختارت للقارئ العزيز ثلاثة نماذج شعرية لثلاثة شعراء معاصرين هم :

(١) من وحي عاشوراء .

١- محمد مهدي الجواهري .

٢- المرحوم الدكتور مصطفى جمال الدين .

٣- المرحوم السيد محمد جمال الدين الهاشمي.

هؤلاء الشعراء أكدوا في قصائدهم على إسلامية القضية الحسينية

ودورها في إحياء الروح الإسلامية فكراً وجهاداً وتربية ...

١- الجواهري في عينيته :

فداء لمثواك من مضجع	تنور بالأبلج الأروع
باعتق من نفحات الجنان	روحا ومن مسكها اضوع
ورعياً ليومك يوم الطفوف	وسقيا لأرضك من مصرع
وصوناً لمجدك مما ان يندال	بما أنت تأباه من مبدع
فيا أيها الوتر في الخالدين	فذا إلى الآن لم يشفع
تعاليت من مفرع للحتوف	وبورك قبرك من مفرع
تلوذ الدهور فمن سجد	على جانيبه ومن ركع
شمت ثراك فهب النسيم	نسيم الكرامة من بلقع
وعفرت خدي بحيث استرا	ح خد تفرى ولم يضرع
وحيث سنابك خيل الطفاعة	جالت عليه ولم يخشع
وطفت بقبرك طوف الخيال	بصومعة الملهم المبدع
وخلت وقد طارت الذكريلت	بروحي إلى عالم ارفع
كأن يداً من وراء الضريح	حمراء مبتورة الإصبع
تمد إلى العالم بالخنوع	والضيم ذي شرقٍ مترع
لتبدل منه جديب الضمير	باخر معشوشب ممرع

فيا ابن البتول وحسي بها	ضمانا على كل ما ادعي
ويا ابن التي لم تضع مثلها	كمثلك حمل ولم ترضع
ويا البطين بلا بطننة	ويا ابن الفتى الحاسر الانزع
ويا غصن هاشم لم يفتح	بأزهر منك ولم يفرع
ويا واصلاً من نشيد الخلود	ختام القصيدة بالمطلع
يسير الوري بركاب الزمان	من مستقيم ومن اضلع
وأنت تسير ركب الخلود	ما يستجد به يتبع
تمثلت يومك في خاطري	وردت صوتك في سمعي
ومحصت أمرك لم ارتعب	بنقل الرواة ولم اخدع
ولما أزحت طلاء القرون	وستر الخداع عن المخدع
وجدتك في صورة لم اراع	بأعظم منها لا أروع ^(١)

يصور الشاعر في رائعته هذه الإمام الحسين بأنه مصدر الكرامة والحرية وهو المفزع الذي تفزع إليه الأمة في ساعات المحنة فيلبي أبو الأحرار طلباتها ويقضي حاجاتها كما يؤكد على مسألة هامة إلا وهي مسألة القيادة قيادة العالم وتوجيهه نحو المستقبل المشرق، ويعتبر الشاعر قبر الحسين بأنه جنة من جنات الدنيا بل ان نفحاتها اعقب من نفحات الجنان ويصف الحسين بأنه أوحدي في هذا الوجود فهو الوتر في الخالدين الذي لا مثيل له.

(١) المنتخب من الشعر الحسيني ، ص ٨٠ ، المدرسي .

لقد عرض الجواهري في قصيدته هذه واقعة عاشوراء افضل عرض
وقد جمع بين الواقعة وشخصية الحسين وأصحابه ان الاثنين لا مثيل لهما
فالحسين ابن البتول التي لم تلد مثلها امرأة كالحسين فهو وتر والحسين في
قضيته وتر حيث لم يخلد أحد كخلوده فالحسين بين هذين البيتين :

فيا أيها الوتر في الخالدين فدا إلى الآن لم يشفع
ويا ابن التي لم تضع مثلها كمثلك حمل ولم ترضع

وقصيدة الجواهري هذه، ألفت قبل خمسين عاماً في حرم الحسين (ع)
بكرلاء في مهرجان شعري شارك فيه جملة من الشعراء المرموقين، ولا
زالت هذه القصيدة من اشهر ما قيل في الحسين حيث يحفظها اغلب
الخطباء ويرددونها على المنابر.

٢- المرحوم الدكتور مصطفى جمال الدين في بانيته:

كتب الشاعر مقدمة قصيرة عن قصيدته هذه في ديوانه قائلاً: في
فترة المد الصاخب الذي حدث بعد ثورة ١٩٥٨ أقامت مدينة
النجف الاشرف ذكرى مولد أبي الشهداء الحسين بن علي في ٣
شعبان ١٣٨٠ هـ .

وكانت هذه القصيدة إحياء لذكراه ودفعاً للجماهير المؤمنة
للتمسك بنهجه (ع)^(١) .

وقد اخترت مقاطع من القصيدة لطولها . قال في مطلعها :

(١) الديوان ، ص ٥٠٣ ، مصطفى جمال الدين .

ذكراك تنطفئ السنين وتغرب
لا الظلم يلوي من طماح ضرامها
ذكرى البطولة ليلها كنهارها
إيهاً أباً الأحرار أي كريمة
أنت الذي أعطيت ما اعيى الورى
ووقعت حيث أراح غيرك نفسه
فصمدت للتيار تشمخ هادراً
مولاي أنت لكل جيل صاعد
ولأنت إن زلت به قدم الهوى
ولنا بيومك وهو في أقصى المدى
فعلى م يرجم بالظنون مخاتل
وعلى م اليأس من هداية فتية
أنا لست شيعياً لأن على فمي
ولأن في قلبي عصارة لوعة
ولأن أمي أرضعتني حبه
لكنني أهوى الحسين لأنه
واحبه لعقيدة يفنى لها
ودم يريق لأنه يغذو به
أأكون شيعته وقد اخذ الهوى
وأكون شيعته إذا لاقته

ولها على كف الخلود تلهب
أبداً ولا حقد الضمائر يحجب
ضاح تخرج به الدماء وتلهب
تبني الخلود ليس منك لها أب
تصديقه ووهبت ما لا يوهب
والحق بينكما يهيب ويرغب
سيان اغلب موجه أو اغلب
قبس ينير له السرى ويجب
صوت الضمير يرده ويونب
كف ملوحة وعين ترقب
ويعيش في وهم الخيال مخرب
تخذتك رائدها الذي لا يكذب
ذكر الحسين أعيد فيه واطنب!
لاساه تذكرها العيون فتسكب!
ولأنه لأبي وجدي مذهب!
للسالكين طريق خير ارحب
ان ديس جانبها ودين يغضب
جوع الضمائر إذ تحف فتجدب
قلبي بغير طريقه يتنكب
وأنا لروح يزيد منه اقرب

في الدهر ريان الضحى يتلهب
بجلال ما وهب الشروق المغرب
الآن يعطر في الثرى ويخضب
يهوي واحقاداً عليك تآلب
حقداً ونصلاها هوى يتعذب
عسراء وانقلبوا عليك فكذبوا
جان وتصل ما افتري وتمذب
ورقيق ظاهره الصلاح المعجب
من حولكم وهج القنا يتأشب
ان الرماح لنهبه تترقب
تجري على جذب السنين فتخصب
بيضاء تثبت للرياح وتصلب
هيهات يفتر نبعه أو ينضب^(١)

مولاي يومك لا يزال كأمسه
يزهو بغرته الأصيل وينتشي
فدم أرقته كأنه من جدّة
وكان حقاً قد نصرت وباطلاً
صور من ألامس الجليل نعيشها
وكان قوماً أسلموك بليلة
عادت بقيتهم تبارك ما جنى
من كل نماز هوايته التقى
أما الذين خبرتهم يوم التقى
فرجلت فيهم كل اشوس يزدهي
فهم الذين توارثوك رسالة
وهم الذين جرّيت فيهم ثورة
وعقيدة ترهبو بأن معيها

القصيدة ٦٥ بيتاً اخترت منها ٣٣ بيتاً للاختصار أولاً، وثانياً لأن
القسم الثاني منها يهاجم الشاعر فيه المد اليساري المحيط بالرئيس العراقي
الأسبق عبد الكريم قاسم .
يؤكد الشاعر في مطلع قصيدته ان الزمان والمكان لا يقفان إمام المد
الحسيني فالسنين تنطفئ شعلتها، ويبقى نور الحسين الوهاج الذي تسنم

(١) الديوان، ص ٥٠٥-٥١٠، مصطفى جمال الدين .

كرسي الخلود وان سعى الظلم والحق الدفين إلى إخماد هذا النور ، فإن
ذكرى البطولة ستبقى على مدار الزمن تزداد توهجاً .

ثم يخاطب الشاعر أبا الأحرار قائلاً ليس من كرامة نالها إنسان إلا
أنت واهبه إياها أنك أعدت القيم من جديد إلى حياة المسلمين. كان ذلك في
وقتٍ، الناس في استرخاء يبحثون عن راحتهم وان كان الحق يستصرخ كل
مسلم ولم يجبه سواك فصمدت بوجه التيار الفاسد الجائر وشعارك اغلب أو
اغلب المهم ان تؤدي رسالتك (إلا واني زاحف بهذه الأسرة مع قلة العدد
وكثرة العدو وخذلان الناصر).

وقال تعالى (قل هل تربصون بنا إلا أحد الحسين) النصر أو الشهادة
ويستمر الشاعر مؤكداً انتصار الحسين الانتصار المعنوي الذي احدث نقلة
نوعية في حياة الأمة الإسلامية فهو لكل جيل نور يضيء طريق الهداية
ويعمق في المسلمين روح التضحية، والحسين يرشد الضال ويدله على
الطريق، والشاعر - كما يبدو - يدعو البشرية إلى التمسك بالحسين
لتهتدي إلى الحق من خلاله.

وأما عن ارتباط شاعرنا بابي الأحرار فيقول: ليس حبي للحسين نابعاً
من كوني شيعياً أو لان كربلاء مأساة تدمع لها العيون ولا لأن أُمي غدتني
حبه، وكذلك لا لأن الحسين مذهب أبي وجدي - أي انهم يعتقدون
بإمامته - ليس الأمر كذلك وان كان ذلك حاصلاً .

لكنني أهوى الحسين لأنه للسالكين طريق خير ارحب
وبذلك يطرح شاعرنا جمال الدين الحسين (ع) بصورته العالمية التي
تستحق ان تكون قدوة لكل حرٍ أبي، وقد أجاد غاندي الذي خاطب
الشعب الهندي بقوله (على الهند إذا أرادت ان تنتصر فعليها أن تقتدي
بالإمام الحسين) .

ثم يدعو شاعرنا إلى التبنّي لمبادئ الإمام الحسين وينعى على أولئك الذين
يتظاهرون بحبهم واندكاكهم بسيد الشهداء (ع) ولكنهم في كل يوم يقتلون
الحسين بسلوكهم لأنهم بلسانهم حسينيون وبأفعالهم يزيدون لذا قال (ره):
واكون شيعته إذا لاقيته وأنا لروح يزيد منه اقرب
ثم يؤكد على حالة التجدد في ذكرى الحسين (ع) فهذه الذكرى
لازالت على قوتها، والأمة تتفاعل معها وكأنها حدثت الساعة، ولازالت هذه
الذكرى تميز العالم إلى صنفين الحق والباطل وتعمق الحق في النفوس وتطرد
الباطل عنها. وتبقى قصة الحسين (ع) عقيدةً وجهاداً مستمرةً في عروق
الإنسان الحر تجري في عروقه كما يجري الدم. نعم، لقد عبر شاعرنا عن
قضية الحسين تعبيراً دقيقاً، ولا غرابة في ذلك فهو العالم والدكتور الذي
جمع بين الثقافتين الأكاديمية والحوزوية.

٣- العلامة المرحوم السيد محمد جمال الدين الهاشمي .
القصيدة أُلقيت في حفل كبير في مدينة النجف الاشرف سنة
١٣٨٧هـ وهي من قصائده المطولة وقد اقتطعت بعضها مراعاة للاختصار:

القصيدة :

بوليد تنموا به الأحياء
وتشع الأجواء والأرجاء
إلى أمير هـد ركنها الإغفاء
منه تهتز آية عصماء
فهو للدين منهج وضياء
قدستها الرعاع والغوغاء
صرعت في جهادها الأولياء
— ر علي وأمه الزهراء
— بعثت من وجوده الأشداء
وبنوك الأئمة الأصفياء
فيه تسعى الحرية الحمراء
فيه تسعى الحرية الحمراء
ظلمته سحابة دكناء
س عبيد لحكمه وإماء
خططتها الشريعة السمحاء
وجميع الأنام فيه سواء
تتولى شؤونها الأقوياء
لاتنزوي به الفقراء

ولد السبط فالحياة ستسمو
هو كالفجر ينمحي الليل منه
هو روح الإسلام فيه استفاقت
هو معنى القران في كل
منهج الدين قد تجسم فيه
نسخ الله بالحسين قشوراً
قد براه منزهاً من صفات
جده المصطفى ووالده الطه —
قد سقاه النبي من عطره فأن —
يا أبا الأصفياء من آل طه
أنت عبّدت للحياة طريقاً
وبضوء الجهاد لألآت جواً
كنت فرداً لما رفعت لواء
وابن ميسون يحكم الدهر والنا
قمت تبني للمسلمين حياة
النظام الصحيح يحكم فيها
يضمن الحق فيه لا الضعفاء
لا الثري السري يلعب بالسوق

وإذا حل بالبلاد وباء	كافحته الرعاع والنبلاء
وطن يحضن الجميع وحكم	أهله في ظلاله سعداء
ثرت لا ناقماً ولكن لكي تصلح	وضعا سادت به السفهاء
فابن ميسون لا يكون أمير	الدين وهو المعربد الزناء
يحسب الناس كالقروء فيلهو	بمصر البلاد كيف يشاء
فانتضى سيفه وهاجم دنياه	بدين فيه تباهي السماء

بدأ الشاعر حديثه عن ولادة الحسين (ع) لان القصيدة أُلقيت في ميلاده (ع) حيث اعتبر ان حياة المسلمين بل حياة الناس كلهم سترقى إلى الكمال بـولادة الإمام الحسين، لماذا؟ يجيب الشاعر: لان الحسين كالفجر فإذا جاء الفجر ذهب الليل وشعت الدنيا نوراً، إنه يصور دنيا الإنسان قبل الحسين (ع) كأنها الليل في ظلامها في ظلامها السياسي والاجتماعي والأمني، وبالحسين أصبحت مشرقة وأضاءه، ثم يترقى الشاعر في الحديث عن هذه الشخصية الجبارة ليعبر عنها بروح الإسلام والإسلام بلا روح جثة هادمة هذه الروح هي التي ايقضت الأمة وإعادة إلى الحياة من جديد بعد ان خدرها الطغاة وسلبوا أرواحها ثم يسترسل في حديثه عن أبي العظيم فيقول عنه هو معنى القران فإذا ما أردنا فهم الحسين علينا ان نفهم القران فإذا فهمنا القران فهمنا الحسين وكما ان للقرآن آيات فالحسين كل عضو منه آية من آيات الله تعالى. وأما منهج الحسين (ع) في القول والعمل فهو منهج الإسلام فالإسلام يدعو إلى محاربة الظالم قولاً وعملاً والإسلام يدعو إلى إرادة إنسانية صلبة وهكذا كان الحسين ثم يؤكد شاعرنا الكبير على شخصية

الحسين التي أسقطت كل الشخصيات المصطنعة التي طبل لها الإعلام حتى وصفها
بأعظم الصفات قال الاحوس في يزيد:

ملك تدين له الملوك مبارك كادت لهيبته الجبال تزول
يجي له بلخ ودجلة كلها وله الفرات وماسقى والنيل
لقد اسقط الحسين (ع) يزيد ومعاوية وآل أبي سفيان جميعا وكثيرا من
الطواغيت وحوهم إلى أوساخ في مزبلة التاريخ .

ولعل سائلاً يسأل من هو الحسين حتى يتمكن من عمل كهذا؟ يجيب الشاعر:

قد براه منزهاً من صفات صرعت في جهادها الأولياء
جده المصطفى ووالده الطهر علي وأمه الزهراء
قد سقاه النبي من عطره فأ نبعثت من وجوده الاشياء

هذا هو الحسين في نسبه وجهاده فهل عرف العالم شخصية كشخصيته؟
اللهم إلا في جده وأبيه وأخيه عليهم السلام. ثم يعود شاعرنا إلى مخاطبة
الإمام الحسين (ع) بقوله:

يا أبا الأصفياء من آل طه - وهي ميزة أخرى للإمام الشهيد حيث جعل
الله الإمامة في سلالة - وبنوك الأئمة الأصفياء .

ثم ينتقل الهاشمي إلى الحديث عن جهود الحسين وجهاده فيذكر
الامة بما أنجزه الحسين من إنجازات عظيمة، فقد عبد الحسين طريقاً للحياة
يمشي عليه الناس وهو طريق الحرية الحمراء، أي إن هذا الطريق هو
طريق الدم والجهاد فهو طريق المجاهدين لا طريق القاعدين الذين يحبون
الاسترخاء والراحة، انه الطريق الذي سار عليه المختار، والتوابون، وزيد
بن علي، ويحيى بن زيد، وباقي الثوار حتى عصرنا هذا.

ويواصل شاعرنا قائلاً ان ضوء جهاد الحسين جعل الدنيا مشرقة في كل زمان ومكان فلا ليل ولا ظلام بعد نهضته (ع)، لأنه أزال كل السحب وأثار الدنيا بضوء الجهاد ولعل قائلاً يقول ان القائد الذي يحدث هذا الفتح العظيم كم كان معه من أنصار؟ الجواب:

كنت فرداً لما رفعت لواء زحفت تحت ظله الكبرياء
كانت معه فئة لا تبلغ المائة شخص إلا ان نوع الشهادة ونوع الزمان
ومعدن الرجال يختلف في هذه المرة ونوع الطاغوت الذي تحكم في
المسلمين لذا راح شاعرنا يركز على فسق يزيد وباقي مساوئه:

وابن ميسون يحكم الدهر والناس عبيد لحكمه واماء
نعم ان نهضة الحسين كانت تمثل موقف الإسلام وقوانينه :

قمت تبني للمسلمين حياة خططتها الشريعة السمحاء
لان الشريعة لا ترضى ان يتسلط على المسلمين الفسقة والظالمون وان
الشريعة لا ترضى ان يذل الإنسان وتقهر إرادته لكي لا يتحول إلى ما
يشبه الخشبة العائمة فوق سطح الماء وآل أبي سفيان أرادوا إذلال
أمة رسول الله (ص) وأراد الحسين إعادة الحياة التي كانت على عهد
جده إلى واقع الأمة:

النظام الصحيح يحكم فيها	وجميع الأنام فيه سواء
يضمن الحق فيه لا الضعفاء	تتولى شؤونها الأقوياء
لا الثري السري يلعب بالسو	ق ولا تتروي به الفقراء

لهذا كان موقف الحسين(ع) من الظلم والفساد طبيعياً لان وظيفة القائد الحريص على شعبه تفرض عليه التصدي لذلك حتى لو أدى إلى بذل النفس والنفس .

وإذا حل بالبلاد بلاء كافحته الرعاع والنبلاء
لان الوطن يجب ان يكون للجميع يتمتعون فيه بكامل حريتهم ولهذا قال المرحوم الهاشمي:

وطن يحضن الجميع وحكم أهله في ظلاله سعداء
ثم يشير إلى نقطة في غاية الأهمية حيث ان البعض يظن ان الحسين إنما ثار لوجود خلافات عائلية أو سلطوية أو أطماع شخصية بين بني أمية وبني هاشم كلا والف كلا ولكن الصحيح في هذا هو ما أشار إليه الهاشمي:
ثرت لا ناقماً ولكن لكي تصـ لـح وضعاً سادت به السفهاء
فابن ميسون لا يكون أمير الـ دين وهو المعربد الزناء
يحسب الناس كالقروء فيلـ هو بمصير البلاد كيف يشاء
لم يطق ان يرى يزيد إماما للهدى وهو للفجور وعاء
فانتضى سيفه وهاجم دنيا ه بدين فيه تباهي السماء

إلى هنا اكتفي بالتعليق على هذه القطعة الأدبية لشاعرننا الفند واختتم الحديث عنها بوصية للإمام الحسين لأخيه محمد ولعل المرحوم الهاشمي استلهم منها أبياته الأخيرة.

قال الإمام الحسين(ع) في وصيته.. وإني لم اخرج اشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي (ص)، أريد ان

أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب
فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن رد علي هذا اصبر حتى يقضي الله
بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين^(١) .

وهكذا سائر الشعر حركة الثورة الحسينية من أيامها الأولى وحتى
اليوم، وهو يتطور بتطور حركة الزمان والمكان، والحقيقة التي أراها من
خلال النصوص الأدبية: ان الرؤية لثورة الحسين من خلال الأدب أوضح
وانصع بكثير من النصوص التاريخية، لا أقول ذلك على نحو التفصيل فهناك
النصوص التي وردت في كتب الحديث والتاريخ المعتمدة، إلا ان هناك
نصوصاً ذكرت في كتب المقاتل والتاريخ يخجل الإنسان ان ينسبها إلى أهل
البيت (ع)، ومن خلال هذه النصوص الضعيفة والتي تسيء لأهل
البيت (ع) وقادة الثورة تعرضت ثورة الحسين (ع) إلى كثير من التشويه
والتحريف وقد كتب العلماء والمحققون كتباً ومقالات حول التحريف
والتشويه في الثورة الحسينية، رفضوا الكثير من النصوص التي نسبت إلى
الحسين وزينب وبقية قادة الثورة .

كما ان الشعر في بعض أطواره ومراحله قد ساهم في عملية التحريف
لأنه تأثر بالروايات الضعيفة وما يشاع على الألسن من الأكاذيب حول ثورة
الحسين (ع) إلا انه استطاع ان يتخلص إلى حد ما من التأثير بالنصوص
الضعيفة وينظر إلى القضية الحسينية من خلال ذاتها كقضية إسلامية وإنسانية

(١) الفتوح ٣٤/٥ ابن اكرم.

وبذلك انتج الشعراء أرقى الصور الشعرية وأبدعها مخلصين تراث الحسين(ع) وبقيت النصوص الروائية تعاني من وجود الكذب إلى جانب الصدق والضعف إلى جانب الصحيح ولعل الله يقض عالماً جريئاً يستطيع تصفية ملابسات هذه القضية الكبرى، كما قبض الله من قبل المرحوم مرتضى المطهري^(١) (رحمه الله) الذي بذل جهداً عظيماً لتنقية الثورة في كثير من الأكاذيب .

إلى هنا انتهى الحديث عن هذا العامل -الشعر يخلد ثورة الحسين(ع)- وان كان بودي ان أطيل لكن منهجي الاختصار .

(١) له كتاب بعنوان (الملحمة الحسينية) في ثلاث مجلدات حيث ركز فيه على مسألة التحريف في الثورة الحسينية .

الْعَامِلُ الْثَانِي عَشَرَ
الْثَوَرَاتِ السَّبْعَةِ
بِحُلَاكِ ثَوْرَةِ الْحَسَنِ (ع)

الثورات الشيعية تخذ ثورة الحسين (ع)

لقد قامت عدة ثورات في اكثر من بلد بعد ثورة الحسين (ع) مباشرة وكانت تلك الثورات تقوم في الغالب على مبدأ المطالبة بثار الحسين ومن معه من الذين تعرضوا للقتل من الرجال وللشي من النساء، كما ان هناك بعض الثورات قد حركتها فاجعة كربلاء أو بلورتها وقد دار ذكر لظلامة الحسين على لسان قادتها ومن تلك الثورات ثورة عبد الله بن الزبير التي انطلقت من مكة لتشمل جزءاً كبيراً من الجزيرة العربية والعراق وقد شكلت اكبر تهديد للدولة الأموية .

أما الثورات التي انطلقت رافعة شعار الطلب بثار الحسين فهي:

أ- ثورة أهل المدينة .

ب- ثورة التوابين في الكوفة .

ج- ثورة المختار في الكوفة .

د- ثورة زيد بن علي في الكوفة .

وهناك ثورات أخرى تركت الحديث عنها مكتفياً بالحديث عن هذه

الثورات الأربع لأنها أهمها وأشهرها :

أ- ثورة أهل المدينة :

لقد لقيت مأساة أهل البيت (ع) في كربلاء صدى واسعاً في البلاد

الإسلامية كلها وحاول الأمويون ترميم الأوضاع في البلاد بواسطة شرعاء

بعض الرجال المؤثرة في المجتمع الإسلامي، فقد أخذت العاصمة الأموية ترسل خلف الشخصيات لإكرامهم وإقناعهم بأن لا مسؤولية لها عما حدث في كربلاء، وكل ما في الأمر أن القضية كانت تصرفاً من عبيد الله بن زياد ومن معه، إلا أن حالة السخط في الأمة الإسلامية كانت أكبر من أن تستطيع دولة كدولة يزيد استيعابها بطريقة سلمية .

وهكذا فإن أهل المدينة الذين اطلعوا على أبعاد رزية آل محمد من فم زين العابدين وعمته زينب وبقية الأسرة الطاهرة عليهم السلام الذين لم يفتروا عن الحديث عن مأساتهم ولم يهدؤوا عن البكاء ليل نهار حتى حولوا المدينة إلى مآتم من مآتم الحسين الشهيد(ع) فأثار ذلك غيرة الرجال في مدينة الرسول(ص) وأحس أهلها بالمسؤولية لتخاذلهم عن نصره الحسين وتلبية نداءه وهكذا فقد أجمعت في نفوسهم مشاعر الحقد والكراهية لبني أمية.

قال المرحوم هاشم الحسني :

وأحس يزيد بن معاوية بذلك الشعور المتأجج في نفوس أكثر المسلمين من أجل الحسين وما جرى له فراح يتنصل من تلك الجريمة، ويحاول تغيير سياسته التي اتسمت بالعنف والقسوة واللامبالاة في مختلف الميادين بسياسة أقرب إلى اللين والتساهل من تلك التي كان يتعامل بها مع المسلمين وجعل يتودد إلى العلويين ويوصي بهم خيراً كما قام بعزل الوالي الوليد بن عتبة ونصب مكانه عثمان بن محمد بن أبي سفيان وأوصاه بالإحسان إلى الناس والرفق بهم^(١) .

(١) الانتفاضات الشيعية ص ٤٢٢ .

وقد قام الوالي الجديد بأمر من يزيد بإرسال وفد من أهل المدينة إلى العاصمة الأموية وقد قبل الوفد هناك بكل حفاوة وتكريم وعند عودة الوفد - الذي كان برئاسة عبد الله بن حنظلة الغسيل والمنذر بن الزبير - كشف عن حقيقة يزيد إمام الناس فقد خطب رجال الوفد فقالوا: لقد وفدنا على رجل لا يعرف الدين ولا الإسلام يشرب الخمر ويتعاطى جميع أنواع الفجور ويسامر الغلمان والقيان وينكح البنات والأخوات وأنا نشهدكم قد خلعناه فاخلعوه، وقال ابن حنظلة الغسيل: والله لو لم يكن معي أحد لقاتلته بنفسه وولدي ومن معي من أهلي واجتمع أهل المدينة يبايعونه على قتاله. ويرى أكثر من باحث أن ثورة المدينة كانت رد فعل لمقتل الحسين ويؤكدون على دور الحوراء زينب (ع) وبقية أهل البيت (ع).

وكان ابن الزبير يتابع أحداث المدينة وبمجرد علمه بخلع أهلها للوالي الأموي عمرو بن سعيد الأشدق أرسل إلى عبد الله ابن حنظلة الغسيل فولاه المدينة^(١).

ولم يكن هناك اتفاق في الرؤى والأهداف بين أهل المدينة وابن الزبير إلا أن حاجة أحدهما للآخر كانت تفرض عليهما هذا التعاون، فأن أهداف ابن الزبير كانت سحب الخلافة من الأمويين بغض النظر عن الوسائل والأساليب التي يستخدمها إلى تحقيق ذلك، بينما كان هدف أهل المدينة من الثورة هو الانتقام لأهل البيت (ع) والتكفير عن الإثم والعار الذي لحقهم

(١) الفتوح ، ج ٥ ، ص ١٧٨ ، أحمد ابن اكرم.

كما أنهم يهدفون إلى إضعاف الدولة الأموية وكان هدفهم واضحاً بدؤوا بالجهاد وانتهوا إلى التضحية فلم يهادنوا ولم يتراجعوا، أما ابن الزبير فإنه كان سلطوياً محظاً يتعاون مع الشيطان ويقاتل أولياء الرحمن من أجل تحقيق غاياته فقد قرب في الكوفة قتلة الحسين (ع) وقتل المطالبين بشأره وتحالف مع الخوارج وقتل النساء وذبح الأبرياء وعرض الحرم إلى الدمار وحارب أهل البيت (ع) وحاصروهم من أجل حفظ نفسه وسلطانه.

وبعد أن اجتمع الناس حول القائد عبد الله بن حنظلة الغسيل راحوا يهاجمون دور الأمويين في المدينة وأنصارهم فالتجأت نسائهم وأطفالهم إلى بيوت العلويين لاسيما دار الإمام علي بن الحسين (ع) فعاملوهم كما يعاملون أنفسهم واستغاث الأمويون بيزيد فقد أرسلوا إليه عبد الملك بن مروان. وفي تاريخ الطبري: ان يزيد قال لعبد الملك : أما يكون بنوا أمية ومواليهم ألف رجل في المدينة ؟ قال : بلى والله أكثر ، قال : فما استطاعوا ان يقاتلوا ساعة من نهار؟ قال : يا أمير المؤمنين أجمع الناس كلهم عليهم فلم يكن بجمع الناس طاقة^(١).

وأرسل يزيد خلف مسلم بن عقبة المري وأمره على جيش عظيم وأوصاه بما يلي: أدع القوم ثلاثاً فإن أجابوك وإلا قاتلتهم فإذا أظهرت عليهم فأبجها - المدينة - ثلاثاً فما فيها من مالٍ أو رِقّةٍ أو سلاحٍ أو طعامٍ فهو للجنود فإذا مضت الثلاث فاكفف عن الناس وانظر علي بن الحسين فاكفف عنه واستوص به خيراً^(٢) ...

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٤٤.

(٢) لموقفه مع بني أمية إبان انتفاضة المدينة .

قال ابن اعثم في الفتوح: وخرج أهل المدينة مع أميرهم عبد الله إلى حرب أهل الشام فعبأ أصحابه للقتال فاختلفوا واقتتلوا ف وقعت الهزيمة على أهل المدينة^(١)، فقتل من أبناء الأنصار ألف وسبعمائة وقتل من أبناء المهاجرين ألف وثلاثمائة ومن العبيد والموالي وسائر الناس ثلاثة آلاف وخمسمائة فتلک ستة آلاف وخمسمائة رجل، ودخل أهل الشام إلى المدينة فجعلوا يقتلون كل من يقدر أن عليه من صغير أو كبير ثم وضعوا الغارة على أهل المدينة فأغاروا عليها ثلاثة أيام ولياليها وفجروا بالنساء، قال أبو سعيد الخدري: فوالله ما سمعنا إلا منذ ثلاثة أيام إلا في قبر النبي (ص) ويواصل ابن اعثم نقله لوقائع هذه المجزرة قال: ومسلم بن عقبة المري قد وضع له سرير على باب المسجد وكل من أتى به ضرب عنقه، وكان يأخذ البيعة من الناس على أنهم عبيد ليزيد يحكم في دمائهم وأموالهم وأهلهم ما شاء ولم يزل مسلم بن عقبة يفعل بأهل المدينة ما فعل ثلاثة أيام ولياليهن، ثم خرج في اليوم الرابع منها وقد انتهب واغار وقتل من قتل وفعل ما فعل وخرج يريد مكة إلى عبد الله بن الزبير حتى إذا صار إلى بعض الطريق أدركته الوفاة^(٢)، وهكذا أسدل الستار على ثورة نادت بالحق وحاربت الظلم ودافعت عن ظلامة أهل البيت (ع)، وأسدل الستار على جريمة بشعة من جرائم أبي سفيان. وقد ساهمت هذه الثورة بترسيخ ثورة الحسين في وجدان الأمة لأنها تفاعلت مع

(١) لعدم التكافؤ بين الفريقين .

(٢) الفتوح ج ٥ احمد ابن اعثم الكوفي.

جهاد الحسين وأصحابه وحملت جانبا من القيم التي نادى بها أبي العظيم حيث رفض الثوار الذلّ وأبوا إلا الحياة الكريمة التي نادى بها الحسين (ع):
(اني لأرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما) .

أراد الثوار ان يعيشوا حياة كريمة حياة عزيزة لا الحياة التي أوصلهم إليها بنوا أمية، إذا فثورة المدينة ولدت بولادة الثورة الحسينية وواصلت الطريق من بعدها.

ب- ثورة التوابين :

ثورة التوابين في الكوفة تعد من أوائل الثورات التي بدأ التحرك والإعداد لها وكان هدفها الانتقام من المسبب الحقيقي لقتل الحسين (ع) ومن معه وهو النظام الأموي الذي دفع أدواته إلى استئصال الوجود الحمدي في كربلاء فكانت هذه المجموعة استشهادية انتقامية لهدف آخر لها وقد بين قادة الثورة بكلماهم نواياهم ومقاصدهم، يقول ابن اعثم: وعلموا انهم لا يغسل عنهم الإثم والخطأ إلا ان يخرجوا فيقتلوا من قتله ويأخذوا بدمه^(١). وقال الطبري : كان أول رد فعل مباشر لقتل الحسين هو حركة التوابين في الكوفة، وذلك لما قتل الحسين ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة تلاقت الشيعة بالتلاؤم والتندم ورأت إنها أخطأت خطأ كبيراً بدعاء الحسين إلى النصره وتركهم أجابته ومقتله إلى جانبهم ولم ينصروه، ورأوا انه لا يغسل عارهم والإثم عنهم في مقتله إلا بقتل من قتله، أو القتل فيه، ففزعوا بالكوفة إلى خمسة نفر من رؤوس الشيعة وهم :

(١) الفتوح ج ٥ ، ص ٢٢٤ .

سليمان بن صرد الخزاعي، المسيب بن نجبة الفزاري، عبد الله بن سعد بن نفيل الازدي، عبد الله بن وائل التميمي، ورفاعة بن شداد البجلي^(١). وبقيت هذه الجماعة تجمع السلاح وتهيأ الأنصار حتى أحصى ديوان سليمان بن صرد قائد الحركة ستة عشر ألف مبيعاً إلا ان الإعلان عن النهضة لم يتم إلا في سنة خمس وستين للهجرة أي بعد وفاة يزيد وحصول بعض الانقسامات في البيت الأموي وسيطرة ابن الزبير بشكل كامل على الأوضاع في الكوفة عندها أعلن التوابون عزمهم على مقاتلة النظام الأموي فخرج القائد سليمان وخرج الناس معه وذلك في الأول من ربيع الآخر وكان الناس في الكوفة يدعون لهم بالنصر والظفر، كما ورد في الفتوح: ونادى منادي التوابين في أحياء الكوفة من أراد الجنة ورضا الله والتوبة فليلق بسليمان بن صرد إلى النخيلة، قال ابن اعثم: وسمع ذلك رجل من الازد يقال له عبد الله بن حازم وله امرأة يقال لها (سهلة) فلما سمع النداء وثب إلى ثيابه فلبسها وافرغ عليه سلاحه وأمر بإسراج فرسه فقالت له ابنته: مالي أراك متأهباً؟ فقال: ان أباك يريد ان يفر من ذنوبه فقالت امرأته ما شأنك؟ ويحك خبرني قضيتك فقال: أيتها المرأة اني سمعت الداعي فأحببت ان أجيبه وأنا اطلب بدم الحسين بن علي (ع) واخوته وأهل بيته رضوان الله عليهم حتى أموت أمة يقضي الله في ذلك من أمره ما يحب ويرضى، قال: فقالت له امرأته: ويحك على من تخلف اهلك وولدك؟

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٧٨.

فقال: على الله وحده قال: ثم رفع عبد الله طرفه إلى السماء فقال: اللهم اني استودعك أهلي وولدي فاحفظني فيهم وتب علي مما فرطت في نصرة ابن بنت نبيك محمد(ص) ثم خرج حتى لحق سليمان بن صرد^(١).

ويبدو من كتب التاريخ انه لم يخرج مع سليمان إلى قتال أهل الشام فمن بايعه واحصاهم ديوانه إلا الربع، وفي أقساس -المكان الذي عسكر فيه- راح سليمان يوجه العتاب الشديد إلى المتخلفين عنه، فقال له الرجل الثاني في قيادة الحركة المسيب بن نجبة: انه لا ينفعلك الكاره ولا يقاتل معك إلا من خرج من نفسه فلا تنتظرون أحدا وأكمش أمرك وأستعن بالله وتوكل عليه وقل لا حول ولا قوة إلا بالله، قال ابن اعثم: فعندها وثب سليمان قائماً على قدميه متكئاً على فرس له عربية، فقال: أيها الناس إنه من كان أخرجته معنا إرادة الله وثواب الآخرة فذاك منا ورحمة الله عليه حياً وميتاً ومن كان يريد متاع الدنيا وحرثها، فلا والله ما معنا فضة ولا ذهب ولسنا نمضي إلى شيء نحوزه ولا إلى غنيمة نأخذها وما هي إلا سيوفنا في رقابنا ورماحنا في أكفنا ومعنا زاد بقدر البلغة إلى لقاء عدونا عبيد الله بن زياد لعنه الله وأصحابه، فمن كان ينوي غير هذا فلا يصحبنا، وقام إليه أحد أصحابه قائلاً: صدقت رحمك الله، والله ما لنا خير في صحبة من الدنيا همته ونيته وما أخرجنا إلا التوبة من ذنوبنا والطلب بدماء أهل بيت نبينا محمد(ص) وقد علمنا انا إنما تقدم على حد السيوف وأطراف الرماح، قال الراوي: فناداه الناس من كل جانب: إلا إنا لا نطلب الدنيا ولا خرجنا لها.

(١) الفتوح ج ٦ ، ص ٢٣١ .

ويبدو ان أسباب تراجع البعض من التوابين عن نصرة سليمان يعود إلى
الأمريين التاليين:

١- ان المختار -وهو شخصية له تأثيره في الوسط الشيعي- كان يرى تخطيط التوابين في عملهم بهذه الطريقة، حيث ان المختار كان من رأيـه تصفية قتلة الحسين في الكوفة وبعد ذلك يعمد إلى قتال النظام الأموي، لذا ذكر المؤرخون ان المختار اقتطع جزءا كبيرا من أنصار سليمان وضمهم إليه، وقد وردت في كتب التاريخ عبارة تشير إلى ذلك، قال ابن اعثم: فعرض سليمان أصحابه وكانوا في ديوانه قبل ان يقدم المختار إلى الكوفة ستة عشر ألفاً فلما كان ذلك اليوم عرضهم إذا هم ألف رجل أو يزيدون قليلاً^(١).

وكان الموقف يومئذٍ يقضي على الشيعة بالوحدة في وجهات النظر وعدم الاختلاف مهما كان لأنها أمام عدوين شرسين العدو الأول وهم الأمويون والعدو الثاني هم الزبيريون علما ان أصحاب سليمان طلبوا منه مقاتلة قتلة الحسين المباشرين لا المسيبين ولكنه رفض ذلك. وهذا يكشف عن خلاف عميق في وجهات النظر بين أفراد الحركة.

٢- تشجيع والي ابن الزبير في الكوفة عبد الله بن يزيد على المسارعة في الخروج وأعلن عن استعدادده لدعمهم ليس جأ بنصرة الحسين(ع) والطلب بثأره وإنما لحماية ملك ابن الزبير الذي كان ابن زياد يتهاى لاسترجاع الكوفة منه، لذا كان الوالي يحث التوابين للإسراع قائلا : هذا ابن

(١) الفتوح ، ج ٦ ، ص ٢٣٢ ، ويبدو ان عددهم قد ارتفع إلى الأربعة آلاف فيما بعد .

زياد قاتل الحسين وقاتل خياركم وأماثلكم قد توجه إليكم من الشام
واصبح على مسيره يوم من جسر منبج فقتاله والاستعداد له أو وارشد من
ان تجعلوا بأسكم بينكم ليقتل بعضكم بعضا فيلقاكم عدوكم غداً وقد
أهكم القتال وتلك والله أمنيته^(١).

وقد استطاع الوالي ضمان أمرين :

الأول: ضرب النظام الأموي ودفع الخطر عن سلطان الزبيرين بالتوابين.

الثاني : استطاع ان يؤمن على حياة قتلة الحسين الذين كانوا يخشون من
ثورة التوابين لذا فأنهم طلبوا من والي ابن الزبير ان يعمد إلى قتلهم لإجهاض
حركتهم وهي في طور الولادة، إلا انه كان أوعى منهم لذا رفض ذلك
وأعلن تأييده لحركة التوابين وحثهم على قتال أهل الشام^(٢).

وهكذا سار سليمان ومن معه إلى ان اشرفوا على قبر
الحسين بن علي(ع) فلما عاينوه رفعوا أصواتهم بالبكاء والنحيب، ثم أنهم
رموا أنفسهم عن دوابهم وجعلوا يقولون: اللهم انا خذلنا ابن بنت
نبينا وقد أسأنا وأخطأنا فاغفر لنا ما مضى من ذنوبنا وتب علينا انك
أنت التواب الرحيم، اللهم ارحم الحسين الشهيد ابن الشهيد وارحم
إخواننا الذين حصنوا أنفسهم بالشهادة اللهم ان لم تغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين^(٣).

(١) الانتفاضات الشيعية ، ص ٤٣٥ ، هاشم معروف الحسني .

(٢) الطبري ، ج ٥ ، ص ٢٨٣ بتصرف .

(٣) الفتوح ، ج ٦ ، ص ٢٣٧ .

وتقدم رجل من خيار أهل الكوفة يقال له وهب بن زمعة الجعفي حتى وقف على القبر باكياً، ثم قال: (فلله در حسين، والله يوم حسين لقد غادروا منه يوم وافوه ذا وفاء وصبر وعفاف وبأس وشدة وأمانة ونجدة، ابن أول المؤمنين وابن بنت نبي رب العالمين، قلت حماته وكثرت عداته، فويل للقاتل وملامة للخاذل، ان الله تبارك وتعالى لم يجعل للقاتل حجة ولا للخاذل معذرة إلا ان ينصح الله في التوبة فيجاهد الفاسقين فعسى الله عند ذلك يقبل التوبة ويقلل العثرة) ثم انشأ يقول:

تبیت نساء من أمیة نَوْمًا	وبالطف قتلی ما ینام حمیمها
وماضیع الإسلام إلا قبیلة	بأمر فزکاکها ودام نعیمها
وعادت قناة الدین فی کف ظلم	إذا مال منها جانب لا یقیمها
فاقسم لا تنفک نفسی حزینة و	عینی سفوحاً لا یجف سجومها
حیاتی أو تلقی أمیة وقعہ	ینال بها حتی الممات قرومها ^(١)

قال ابن اعثم: فضج الناس بالبكاء والنحيب فأقاموا عند القبر يومهم ذلك وليلتهم يصلون ويبكون ويتضرعون، فنادى فيهم سليمان بالرحيل فجعل الرجل بعد الرجل يأتي القبر فيودعه ويترحم على الحسين ويستغفر الله له ثم انهم ازدحموا على القبر كازدحامهم على الحجر الأسود وهم يقولون: اللهم انا قد خرجنا من الديار والأموال وفارقنا الأهلين والأولاد نريد جهاد المحلّين الذين قتلوا ابن بنت نبيك فتب علينا وارزقنا الشهادة يا ارحم الراحمين.

(١) الفتوح ، ج ٦ ، ص ٢٣٧.

اللهم إنا نعلم ان لو كان الجهاد فيهم لمغرب الشمس أو بمنقطع
التراب لكان حقيقاً علينا ان نطلبه حتى نناله فأن ذلك هو الفوز العظيم
والشهادة التي ثوابها الجنة^(١).

وقال الطبري: ثم ان سليمان بن صرد سار من موضع قبر الحسين
حتى انتهى إلى عين الوردة فنزل في غريبها، واقبل أهل الشام في
عساكرهم، ورتب القائد سليمان جيشه، فجعل الأمانة من بعده للمسيب
ومن ثم لعبد الله بن سعد بن نفيل ثم لعبد الله بن وائل ثم رفاعه بن شداد، ثم
رتب الميمنة والميسرة ووزع الرايات على جيشه ولما التقى الجمعان نادى أهل
الشام يا أهل العراق هلموا إلى طاعة أمير المؤمنين عبد الملك بن
مروان، فناداهم أهل العراق يا أهل الشام هلموا إلى طاعة أهل بيت النبوة
فأنهم أحق بهذا الأمر من بني مروان أو ادفعوا إلينا ابن مرجانة عبيد الله بن
زياد واخذ سليمان بن صرد ينادي بأعلى أصواته: يا شيعة آل محمد يا من
يطلب بدم الشهيد بن فاطمة ابشروا بكرامة الله عز وجل فوالله ما بينكم
وبين الشهادة ودخول الجنة والراحة من هذه الدنيا إلا فراق الأنفس والتوبة
والوفاء بالعهد ثم كسر جفن سيفه وتقدم نحو أهل الشام وهو يرتجز ويقول :
فارحم عبيداً غير ما تكديني واغفر ذنوبي سيدي وحبوبي
إليك ربي تبت من ذنوبي وقد علاني في الورى مشيبي
ثم حمل ولم يزل يقاتل حتى قتل منهم جماعة وقتل رحمه الله^(٢).

(١) المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٢٣٨ .

وتقدم القادة من بعده فقاتلوا الواحد بعد الآخر حتى قتلوا وانسحب
رفاعة بن شداد وهو جريح بمن بقي معه من المعركة .

وهكذا انطوت صفحة من صفحات الجهاد الرائعة التي خاضتها
هذه الثلة الكريمة لتؤصل الحق في عمق الحياة وتعطي للعالم درساً في
الجهاد والاستقامة، لأنهم خططوا للشهادة وطلب ثأر الحسين
وصمدوا على هذا المنهاج .

لقد سنّ التوابون شعاراً عظيماً وهو (يا لثارات الحسين)، وقد قامت
ثورتهم على هذا الشعار وبهذا الشعار الواضح ساهموا بتخليد ثورة
الحسين(ع)، حيث أنهم ملئوا صفحة أخرى من صفحات التاريخ الجهادي،
فكلما ذكرت ثورة التوابين ذكرت معها ثورة الحسين(ع)، وكلما قلنا
صفحات هذه الثورة قلنا معها صفحات ثورة الحسين، إذ أن التوابين
بثورتهم مدوا زمن ثورة الحسين ووسعوا من مساحتها.

والسؤال الذي يبحث عن الإجابة: هل كان التوابون من قتلة
الحسين(ع)؟ أم أنهم أنوا في الكوفة فتخاذلوا عن نصرته؟

والجواب ان الذي يبدو من خطابات قادة الثورة أنهم انزلوا
أنفسهم منزلة المتخاذلين وليس القاتلين و لكن ما مدى انطباق ذلك عليهم؟
وفي الحقيقة اني لا أظن أن خطاباتهم كانت ناظرة إلى الثوار أنفسهم
ولكنها كانت ناظرة إلى الحالة العامة، فقد حصل تخاذل عن نصره الحسين

(٢) المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٢٤٦ .

من عموم الناس، أما وجوه التوابين فقد كانوا ضمن المعتقلات مع أغلب شباب الشيعة إذ أن كتب التاريخ المعتمدة تؤكد أن عبيد الله بن زياد اعتقل بعد إخفاق ثورة مسلم وقبل قدوم الحسين إلى كربلاء من رجال الشيعة وأعيانها اثني عشر ألفاً من بينهم سليمان والمختار والمسيب وغيرهم^(١)، وعليه فإن الثوار إنما أطلقوا عنوان التوبة على حركتهم ليلحق بهم من تخاذل عن نصرته الحسين وهل التحقق أحد؟ لا ندري، كما أنهم استهدفوا إيقاد الحماس في النفوس من خلال إطلاق هذا العنوان على حركتهم. كما أنه لا يتصور أحد أن فيهم من قتلة الحسين (ع)، فإن قتلة الحسين قد مسخوا نفسياً وخلقياً وأصيبوا بالهستيريا لشعورهم بأنهم ممن أهل النار، وكلما حاولوا تبرير فعلهم بأنه كان طاعة لأمرائهم كان الناس يردون عليهم بأنه (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)، أي إنكم أطعتم ابن ميسون وابن مرجانة وعصيتم الله تعالى، ذكر ابن حجر العسقلاني: أن الشمر بن ذي الجوشن كان يصلي إلى جانب رجل فسمعه يقول: اللهم انك تعلم اني شريف فاغفر لي، قلت: كيف يغفر الله لك وقد اعنت على قتل ابن رسول الله (ص)، قال: ويحك فكيف نصنع ان أمراؤنا هم أمرونا بأمر فلم نخالفهم ولو خالفناهم كنا شراً من هذه الحمر الشقاق (الموالي)، قلت: ان هذا العذر قبيح فإنما الطاعة في المعروف^(٢).

(١) حياة الإمام الحسين (ع)، ج ٢، ص ٤١٦ باقر القرشي .

(٢) لسان الميزان، ج ٣، ص ١٥٢، أحمد بن حجر العسقلاني .

إذن من هم التوابون؟ التوابون: هم إما من كان خارج الكوفة عندما وقعت الحادثة في كربلاء، وإما متوارياً عن عيون السلطة أمية خرج لعمل معين. هذا الصنف الأول، والصنف الثاني: من كانوا في المعتقلات إبان ثورة الحسين ولعلهم الغالبية العظمى كما يتضح من خلال قادة التوابين وكلهم كانوا من المعتقلين.

ج- المختار سيرته وثورته :

١- المختار في سيرته الذاتية :

ولد المختار بن أبي عبيدة الثقفي في السنة الأولى للهجرة في مدينة الطائف من أبوين عربيين، عرف والده بالشجاعة والبطولة في أيام العرب والإسلام، فأبوه الشهيد في معارك المسلمين ضد الفرس، وأمه (دومه) امرأة عربية كانت تشارك زوجها في معاركه بتضميد الجرحى.

وكان المختار منذ نعومة أظفاره ذا صلة بأمر المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) فقد ذكر المؤرخون أن أباه أتى به إلى أمير المؤمنين (ع) وهو طفل صغير فأجلسه الإمام في حجره ومسح على رأسه وهو يقول: يا كَيّس يا كَيّس، ويبدو أن الإمام يشير إلى ذكائه وفراسته ولكن البعض يقول أن الإمام علي (ع) يشير إلى الكيسانية وهي الفرقة التي زعم البعض أن المختار ينادي بها وهي إمامة محمد بن الحنفية ومن خلال متابعتي لكتب التاريخ وجدت أن سبب هذه الشبهة أمران، الأول: هذه الحادثة حيث ذكر الإمام كلمة كيس مرتين، والثاني: رجوع المختار في إنشاء الثورة إلى محمد بن الحنفية، وإذا فصلنا بين الاثنين تنتفي الشبهة، فأما قول

الإمام علي(ع) يا كيس فهو يشير إلى ذكاء المختار كما بينا، حيث ان الرجل كان من دهاء المسلمين وأصحاب العقل والرأي فيهم، ولكنه لم يستخدم ذكاءه ودهاءه إلا في مجالات الخير ومساندة الحق وملازمة أهل الصدق آل محمد (ص)، وأما رجوعه إلى محمد بن الحنفية فلم يكن عن اعتقاد بإمامة ابن الحنفية وذلك لم يعرف عن محمد بن الحنفية ادعاؤه الإمامة ولا المختار كان يدعوا إلى إمامته نعم كان يرجع إليه ورجوعه كان بأمر الإمام زين العابدين(ع) الإمام المفترض الطاعة الذي كان ابن الحنفية والمختار يعتقدان بإمامته، ولكن لماذا كان المختار يرجع إلى محمد بن الحنفية؟

الجواب: مارواه العلامة المجلسي في البحار عن الشيخ ابن نما، وذلك ان وفداً من أهل الكوفة سافر إلى المدينة ليكون الناس على بصيرة من ثورة المختار لان المختار كان يقول للناس انه جاء من قبل أهل البيت(ع) فجاء الوفد ودخل على محمد بن الحنفية فقام خطيبهم عبد الرحمن بن شريح فقال: وقد قدم المختار يزعم انه جاء من قبلكم وقد دعانا إلى كتاب الله وسنة رسوله والطلب بدماء أهل البيت فبايعناه على ذلك فإن أمرتنا باتباعه اتبعناه وان نهيتنا اجتنبناه فقال لهم: قوموا بنا إلى إمامي وإمامكم علي بن الحسين(ع) فقاموا فلما دخلوا عليه اخبره محمد بن خبرهم الذي جاءوا لأجله فقال(ع): يا عم لو ان عبداً زنجياً تعصب لنا أهل البيت لوجب على الناس مؤازرته وقد وليتك هذا الأمر فاصنع ما شئت فخرجوا وهم يقولون إذن لنا زين العابدين(ع) ومحمد بن الحنفية ولما رجعوا إلى الكوفة والتقى بهم المختار فقال لهم ما ورائكم قد فتنتم وارتبتم؟ قالوا: قد امرنا بنصرتك^(١).

(١) بحار الأنوار ، ج ٤٥ .

هاتان الواقعتان هما السبب في قهقهته بالكيسانية وهو بريء منها، ان المختار رجل صالح عارف بحق أئمة أهل البيت الواحد بعد الآخر لذا قال السيد الخوئي في كتابه معجم رجال الحديث ونسب بعض العامة المختار إلى الكيسانية وهو باطل جزماً^(١).

ومن معالم الولاء في شخصية المختار ملازمته لأمر المؤمنين ومشاركته في حروبه كلها وكذلك وقوفه إلى جانب الحسن (ع)، ودعوته الناس إلى بيعه الحسين عندما كان مسلم بن عقيل في بيته في الكوفة وقد تعرض بسبب ولاءه لآل محمد (ص) إلى الاعتقال لعدة مرات كما تعرض للتعذيب، ذكر السيد المكرم ان ابن زياد لما حضر السبايا في مجلسه أمر بإحضار المختار وكان محبوباً عنده من يوم قتل مسلم بن عقيل^(٢)، فلما رأى المختار هيئة منكروه زفر زفرة شديدة، وجرى بينه وبين ابن زياد كلام اغلظ فيه المختار فغضب ابن زياد وأرجعه إلى الحبس ويقال ضربه بالسوط على عينه فذهبت. (مقتل الحسين (ع) ص ٣٢٩)

ويواصل السيد المكرم حديثه عن المختار قائلاً: وبعد قتل ابن عفيف - عبد الله الذي ثار على ابن زياد وكان مكفوف البصر فقتل في بيته رحمة الله عليه - كان المختار بن أبي عبيدة الثقفي مطلق السراح بشفاعته عبد الله

(١) راجع ترجمة المختار

(٢) هذا خلاف ما ذكره المرحوم هاشم الحسني من ان المختار لم يشترك مع الحسين في كربلاء لانه كان يرى ان مناصرته لا تجده نفعاً وان جميع العوامل والظروف قد تجمعت لترسم تلك المأساة على صعيد كربلاء فآثر ان يتروى ليعمل للانتقام من قاتليه. الانتفاضات الشيعية، ص ٤٥٠، أقول هذا ليس صحيحاً لان المختار كان سجيناً كما نص عليه المرحوم المكرم.

ابن عمر زوج أخته صفية ولما خطب ابن زياد بعد قتل بن عفيف ونال من أمير المؤمنين (ع) ثار المختار في وجهه وشتمه وقال: كذبت يا عدو الله وعدو رسوله، بل الحمد لله الذي أعز الحسين وجيشه بالجنة والمغفرة وأذل يزيد وجيشه بالنار والخزي، فحذفه بعمود حديد فكسر جبهته وأمر به إلى السجن، ولكن الناس عرفوه بأن عمر بن سعد صهره على أخته وصهره الآخر عبد الله بن عمر وذكروا ارتفاع نسبه فعدل عن قتله وألقاه في السجن ثم تشفع فيه ثانياً عبد الله بن عمر عند يزيد فكتب إلى عبيد الله بن زياد بإطلاقه^(١).

٢ - المختار شبهات وردود :

لقد تعرض المختار إلى طعن شديد من قبل خصومه ولعل بعض شيعة أهل البيت (ع) قد تأثروا بهذه الأجواء العدائية لشخصية المختار كما سيتضح بعد قليل. فقد نسب إليه خصومه الكفر والسحر وأنه كان يخاطب الملائكة ويدعي أنهم كانوا يحاربون معه إلى جانب جنوده وأن جبرائيل كان ينزل عليه بشكل طائر إلى غير ذلك من التقولات المغرضة^(٢).

وقد رد الشيخ ابن نما والعلامة المجلسي والسيد الحسيني بأن السبب في ذلك أيامها يوالي أهل البيت (ع)، ولأنه حارب الأمويين الذين كانوا يكذبون على رسول الله من أجل إثبات كيانهم ودولتهم، ولأنه حارب آل الزبير وهم

(١) مقتل الحسين ص ٣٢٩ عبد الرزاق المرقم .

(٢) الانتفاضات الشيعية ص ٤٤٥ بتصرف .

ليسوا بأقل شراً من بني أمية، ان ابن الزبير أعلن البراءة من علي وآله وترك الصلاة على النبي(ص) في خطبة الجمعة عندما ملك العراق والحجاز، محتجاً بأن أهله يشمخون بأنوفهم عند ذكره والصلاة عليه ثم ان الزبيرين كيف يررون قتلهم للمختار مع آلاف من أنصاره إذا لم يقولوا انهم كفرة سحرة وقد قالوها عندما احتج عليهم عبد الله بن عمر .

اذن كيف لا يقال عنه هكذا وقد طالب بئار الحسين(ع) وتتبع قتلته وكان صلباً في ولائه لآل محمد(ص) والاثام لمثل هؤلاء ليس جديداً فقد كفروا من قبل علياً(ع) وسبوه على منابر المسلمين .

واما المختار في الأحاديث المنسوبة إلى أهل البيت(ع) فهو بين السلب والإيجاب واليك هذا الحديث :

عن الإمام الصادق (ع) قال: إذا كان يوم القيامة مرّ رسول الله بشفير النار وأمير المؤمنين والحسن والحسين فيصيح صائح من النار يا رسول الله أغثني يا رسول الله ثلاثاً قال فلا يجيبه، قال فينادي: يا أمير المؤمنين ثلاثاً أغثني فلا يجيبه، قال فينادي: يا حسن يا حسين اغثني انا قاتل أعدائك ، قال: فيقول له رسول الله: قد اخقج فينقض عليه كأنه عقاب كاسر فيخرجه من النار، قال سماعه -راوي الحديث- فقلت: لأبي عبد الله الصادق ولم عذب بالنار وقد فعل ما فعل؟ قال: انه كان في قلبه منهما -الحسن والحسين- شيء، والذي بعث محمداً بالحق لو ان جبرائيل وميكائيل كان في قلبهما شيء لأكبهما الله في النار على وجوههما^(١).

(١) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٣٣٩ .

والى جانب هذا الحديث توجد عدة أحاديث ذكرها المجلسي في (البحار ج ٤٥) وذكر أحاديث كثيرة في مدحه، علماً ان العلامة المجلسي يوافق ابن نما في تنزيه المختار ولعل هذا الرأي هو ما عليه إجماع علمائنا أو المشهور عنهم .

واما رأي السيد الخوئي في الأحاديث الدائمة لشخصية المختار فيقول عنها: وما ورد في ذمه مضافاً إلى ضعف سنده يمكن حمله على صدوره من المعصوم (ع) تقية، ويقول (ره) يكفي في حسنه إدخاله السرور على أهل البيت (ع) بقتله قتلة الحسين (ع) ^(١).

واما الأحاديث المادحة لشخصية المختار فهي كثيرة منها:

أ- عن الإمام الصادق (ع): ما امتشطت فينا هاشمية ولا اختضبت حتى بعث إلينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين صلوات الله عليه ^(٢).

ب- في البحار: لما أتى برأس عبيد الله بن زياد ورأس عمر بن سعد خرّ علي بن الحسين (ع) ساجداً وقال: الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من أعدائي وجزى المختار خيراً.

ج- ان الإمام السجاد اخذ منه عشرين ألف دينار، يقول المجلسي: ان المختار أرسل إلى علي بن الحسين فقبلها وبني بها دار عقيل بن أبي طالب ودارهم التي هدمت .

(١) راجع ترجمة المختار في معجم رجال الحديث للخوئي .

(٢) البحار ج ٤٥ ص ٣٣٤ .

د- وكان الإمام الباقر لا يرضى بسبّ المختار، قال الإمام الباقر(ع):

لا تسبوا المختار فإنه قد قتل قتلنا وطلب بئارنا وزوج أراملنا وقسم المال
فينا على العسرة .

هـ - وكان الباقر(ع) يترحم عليه، قال في البحار: دخل أبو الحكم

-ابن المختار- فأراد ان يقبل يد الإمام الباقر فمنعه ثم قال من أنت؟
قال: انا أبو الحكم بن المختار بن أبي عبيدة الثقفي، فمدّ يده فأدناه حتى
كاد يقعده في حجره بعد منعه يده، فقال: اصلحك الله ان الناس قد اكثروا
في أبي والقول والله قولك قال وأي شيء يقولون؟ قال: يقولون: كذاب
ولا تأمرني بشيء إلا قبلته، فقال: سبحان الله اخبرني أبي ان مهر أُمي مما بعث
به المختار^(١) إليه أو لم يبني دورنا وقتل قاتلنا وطلب بئارنا فرحم الله أباك
-كررها ثلاثاً- ما ترك لنا حقاً عند أحد إلا طلبه^(٢).

ولو صدق ما نقله أبو الفرج الأصفهاني في المقاتل بان المختار دعا إلى
الرضا من آل محمد، والرضا في ذلك الوقت هو الإمام علي بن الحسين
عليهما السلام، وقد أيد الدكتور علي سامي النشار ذلك في كتابه نشأة
الفكر الفلسفي في الإسلام. أقول لو صدق ذلك لكان جديراً بأن يخرس كل
التقولات عليه .

(١) وذلك قبل ثورته لأن الإمام الباقر (ع) ولد سنة ٥٧ للهجرة ، أي قبل ثورة المختار بتسع سنين،
وهذا الحدث يؤكد عمق العلاقة بين المختار وأهل البيت (ع) .

(٢) راجع الجزء الخامس والأربعين من البحار وسترى كثيراً من الأحاديث في مدح المختار .

ولو تأملنا في عناصر البيعة في ثورته لتأكد لدينا نزاهة الرجل فقد دعا
إلى كتاب الله وسنة نبيه والطلب بثار الحسين والدفع عن الضعفاء والمحرومين
من الموالي وباقي أفراد المجتمع الإسلامي من المستضعفين. يقول الشاعر:

ولما دعا المختار جئنا لنصره على الخيل تردي من كمي واشقرا
دعا يالثرات الحسين فاقبلت تعادي بفارسان الصباح لتأثرا

٣- الأولويات في الثورة :

تلتقي ثورة المختار مع ثورة التوابين في بعض المقدمات والنتائج،
فالكل يدعو إلى الطلب بثار الحسين والكل يريد الاستمرار في الجهاد
حتى لو أدى الأمر إلى الشهادة وهو ما استقامت عليه الجماعتان إلا أن
المختار يختلف عن التوابين في الأولويات، حيث أنه يرى أولوية القضاء على
الأعداء المباشرين لقتل الحسين وتطهير الكوفة منهم ثم التوجه إلى قتال أهل
الشام. ولعل المختار محق في رأيه هذا لماذا؟ أيامها أراد إيجاد أرضية تكون
منطلقاً لثورته لذا عمد إلى تصفية الكوفة من الوجود الزبيري، حيث قام
بطرده عبد الله بن مطيع العدوي الوالي عليها من قبل ابن الزبير، ثم باشر
بتصفية قتلة الحسين (ع) حتى إذا خلصت الكوفة له عقد الرايات وبعث
الجيوش للقتال على الجبهات الخارجية جبهة الشام والبصرة .

٤- بداية الثورة :

في بداية تحركه كان المختار ضمن الوجود الزبيري مع علمه بنوايا
عبد الله بن الزبير ولكنه أراد أن يشكل جبهة لضعاف الدولة الأموية
لذا قاتل المختار في بداية الأمر مع ابن الزبير وقد وصفه المؤرخون بأنه أبلى

بلاءً حسناً، وقاتل أشد القتال ولما تبين للمختار ان أهل الكوفة -معقل
التشييع- على استعداد للتحرك ضد الأمويين انفصل عن ابن الزبير قال
ابن اعثم: وخرج من مكة بغير علم من عبد الله بن الزبير فلم يصبح إلا على
مرحلتين من مكة، ثم سار مجداً يريد الكوفة، ثم اقبل إلى المسجد الأعظم
فنزل، ثم دخل المسجد فصلى واستشرف الناس ينظرون إليه ويقولون:
هذا المختار بن أبي عبيدة، وما قدم إلا لأمر ونحن نرجو به الفرج، فلما
كان من الغد بعث إلى وجوه الشيعة فدعاهم ثم قال لهم: اعلموا اني جئتكم
من عند ولي الأمر ومعدن الفضل ووصي الوصي والإمام المهدي محمد بن
علي بن الحنفية بعثني إليكم أميناً ووزيراً وعاملاً وأميراً، وقد أمرني بقتال
المحليين والطلب بدم بن بنت نبي رب العالمين وهذا أمر لكم فيه الشفاء،
وكشف الغطاء وقتل الأعداء وتمام النعماء قالت الشيعة: يا أبا إسحاق أنت
موضع ذلك غير ان الناس اجتمعوا إلى سليمان بن صرد الخزاعي، وأنت
تعلم انه شيخ الشيعة اليوم فلا تعجل إلى ان تنظر وينظر ويؤول الأمر إلى
ما تحب ان شاء الله ولا قوة إلا بالله، قال: فسكت المختار وأقام بالكوفة
ينتظر ما يكون من أمر سليمان بن صرد^(١).

(١) الفتوح/ ج ٥ ص ٢٢٩.

يبدو مما سبق ان محمد بن الحنفية كان ممثلاً للإمام السجاد(ع) لرعاية وإدارة شؤون الثورات الشعبية لان ظروف
الإمام لم تكن تسمح له بإدارتها بنفسه مباشرة لذا أوعز إلى عمه محمد بذلك كما كان من قبل حيث أوكل(ع) مثل
هذه المهمة للهوراء زينب(ع)، قال السيد المكرم في كتابه (تنزيه المختار): وليس في دعوته لابن الحنفية اعتراف
بإمامته وإنما هو لضرب من التدبير وتمويه في السياسة يقصد به تنزيه مقام السجاد(ع) عن كل ثورة أقيمت ضد
سلطان الضلال وحفظاً لشخص الإمامة عن ان تناله يد السوء والبغضاء . ص ١٤ .

وعندما علم ابن الزبير بدخول المختار إلى الكوفة خشي من انقلاب الأوضاع هناك فبادر إلى عزل عمر بن مسعود الجمحي واستبداله بعبد الله بن يزيد الأنصاري، وبعد خروج التوابين كان المختار يجمع حوله شيعة أهل البيت (ع)، فذهب جماعة إلى والي الكوفة ووصفوا المختار عنده بأنه صاحب فتنة، وشحنوا صدره عليه بتخليده في السجن، فمضى جماعة من رجال السلطة إلى بيت المختار، فأوثقوه وادخلوه السجن ولكنه اخرج من السجن بوساطة صهره عبد الله بن عمر وضمانة عشرة من وجوه الشيعة ولما تفاقم الوضع في الكوفة واستفحل أمر المختار قام ابن الزبير بعزل الوالي السابق واستبداله بعبد الله بن مطيع العدوي.

٥- إعلان الثورة :

قال ابن اعثم: وجعل المختار يجمع أصحابه ويقول تهيؤوا وكونوا على أهبة الخروج والطلب بدماء أهل البيت بيت نبيكم محمد (ص)، وبدأ الناس يبايعونه ويتحمسون لدعوته، واستطاع إقناع إبراهيم بن مالك الاشر فانضم إليه وكان رجلاً شريفاً وشجاعاً مطاعاً في قومه وجعل إبراهيم يختلف إلى المختار في كل ليلة فيجلس عنده ثم ينصرف إلى منزله فلم يزالوا كذلك أياماً يدبرون أمرهم بينهم حتى اجتمعت لهم آراؤهم على ان يخرجوا ليلة الخميس لأربع عشرة من شهر ربيع الآخر سنة ست وستين^(١).

(١) الفتوح، ج ٥، ص ٢٤٢، احمد بن اعثم .

المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٥٥ .

وكما خطط هذان القائدان فقد خرجا في الوقت المحدد فاخرجا الموالي بعد معارك ضارية وتفرغ المختار بكامل ثقله للقضاء على قتلة الحسين (ع)، فرفع شعاره التاريخي: من اغلق بابيه فهو آمن إلا من اشترك في قتل الحسين وأطلق العنان لأصحابه لينتقموا من قتلة الحسين، وقال لأصحابه: اطلبوا إلي قتلة آل بيت الرسول فانه لا يسوغ لي الطعام والشراب، حتى أظهر الأرض والمصر منهم، وتعالى الصياح من كل جانب: يا لثارات الحسين، واستطاع المختار ان يأسر في اليوم الأول من معاركه خمسمائة رجل، ولما عرضوا عليه وجد ان من اشترك منهم في قتل الحسين مائتين وثمانية وأربعين رجلاً فقتلهم عن آخرهم، وأطلق سراح من بقي منهم، وذهب رجال المختار يميناً وشمالاً يبحثون عن بقية القتلة، وكان كل واحد منهم قد هباً لنفسه مخبأ واختفى فيه ولكن الموالي كانوا يراقبون تحركاتهم وتنقلاتهم فاستخرجوهم من مخابئهم حتى ان بعض النسوة كن يخبرن عن مكان أزواجهن^(١).

قال ابن الأثير: وكان عمرو بن الحجاج الزبيدي ممن شهد قتل الحسين فركب راحلته واخذ طريق واقصة هرباً من انتقام المختار منه فلم ير له خبر حتى الساعة وقيل أدركه أصحاب المختار وقد سقط من شدة العطش فذبحوه واخذوا رأسه^(٢).

وبعث المختار جماعة إلى الشمر فاستطاع الهرب وخرج من الكوفة واستقر في قرية يقال لها الكلثانية، وقد كتب إلى مصعب بن الزبير

(١) الانتفاضات الشيعية ص ٤٥٩ الحسيني .

(٢) الكامل ج ٤ ص ٢٣٦ .

كتاباً أرسله بيد رجل من تلك الأطراف، وقد وقع الكتاب بيد إحدى مفارز المختار فهاجموه عند الفجر ولم يشعر إلا أصوات التكبير فقام ليطاعنهم فعاجلوه بسيوفهم وسمع أحد أصحابه ممن نجي من الموت قائلاً يقول: قتل الخبيث قتله ابن أبي الكنود وألقيت جثته للكلاب^(١).

ثم أرسل المختار إلى خوّلى بن يزيد الاصبحي وهو صاحب رأس الحسين (ع)، فاختم في مخرجه فدخل أصحاب المختار يفتشون عنه فخرجت امرأته - واسمها العيوف بنت مالك - وكانت تعاديه منذ جاء برأس الحسين فقالت لهم ما تريدون؟ فقالوا لها أين زوجك؟ قالت: لا ادري وأشارت بيدها إلى المخرج فدخلوا فوجدوه وعلى رأسه قوصرة فأخرجوه وقتلوه إلى جانب أهله واحرقوه بالنار^(٢).

ثم ان المختار قال يوماً لأصحابه لاقتلن غداً رجلاً عظيم القدمين غائر العينين مترف الحاجبين يسرّ قتله المؤمنين والملائكة المقربين، وكان عنده الهيثم بن الأسود النخعي فعلم انه يعني عمر بن سعد فرجع إلى منزله وأرسل إلى عمر مع ابنه العريان يعرفه ذلك فلما قال له قال: جزى الله أباك خيراً كيف يقتلني بعد العهود والمواثيق؟ وكان عبد الله بن جعدة بن هُبيرة أكرم الناس على المختار لقربته لعلي (ع)، وكلمه عمر بن سعد ليأخذ له أماناً من المختار، ففعل وكتب له المختار أماناً وشرط فيه ان لا يحدث وعنى

(١) المصدر السابق بتصريف .

(٢) الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٢٤٠ ابن الأثير .

بالحدث دخول الخلاء، ثم ان عمر بن سعد خرج من بيته بعد عود العريان عنه، فأتى حمّامه فأخبره مولى له بما كان منه وبأمانه، فقال له مولاه: وأي حدث اعظم مما صنعت؟ تركت أهلّك ورحلك وأتيت إلى هاهنا ارجع ولا تجعل عليك سبيلاً. فرجع وأتى المختار فأخبره بانطلاقه فقال: كلا ان في عنقه سلسلة سترده واصبح المختار فبعث إليه أبا عمره، فأتاه وقال له: اجب الأمير فقام عمر فعثر في جبة له فضربه أبو عمرة بسيفه فقتله وأخذ رأسه فأحضره عند المختار، فقال المختار: لأبنة حفص بن عمر وهو جالس عنده أتعرف من هذا؟ قال: نعم، ولا خير في العيش بعده فأمر به فقتل، وقال المختار هذا بحسين وهذا بعلي بن الحسين ولا سواء والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قريش وما وفوا أنملة من أنامله^(١).

لقد استجاب الله دعاء الإمام الحسين (ع) في عمر بن سعد ، والقتلة المجرمين من أصحابه قال (ع) يوم عاشوراء داعياً عليهم: اللهم احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنين كسني يوسف، وسلط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبرة ولا يدع فيهم أحداً إلا قتله قتلةً بقتلة وضربةً بضربة ينتقم لي ولأوليائي وأهل بيتي وأشياعي منهم فانهم غرونا وكذبونا وخذلونا وأنت ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ، وقال لعمر بن سعد: ولكأني برأسك على قصبة قد نصبت بالكوفة يتراماه الصبيان ويتخذونه غرضاً بينهم، وقال له: عندما برز علي الأكبر إلى القتال: قطع الله رحمتك

(١) الكامل ج ٤ ص ٢٤١.

كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابتي من رسول الله (ص)، وسلط عليك من يذبحك على فراشك^(١)، ثم ان المختار أرسل إلى حكيم بن طفيل الطائي، وكان قد أصاب سلب العباس بن علي ورمى الحسين بسهم، وكان يقول تعلق سهمي بسرباله، وما ضره فأتاه أصحاب المختار فأخذوه وذهب أهله فشفعوه بعدي بن حاتم، فكلّمهم عدي فيه فقالوا: ذلك إلى المختار فمضى عدي إلى المختار ليشفع فيه، فقالت الشيعة: إنا نخاف ان يشفع المختار فيه فقتلوه رمياً بالسهم كما رمى الحسين حتى صار كأنه القنفذ^(٢).

وبعث المختار إلى زيد بن رقاد الجهني وكان يقول: لقد رميت فتى منهم بسهم وكفه على جبهته يتقي النبل فثبت كفه في جبهته فما استطاع ان يزيل كفه عن جبهته وكان ذلك الفتى عبد الله بن مسلم بن عقيل، وانه قال حين رميته: اللهم اقم استقلونا واستذلونا فاقتلهم كما قتلونا، ثم انه رمى الغلام بسهم آخر وكان يقول: جئته وهو ميت فترعت سهمي الذي قتله به من جوفه فلم انقنضه من جبهته حتى أخذته وبقي النصل، فلما أتاه أصحاب المختار خرج إليهم بالسيف فقال لهم بن كامل - قائد الشرطة - لا تطعنوه ولا تضربوه بالسيف ولكن ارموه بالنبل والحجارة ففعلوا ذلك به فسقط فاحرقوه حياً^(٣).

(١) مقتل الحسين ص ٢٥٧ عبد الرزاق المكرم .

(٢) الكامل ج ٤ ص ٢٤٢ .

(٣) الكامل ج ٤ ص ٢٤٣ .

وطلب المختار سنان بن انس الذي كان يدعي قتل الحسين فرآه قد هرب إلى البصرة فهدم داره .

وحدث المنهال بن عمر قال قدمت الكوفة - وكان راجعاً من الحج - والمختار بها فركبت إليه فلقيته خارجاً من داره، قال: يا منهال لم لا تشركننا في ولايتنا هذه؟ فعرفته اني كنت بمكة فمشى حتى أتى الكناس، ووقف كأنه ينتظر شيئاً، فلم البث ان جاء قوم وهم ينادون البشري أيها الأمير فقد أخذ حرمة، قال: فجيء به فقال له المختار لعنك الله الحمند لله الذي أمكنني منك ثم صاح الجزار الجزار فأتي بجزار فأمر بقطع يديه ورجليه ثم قال: النار النار فأتي بنار وقصب فاحرق، فقلت: سبحان الله فالتفت إلي المختار وقال التسبيح حسن لم سبحت ؟

قال: فأخبرته بدخولي على زين العابدين ودعائه - اللهم أذقه حر الحديد اللهم أذقه حر النار - فنزل عن دابته وصلى ركعتين وأطال السجود ثم رفع رأسه وهو يقول: الحمد لله الذي استجاب دعاء سيدي ومولاي على يدي^(١).

وأتي برجل يقال له بحر^(٢) بن سليم الكلبي حتى ادخل على المختار، فقالوا: أيها الأمير هذا الذي اخذ خاتم الحسين فقطع إصبعه مع الخاتم فقال: اقطعوا يديه ورجليه ودعوه يشحط في دمه فلم يزل المختار كذلك حتى فعل بهم الأفاعيل^(٣).

(١) الانتفاضات الشيعية ، ص ٤٦١ ، هاشم معروف الحسني .

(٢) وقيل بجدل .

(٣) الفتوح ج ٥ ص ٢٧٠

قال في الكامل: وخرج أشراف الناس فلحقوا بالبصرة وتجرد المختار لقتلة الحسين وقال: ما من ديننا ان نترك قتلة الحسين أحياء، بثس ناصر آل محمد(ص) انا إذا في الدنيا انا إذا الكذاب كما سموني، وإني استعين بالله عليهم فسموهم لي، ثم اتبعوهم حتى تقتلوهم فإني لا يسوغ لي الطعام والشراب حتى أطهر الأرض منهم فدلّ على عبد الله بن اسيد الجهني ومالك بن بشير البديّ وحمل بن مالك المحاري، فبعث إليهم المختار فأحضرهم من القادسية فلما رآهم قال: يا أعداء الله ورسوله أين الحسين بن علي؟ أدوا إلي الحسين قتلتم من أمرتم بالصلاة عليهم، فقالوا: رحمك الله بعثنا كارهين فامنن علينا واستبقنا فقال لهم: هلاً منتم على الحسين ابن بنت نبيكم فاستبقيتموه وسقيتموه، وكان البدي صاحب برنسه، فأمر بقطع يديه ورجليه وترك يضطرب حتى مات وقتل الآخرين^(١). وهكذا فقد انتقم من قتلة الحسين(ع)، فلم يسلم منهم أحد إلا الذي خرج من الكوفة هارباً إلى مصعب بن الزبير . ولأجل تحريك العواطف تجاه أهل البيت(ع) وتأصيل العداء ضد الأمويين قام باستئجار مجموعة من النساء يندبن الحسين(ع) وقد أحدث ذلك جواً عاطفياً حتى تحولت الكوفة إلى مأتم للحسين(ع) .

٦- مقتل عبيد الله بن زياد :

لقد أقتص المختار من قتلة الحسين وبقي عليه الاقتصاص من رأس الأفعى عبيد الله بن زياد الذي أتجه لتحرير العراق من ابن الزبير والمختار،

(١) الكامل ج ٤ ص ٢٣٩ .

وكان مسيره باتجاه الموصل وهو يقود جيشاً كبيراً من أهل الشام، وحينما بلغت أخباره المختار، جهّز له جيشاً مؤلفاً من سبعة آلاف مقاتلاً، وخرج المختار مع جيشه حتى وصل المدائن، وبقي هناك يتلقى الأخبار، وكان جيش المختار بقيادة إبراهيم بن مالك الاشتر. والتقى الجيشان على ضفاف نهر الخازر -ضواحي مدينة الموصل- وبدأت المعركة في عام سبعة وستين، وكان إبراهيم يحرض جيشه على القتال، ويذكرهم بما فعله ابن زياد بالحسين وأهل بيته وأصحابه من القتل والسبي، وما إلى ذلك من الجرائم وتقاتل الطرفان حتى جرت أنهار من الدم وكان القتل أكثر في صفوف جيش الشام، وكان عدد جيش ابن زياد ثلاثين ألفاً ولكن بدأت كفة جيش المختار ترجح بسبب مهارة القائد إبراهيم بن الاشتر وحماس جنده من الشيعة. وانتهت المعركة بهزيمة أهل الشام وانتصار أهل العراق، ولما انتهت المعركة قال إبراهيم: اني قتلت رجلاً تحت راية منفردة على شاطئ نهر الخازر، فإني شمت منه رائحة المسك شرقت يداه وغربت رجلاه فالتمسوه ، فإذا هو ابن زياد قتيلاً بضربة إبراهيم الذي قدّه نصفين فأخذ رأسه وأحرق جثته^(١).

واخذ إبراهيم رأس عبيد الله بن زياد إلى المختار ومعه رؤوس قواده وقام المختار فوطئ وجه ابن زياد بنعله ثم رمى بها إلى غلامه، وقال : اغسلها فإني وضعتها على وجه نجس كافر.

ثم ان المختار أرسل رأس ابن زياد ورأس ابن سعد إلى علي بن الحسين(ع) في المدينة، وقال للرسول: إذا دخلت المدينة وبلغت دار

(١) الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٤٦٣ .

علي بن الحسين، ورأيت أبوابه قد فتحت ودخلها الناس، فأدخل عليه بالرأسين فأن في ذلك الوقت يوضع له الطعام ليأكل هو ومن يدخل عليه، فعمل الرسول بما أوصاه المختار فدخل وهو ينادي: ي أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومهبط الوحي، انا رسول المختار بن أبي عبيدة ومعني رأس ابن مرجانة وعمر بن سعد، فضج من في الدار وتعالى الصراخ منه وانتشر الخبر بسرعة في دور بني هاشم، ولم تبق امرأة في دورهم إلا صرخت، ثم دخل ووضع الرأسين بين يدي الإمام (ع)، فلما رآهما قال: أبعدهما الله إلى النار، ولم ير الإمام علي بن الحسين ضاحكاً قط منذ قتل أبوه إلا في ذلك اليوم، وخرّ ساجداً :

سر النبي بأخذ الثار من عصب	بأثروا بقتل الحسين الطاهر الشيم
قوم غلوا بلبان الحق ويجههم	للمرتضى وبنيه سادة الأمم
حاز الفخار الفتي المختار إذ قعدت	عن نصره سائر الأعراب والعجم

وعندما علم ابن عباس بذلك قال: جزاه الله عنا وعن رسول الله خير جزاء المحسنين، لقد اخذ بئارنا وأدرك وترنا، كما خرّ محمد بن الحنفية ساجداً شكراً لله وقال: جزاه الله خير الجزاء لقد أدرك لنا ثأرنا ووجب حقه على كل أولاد عبد المطلب بن هاشم، وجاء عن أهل البيت (ع) ما تخضبت امرأة من العلويات ولا أجالت في عينيها مروداً ولا ترجلت حتى بعث المختار برأس عبيد الله بن زياد إلى المدينة^(١).

(١) الانتفاضات الشيعية ، ص ٤٦٢-٤٦٣ .

٧- الصراع بين المختار وآل الزبير :

كانت الزعامة السياسية في تلك الفترة -تخضع لثلاث جهات-
الحكومة المركزية في الشام -حكومة ابن الزبير في الحجاز- وحكومة
المختار في العراق، وقد حدثت بين الجميع معارك طاحنة ظهر فيها الضعف في
جانب الحكومة المركزية، ورغم الانتصارات التي حققها جيش المختار، إلا
انه كان يدرك حاجته إلى هدنة، يراجع فيها نفسه ويقوم مسيرته ويستجمع
قوته، لأن الجند مهما كانوا مستميتين فان استمرار الحروب يؤدي إلى ضعف
المعنويات نتيجة السأم من الحروب، وهذا الامر لم يكن غائباً عن تفكير
المختار، لذا راح يعرض على ابن الزبير الهدنة وأراد ابن الزبير اختبار نوايا
المختار، فأرسل والياً من قبله إلى الكوفة فصرفه المختار بأربعين ألف درهم
فقبضها واعتزل السياسة، ومرة أخرى كتب المختار إلى عبد الله بن الزبير،
بأنه مهد سلطانه على العراق وطلب منه ان يقره على حكمه نزولاً عند
الأمر الواقع وطلب منه ان يمدّه بمليون درهم ليستعين بهذا المال على
الزحف إلى الشام لقتال الحكومة المركزية، ولكن ابن الزبير الخبير بنوايا
المختار رفض هذا العرض، ومرة أخرى أرسل المختار جيشاً لمساعدة جيش
ابن الزبير، عندما أرسل عبد الملك بن مروان جيشاً لمهاجمة وادي القرى في
الحجاز ولكن ابن الزبير غدر بجيش المختار وقد أدى غدره إلى إبادة ذلك
الجيش الذي قدره بعض المؤرخين بثلاثة آلاف مقاتل . وتأزمت الأوضاع بين
الطرفين أكثر، عندما حاصر آل الزبير محمد بن الحنفية ومجموعة من
العلويين في شعب رضوى، وهب المختار لنجدتهم وفك الحصار عنهم. وأراد
معاينة الزبيريين. إلا ان محمد بن الحنفية رفض ذلك تخرجاً من الفتنة وإراقة الدماء.

وسبب الخلاف بين الاثنين هي المبادئ والغايات، إذ إن مبادئ المختار تتخلص في: الطلب بثأر أهل البيت (ع) وإعادة الخلافة إليهم، وأما مبادئ ابن الزبير فهي عبارة عن تضليل الناس والوصول إلى السلطة، وكان المختار في نظر آل الزبير أخطر من الحكومة المركزية عليهم لذا فكروا في القضاء عليه بشكل نهائي، وقد أرسل عبد الله بن الزبير أخاه مصعب إلى البصرة لهذه المهمة، ومصعب أحد جزاري عصره قال لأهل البصرة: بلغني إنكم تلقبون أمرائكم وقبل أن تلقبوني فإني قد لقت نفسي بالجزار^(١) والتجأ إليه الهاربون من المختار وهم بقية قتلة الحسين والمحسوبون على النظام الأموي وأعلنوا استعدادهم للموت لأنهم شعروا بالذل نتيجة سيطرة الموالي على مقاليد الأمور في الكوفة، يقول محمد بن الأشعث للمهلب^(٢) بن أبي صفرة، وقد أرسله مصعب بن الزبير لينظم إليه - أن نسائنا وأبنائنا وحرمانا غلبنا عليهم عبيدنا^(٣). وتقدم مصعب نحو الكوفة بجيش جرار وتلقاه المختار بجيش بقيادة أحمد بن شيط على مشارف الكوفة واصبحا وجهاً لوجه، وتقدم القائد أحمد بطلب إلى مصعب وهو الكف عن إراقة الدماء والتسليم للمختار على أن تكون الخلافة فيمن يتفقون عليه من آل الرسول (ص)^(٤)، وكان من الطبيعي أن يرفض مصعب ما عرضه عليه المختار لذا أمر قائده المهلب بالهجوم، وبدأت الحرب وكانوا يقولون لأهل

(١) الكامل ج ٤ ص ٢٦٧ .

(٢) عامل ابن الزبير على فارس وقد قبل الدعوة لقتال المختار فأقبل ومعه عسكر كثير وأموال عظيمة.

(٣) الكامل ج ٤ ص ٢٦٨ .

(٤) الانتفاضات الشيعية ص ٤٦٩ هاشم معروف الحسني .

الكوفة يا أهل الكوفة: لا تقتلوا أنفسكم من اجل هؤلاء العبيد -الموالي- وكانت الحرب بينهما بين الكر والفر حتى امتلأت ارض المعركة بجثث القتلى وأبدى المختار شجاعة فائقة بعد ان قتل قائده احمد بن شيط، ولما أحس العرب الذين كانوا مع المختار بأن الهزيمة ستلحق به، اخذوا يتسللون إلى ابن الزبير ويطلبون منه الأمان لهم ولأسرهم، ودخل ابن الزبير الكوفة واخذ الخناق يضيق على المختار وبدأت المحاصرة الاقتصادية تشتدّ عليه وكان هو وجيشه يقتاتون على ما يأتيهم من مؤن بواسطة النساء، واستمرت الحرب هكذا إلى أربعة اشهر، فكان المختار يخرج بمن معه من القصر بين الحين والآخر فيصطدم بجماعة ابن الزبير ثم يرجع إليه، وعندما تقدم جيش ابن الزبير نحو القصر حتى اصبح قريباً ندب المختار أصحابه إلى القتال قائلاً لهم: ان الحصار لا يزيدكم إلا ضعفاً، ومضى يضرب بسيفه حتى قتل رضوان الله عليه. وكان مصرعه في الرابع عشر من شهر رمضان من سنة سبع وستين للهجرة^(١).

وبقي أصحاب المختار متحصنين في القصر ولم يتمكن مصعب من دخوله إلا بالأمان والمواثيق التي أعطاهم إياها، ولكنه قتلهم جميعاً بعدما جردهم من السلاح وكانوا سبعة آلاف شخص، والانكى من كل هذا فقد فعل المنكرات التي لم يفعلها حتى بنوا أمية وذلك انه عمد إلى نساء المختار فأحضرهن وطلب منهن إعلان البراءة منه فرفضت إحداهن واستجابت الأخرى بسبب التهديد، فهدد زوجته التي رفضت البراءة بالقتل، وهي ابنة النعمان بن بشير الأنصاري، فقالت: شهادة ارزقها في سبيل الله خير من

(١) الانتفاضات الشيعية ، ص ٤٧٠ ، الحسيني .

الدنيا وما فيها، إنها مودة ومن ورائها الجنة، والله لا أفضل على ولايتي لعلني
بن أبي طالب شيئاً، ثم ترحمت على المختار ولم تتبرأ منه فقتلها مصعب بن
الزبير وفيها يقول عمر بن أبي ربيعة :

ان من اعجب الأعاجيب عندي قتل بيضاء حرة عطبول
قتلوها بغير جرم أتته ان لله درها من قتل
كتب القتل والقتال علينا وعلى الغايات جر الذبول^(١)
قال في الكامل: ان مصعباً لقي ابن عمر فسلم عليه وقال له: أنا ابن
أخيك مصعب فقال له ابن عمر أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة في
غداة واحدة غير ما بدا لك؟ فقال مصعب: انهم كانوا كفرة فجرة فقال:
والله لو قتلت عدتهم غنما من تراث أبيك لكان ذلك سرفاً^(٢).

٨- لماذا هزم المختار ؟

هناك أسباب متعددة أدت إلى هزيمة المختار اذكرها مختصراً :

أ- اعتماده على الموالي حتى اعتبرت ثورته ثورة الموالي وهم ليسوا من
الرجال الذين صهرهم الحرب فالغالبية منهم لم يدخل حرباً قبل ذلك بل
كانوا خدماً في البيوت .

ب- التعب الذي لقيه جيشه بسبب الحروب المتواصلة، فمنذ إعلان الثورة
وحتى نهايتها لم يضع رجال المختار السلاح من أيديهم، وقد شعر المختار بذلك
لذا كان يسعى إلى مهادنة ابن الزبير وأراد من الهدنة بناء جيشه ومجتمعه.

(١) الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٧٥ .

(٢) الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٧٨ .

ج- توزيع الجيش على اكثر من محور قسم منه لقتال الحكومة المركزية في الشام والقسم الآخر لقتال دولة ابن الزبير وقسم آخر لحماية الجبهة الداخلية في الكوفة لان المختار أعلن الحرب الشاملة على عدة آلاف من قتلة الحسين(ع).

د- غياب القائد الحكيم إبراهيم بن مالك الاشتر عن المعركة التي انتهت فيها دولة المختار لانه كان يقاتل على جبهة ضد الأمويين^(١).

٩- هل كانت أفعال المختار مع قتلة الحسين موافقة للشرع؟

الجواب على هذا السؤال يحتاج إلى تجرد عن العصبية أولاً، والفهم لموقف الإمام المعصوم منه ثانياً، وإلى تأمل واسع في الجريمة النكراء التي ارتكبها المجرمون بحق الحسين وأصحابه ثالثاً.

وفي ضوء هذه المسائل الثلاث سيتضح لنا كل ما قام به المختار، وهل كان موافقاً للشرع أم لا ؟

ان البعض حكم لأول وهلة على انحراف المختار واعتبره خنجراً مسموماً سقط بسببه آلاف الشهداء^(٢) - على حد تعبيره - هذه هي العصبية بعينها لان الكاتب يتباكى على أمثال الشمر وعمر بن سعد وعبيد الله بن زياد هؤلاء القتلة المجرمون، لماذا لا نرجع إلى كتب التاريخ ونستنطقها لنرى ماذا تقول؟. لنقرأ هذا النص للمؤرخ احمد بن أعثم الكوفي صاحب كتاب (الفتوح) قال: فجعل يؤتى بهم - قتلة الحسين - إليه فممنهم من يقطع

(١) لقد فرضت الظروف القاسية على ابراهيم التحالف مع آل الزبير -بعد مقتل المختار - ضد الامويين حتى قتل رحمه الله في معركة دير الجاثليق .الفتوح ج٦، ص٣٧٨، ابن اعثم .

(٢) مقال في مجلة الدعوة الإسلامية للكاتب ابراهيم السليمان الجهمان .

يديه، ومنهم من يقطع رجليه، ومنهم من يقطع يديه ورجليه، ومنهم من يقر بطنه، ومنهم من يقلع عينه، ومنهم من يجذع انفه وأذنيه، ومنهم من يقطع لسانه وشفتيه، ومنهم من يضربه بالسياط حتى يموت، ومنهم من يقطع بالسيوف أربعاً أربعاً، ومنهم من يضرب عنقه صبراً، ومنهم من يحرق بالنار حرقاً^(١).

وجاء في البداية والنهاية لابن كثير: ان المختار كان يعاقب كل إنسان حسب جريمته^(٢).

وإذا تجردنا عن العصبية وعرفنا صلاحيات الأئمة وتأملنا بجرائم قتلة الحسين(ع) نخرج بهذه النتيجة ان المختار كان في ممارساته ضد القتلة متفقاً مع الكتاب والسنة كيف؟ قال تعالى: {إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم}^(٣).

وما قام به المختار فهو جزاء لقتلة الحسين على جرائمهم، فقد قام بقتلهم وصلبهم وتقطيع أيديهم وأرجلهم، فالرجل لم يزد على تطبيق الآية شيئاً. ثم ان هناك مسألة لم يشر إليها أحد، وهي ان المختار كان على صلة وثيقة مع أهل البيت(ع)، وقد بينا انه إنما قام بالثورة بإذن منهم - أفلا

(١) الفتوح ، ج ٦ ، ص ٢٧٠ .

(٢) الانتفاضات الشيعية ، ص ٤٦٠ ، هاشم الحسيني .

(٣) المائدة آية ٣٣ .

يكونون قد منحوه الصلاحيات المطلقة من اجل ممارسة أي عمل انتقامي من قتلة الحسين، وما يجعلني اجزم بحصول المختار لمثل هذه الصلاحية، انه لم يرد منهم جميعاً أي استنكار لما قام به المختار، نحن لا نريد تبرير أفعال المختار لو كانت مخالفة للشرع كما فعل البعض مع فعلة خالد بن الوليد التي ارتكبتها بحق مالك بن نويرة ووطئه لزوجته في نفس الليلة التي قتل فيها زوجها، إذ قال القوم اجتهد فإخفاً، لا ادري كيف يجتهد مقابل النص، اللهم إلا ان يقال انه كان جاهلاً والجاهل لا يحق له ان يجتهد علماً انه لا اجتهد في مثل هذه الموارد لانه اجتهد مقابل نص وحكم ثابت بين المسلمين.

على كل حال ان أفعال المختار لم تكن مع مجرمين عاديين انهم مجرمون من نوع خاص، انهم قتلة آل الرسول انهم قتله إمامهم انهم قتلة الأطفال انهم إرهابيون بمنتهى الكلمة ان العالم إلى الآن لم يتأمل جيداً بجرائم هؤلاء المجرمين، كما انه لم يتأمل بمظلومية أهل البيت في كربلاء اني أقولها بكل صراحة لو لم يكن للمختار إلا هذه الحسنة -إدخال السرور على أهل البيت(ع)- لكان جديراً بمرافقة الحسين والشهداء، فكيف برجل كان طوال أيام عمره صائماً نهاره قائماً ليله ؟

١٠- ثورة المختار تدخل ثورة الحسين (ع):

انطلاقاً من الحديث القائل (ما ضاع حق وراءه مطالب)، نقول ان ثورة الحسين قد كتب لها البقاء بفضل عوامل كثيرة مر عليك بعضها، ومن تلك العوامل الثورات التي طالبت بحق الحسين، وثورة المختار من بين تلك الثورات التي أكدت ما يلي :

أ) إنها قالت للعالم اجمع ان الحسين مظلوم وعلى الأمة ان تطالب بحقه (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطاناً)، وولاية دم الحسين في جميع الأمة لان الحسين أراد تحريرها فهي مسؤولة عن المطالبة بحقه .

ب) ان المختار ترك انطباعاً في ذاكرة الطغاة ان لا يخطأوا مرة أخرى مع أهل البيت (ع)، لذا كان عبد الملك بن مروان يقول للحجاج: أما بعد جنبني دماء بني عبد المطلب^(١).

ج) ان توضيحات المختار وجنده الكبيرة وسعت من دائرة التضحية وحركة الشهادة الحسينية لان المختار رسخ مفهوم الشهادة الحسينية في نفوس المسلمين، كأنه قال ان تضحية الحسين (ع) ليست هي التضحية في عاشوراء وانتهى كل شيء، كلا ان طريق الشهادة والتضحية على تواصل وبلا انقطاع .

د) ان ثورة المختار أعادت من جديد الحديث عن ثورة الحسين، لان السائل في عندما نسأل التاريخ: لماذا ثار المختار؟ يجيبنا: طلباً لثأر الحسين، وان العالم بحاجة إلى يذكره بعاشوراء الحسين في كل وقت لتحول هذه الشهادة إلى حديث على الألسن، وإلى قضية يتحدد موقف الإنسان المسلم من خلالها، كما نحن بحاجة إلى طعام وشراب كل يوم كذلك فنحن بحاجة إلى ذكر عاشوراء في كل يوم، لذا يستحب زيارة الحسين في كل يوم وهناك زيارات خاصة بالليالي والأيام، وبعضها يختص بأول الشهر وبعضها يختص بالمناسبات، فالقصد من هذه الزيارات ان تكون الأمة في تواصل مع الحسين (ع)، والمختار من خلال ثورته جعل الأمة تتواصل مع الحسين (ع).

(١) حياة الإمام زين العابدين (ع) ، عبد الرزاق المقرّم .

رحم الله المختار يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً .

د : ثورة زيد بن علي عليهما السلام :

ان الحديث عن ثورة زيد يستدعينا إلى الحديث عن سيرته الذاتية بما
تحمل من عطاءات وقيم إسلامية رفيعة.

إذن من هو زيد بن علي؟

انه أبو الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أمه
(حوراء) اشتراها المختار بن أبي عبيد الثقفي وأهداها إلى علي بن الحسين
فولدت له زيداً وعمراً وعلياً وخديجة^(١).

واختلف في ولادته فالمشهور ان ولادته سنة ثمان وسبعين وكانت
شهادته في سنة ١٢٢ للهجرة وله من العمر اثنان وأربعون عاماً .

وروي ان الإمام علي بن الحسين(ع) نظر إلى القرآن عند ولادة زيد
فطالعه هذه الآيات (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم بمواهم بان لهم الجنة)
فأطبقه ثم فتحه فخرج قوله تعالى (وفضل الله المجاهدين على القاعدين
درجات) فأطبقه ثم فتحه فخرج قوله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل
الله امواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) فأطبقه وقال: عزيت عن هذا المولود
وانه لمن الشهداء^(٢).

(١) زيد الشهيد ، ص ٣ ، محسن الامين .

(٢) المصدر السابق ، ص ٦ .

ملكانة النفسية

١ - عبادته:

كان زيد بن علي من عباد الأمة، روى أبو الفرج الأصفهاني عن عاصم بن عبيد الله العمري قال: ... رأيت بالمدينة وهو شاب يذكر الله عنده فيغشى عليه حتى يقول القائل ما يرجع إلى الدنيا^(١).

وحدث بعضهم عن زيد بن علي فقال: وقد اثر السجود بوجهه أثراً خفيفاً^(٢).
وروي عن يحيى بن زيد رضوان الله عليهما قال: رحم الله أبي زيدا كان والله أحد المتعبدين قائم ليله صائح فهاره يجاهد في سبيل الله حق جهاده.

٢ - حبه للإصلاح الاجتماعي والسياسي والفكري:

ان زيدا كان من دعاة الإصلاح الشامل وهو أحد شهداء هذا الطريق، روى السيد الأمين: ان زيدا قال لأحد أصحابه: أما ترى هذه الثريا أترى احداً يناها، قال: لا، قال: والله لوددت ان يدي ملصقة بها أقع على الأرض أو حيث أقع فأتقطع قطعة قطعة وان الله أصلح بين أمة محمد(ص).

٣ - حرصه على الشهادة في سبيل الله :

كان زيد الشهيد تواقاً إلى الشهادة حريصاً على ان يكون هو المعنى بأقوال الرسول(ص)، روى السيد الأمين ان يحيى بن زيد سأل عن سبب خروج أبيه فقال: سمعت أبي يحدث عن أبيه الحسين(ع) قال وضع رسول الله

(١) مقاتل الطالبين ، ص ٧٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٧٨ .

يده على صلي فقال: يا حسين يخرج من صلبك رجل يقال له زيد يقتل شهيداً، فإذا كان يوم القيامة عبر

هو وأصحابه على رقاب الناس ودخلوا الجنة، واني احب ان أكون ذلك الذي اخبر عنه رسول الله (ص)^(١).

كما وردت فيه أخبار كثيرة أخرى عن رسول الله (ص) منها.
(الشهيد من ذريتي والقائم بالحق من ولدي المصلوب بكناسة كوفان أمام المجاهدين وقائد الغر المحجلين يأتي يوم القيامة هو وأصحابه تتلقاهم الملائكة ينادونهم ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون)^(٢)، ومنها: يقتل رجل من أهل بيتي فيصلب لا ترى الجنة عين رأت عورته^(٣).

٤ - شخصية قرآنية:

كان زيد الشهيد ذا علاقة خاصة مع القرآن وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على فهم زيد الشهيد لأهمية القرآن ودوره في حياة المسلمين، فقد اجمع المؤرخون انه كان يسمى بحليف القرآن. وروى أبو الفرج الأصفهاني عن أبي الجارود قال: قدمت المدينة فجعلت كلما سألت عن زيد بن علي قيل لي ذاك حليف^(٤) القرآن، ولزيد الشهيد قراءة مشهورة معروفة ألف فيها بعض العلماء^(٥).

(١) المصدر السابق ، ص ٢١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٠ .

(٣) مقاتل الطالبين ، ص ٨٨ أبو الفرج الأصفهاني .

(٤) مقاتل الطالبين ، ص ٨٨ .

(٥) زيد الشهيد ، ص ٣٤ محسن الامين .

وكان إذا قرأ القرآن أو مرت عليه آية منه يحزن ويبكي حتى يخشى عليه، روى السيد الأمين انه كان يكرر هذه الآية {وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد}، قال صاحبه النازلي فانتبهت من نومي فإذا أنا به ماد يديه نحو السماء وهو يقول: الهي عذاب الدنيا يسر من عذاب الآخرة ثم انتحب فقممت إليه وقلت يا ابن رسول الله لقد جزعت في ليلتك هذه جزعاً ما كنت أعرفه^(١).

٥ - شخصية علمية :

قال الشيخ أبو زهرة في كتابه زيد بن علي : لقد اجمع الذين عاصروه على انه كان عالماً غزير العلم، محيطاً بشتى العلوم الإسلامية كالفقه والتفسير وغيرهما، راوياً لحديث أهل البيت وغيرهم، وأضاف: ان شيوخ الفقه في الكوفة تتلمذوا على يديه بما فيهم أبو حنيفة الذي تتلمذ على يديه سنتين، ونقل عن الإمام أبي حنيفة قوله: شهدت زيد بن علي فما رأيت في زمانه افقه منه ولا اعلم ولا أسرع جواباً ولا أبين قولاً وكان منقطع النظر. وقد روي عن الإمام الرضا(ع) في حديثه مع المأمون: ان زيد بن علي كان من علماء آل محمد (ص) وكان سفيان الثوري يحدث الكوفة وواعظها إذا ذكر زيد بن علي بكى على ما فقد العلم بفقده وعلى ما فقدته التقى والفضل بإصابته^(٢).

(١) زيد الشهيد ، ص ٣٣ محسن الأمين .

(٢) الانتفاضات الشيعية ، ص ٤٨٦ ، هاشم معروف الحسني .

وقد عقد أبو الفرج الأصفهاني في المقاتل فصلاً بعنوان : تسمية من عرف فيمن خرج مع زيد بن علي من أهل العلم ونقله الآثار والفقهاء ومن جملة من أعان زيداً على جهاده الإمام أبو حنيفة، فقد أرسل إليه بواسطة أحد اتباعه : قل لزيد لك عندي معونة وقوة على جهاد عدوك فاستعن بها أنت وأصحابك في الكراع والسلاح، ثم بعث ذلك إلى زيد فأخذه .

٦- شجاعته وإبائه :

كان زيد بن علي أحد أبرز شجعان المسلمين في زمانه، وأحد أبيائه يأبى ان يضام وفيه روح من علي والحسين(ع). قال: وهو خارج من عند هشام بن عبد الملك ما احب امرؤ الحياة إلا ذلّ وتمثل بأبيات منها :

قد كان في الموت له راحة	والموت حتم في رقاب العباد
ان يحدث الله له دولة	يترك آثار الهدى كالرماد ^(١)

ومن بطولاته وشجاعته انه قاتل آلافاً من جند الشام بعشرات من أنصاره وقد أبلى بلاء حسناً يومها .

٧- زيد التقي :

كان زيد الشهيد من صلحاء الأمة وأتقياءها، انه في تقواه وصلاحه قريب من تقوى المعصومين(ع) وصلاحهم. روى أبو الفرج الأصفهاني عن أبي قره أحد أصحاب زيد قال خرجت مع زيد بن علي ليلاً إلى الجبان .

(١) الانتفاضات الشيعية ، ص ٤٩٣ الحسيني .

قال لي: يا أبا قره أتدرى أين نحن ؟ نحن في روضة من رياض الجنة نحن عند قبر أمير المؤمنين علي (ع)، ثم قال: يا أبا قره والذي يعلم ما تحت وريد زيد بن علي لم يهتك لله محرماً منذ عرف يمينه من شماله يا أبا قره من أطاع الله أطاعه ما خلق^(١).

٨- هيبتة وجلالة قدره :

كان زيد بن علي مهاباً له احترام وقدر بين الناس، روى أبو الفرج عن خصيب الوابشي قال: كنت إذا رأيت زيد بن علي رأيت أسارير النور في وجهه^(٢). أقول : هذا النور هو نفحة من نفحات العلم والتقوى والإخلاص لله تعالى.

٩- زيد في أحاديث المعصومين (ع) :

عن حذيفة بن اليمان قال : نظر رسول الله (ص) إلى زيد بن حارثة، فقال: المظلوم من أهل بيتي والمقتول في الله والمصلوب من أمي سمي هذا وأشار إلى زيد بن حارثة ثم قال : ادن مني يا زيد زادك اسمك عندي حباً فأنت سمي الحبيب من أهل بيتي^(٣).

وروي عن الإمام الحسين (ع) قوله : سيكون منا رجل اسمه زيد يخرج فيقتل فلا يبقى في السماء ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا تلقى روحه ليرفعه أهل كل سماء إلى سماء الخير^(٤).

(١) مقاتل الطالبين ، ص ٨٦ ، أبو الفرج الأصفهاني .

(٢) المصدر السابق ، ص ٨٦ .

(٣) زيد الشهيد ، ص ٦ ، محسن الأمين .

(٤) زيد الشهيد ، ص ٦ ، محسن الأمين .

وروي عن أبي جعفر قوله - وهو ينظر إلى زيد قد اقبل - هذا سيد
أهل بيتي والطالب بأوتارهم^(١).

وروى الفضيل بن يسار قال دخلت على أبي عبد الله بعدما قتل زيد بن
علي، فقال لي يافضيل: قتل عمي زيد؟ قلت: نعم، جعلت فداك، قال
رحمه الله: أما انه كان مؤمناً وكان عارفاً وكان عالماً صدوقاً، أما انه لو ظفر
لوفى، أما انه لو ملك لعرف كيف يضعها^(٢).

وكلام الإمام الرضا في حق زيد يكشف كثيراً من حقائق هذه
الشخصية العظيمة، قال المأمون للإمام الرضا: لئن خرج أخوك -زيد^(٣)-
وفعل ما فعل لقد خرج من قبله زيد بن علي فقتل ولولا مكانتك لقتلته
فليس ما أتاه بصغير فقال الرضا(ع): لا تقس أخي زيدا إلى زيد بن علي،
فأنه كان من علماء آل محمد غضب الله عز وجل فجاهد أعدائه حتى قتل
في سبيله، ولقد حدثني أبي موسى بن جعفر: انه سمع أباه جعفر بن محمد
يقول: رحم الله عمي زيدا انه دعا إلى الرضا من آل محمد ولو ظفر لوفى بما
دعى إليه ولقد استشارني في خروجه، فقلت له يا عم: ان رضيت ان تكون
المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك، فلما ولى قال جعفر بن محمد ويل لمن
سمع داعيته فلم يجبه، فقال المأمون: يا أبا الحسن أليس قد جاء فيمن ادعى

(١) المصدر السابق ، ص ١٤ ، محسن الامين .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٤ ، محسن الامين .

(٣) زيد النار خرج في البصرة فقتل فيها بعض المحسوبين على السلطة العباسية واحرق دورهم ولكن
ثورته فشلت وجيء به اسيرا الى المأمون فوهبه لأخيه الرضا (ع) .

الإمامة بغير حقها. فقال الرضا: ان زيد بن علي لم يدع ما ليس له بحق وانه كان اتقى الله من ذاك انه قال أدعوكم إلى الرضا من آل محمد^(١).

١٠ - كيف ينظر زيد إلى أئمة الهدى من أهل البيت (ع):

كان زيد بن علي - مع علمه وعظمة شخصيته جندياً وفعالاً لائمة الهدى، فقد مرّ عليك حديث الإمام الصادق الذي ذكر فيه أنه استشاره في مسألة الخروج على الحاكم الأموي، حيث أعطاه الإمام عليه السلام الضوء الأخضر للثورة خرج على طاغية زمانه - هشام بن عبد الملك - .

ان زيد بن علي لم يطرح نفسه كإمام بل كجندي من جنود الإمامة، يقول يحيى بن زيد رداً على من قال هذه صفة إمام حق، فقال يحيى: لم يكن إمام ولكن من السادات الكرام وزهادهم وكان من المجاهدين في سبيل الله^(٢).

وفي كتاب زيد الشهيد نقلاً عن كفاية الأثر للرازي القمي بإسناده إلى يحيى بن زيد قال: سألت أبي عن الأئمة (ع)، فقال: الأئمة اثنا عشر: أربعة من الماضين وثمانية من الباقين، قلت: فسمهم يا أبت، قال: أما الماضون فعلي بن أبي طالب والحسن والحسين وعلي بن الحسين (ع)، وأما الباقون فأخي الباقر وأبنة جعفر الصادق وبعده موسى ابنه وبعده علي ابنه وبعده محمد ابنه وبعده علي ابنه وبعده الحسن ابنه وبعده المهدي: فقلت يا أبت ألسنت منهم؟

(١) زيد الشهيد ، ص ١٦ ، محسن الامين .

(٢) زيد الشهيد ، ص ٢١ ، محسن الامين .

قال: لا ولكن من العترة، قلت: فمن أين عرفت أسمائهم؟، قال: عهدٌ معـهود عهدـه رسول الله (ص)^(١).

وفي مجالس الصدوق عن أبي خالد الواسطي، إن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع)، قال: في كل زمان رجل من أهل البيت يحتاج الله به على خلقه، وحجة زماننا ابن أخي جعفر بن محمد (ع)، لا يضل من تبعه ولا يهتدي من خالفه^(٢).

وفي حديث عن الإمام الباقر (ع) في جواب سؤال: أي اخوتك احب إليك وافضل؟، قال (ع): أما عبد الله فيدي التي ابطش بها وأما عمر فبصري الذي ابصر به، وأما زيد فلساني الذي انطق به، وأما الحسين فحليم يمشي على الأرض هونا^(٣).

وفي الخبر عن عمار الساباطي، إن سليمان بن خالد خرج مع زيد بن علي حين خرج فقال له رجل -وهم وقوف في ناحية وزيد واقف في ناحية- ما تقول في زيد هو خير أم جعفر؟ فقال سليمان والله ليوم من جعفر خير من زيد أيام الدنيا^(٤). فحرك -الرجل- دابته واتى زيدا وقصص عليه القصة ومضى -سليمان بن خالد- نحوه فأنتهى إلى زيد وهو -زيد- يقول جعفر إمامنا في الحلال والحرام^(٥).

(١) زيد الشهيد، ص ٦١، عبد الرزاق المقرم.

(٢) المصدر السابق، ص ٦٥.

(٣) زيد الشهيد، ص ٢١، محسن الامين.

(٤) لان الإمام جعفر الصادق هو الإمام الحق وزيد جندي من جنوده ومهما بلغ من العظمة فلا يقاس بامام زمانه في حال من الاحوال.

(٥) زيد الشهيد، ص ١٥، محسن الامين.

١١- رأي العلماء فيه :

ان لزيد الشهيد مكانة في كتب العلماء وكلماتهم تجمع كلها على إسلامية هذه الشخصية قال صاحب كتاب (تكملة نقد الرجال): قد اتفق علماء الإسلام على جلالته وثقته وورعه وعلمه وفضله، وقال (المفيد في الإرشاد): زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام عين اخوته بعد أبي جعفر (ع) وأفضلهم وكان عابداً ورعاً فقيهاً سخيّاً شجاعاً وظهر بالسيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويأخذ بثأر الحسين (ع)، كان يبكي من خشية الله حتى تختلط دموعه بمخاطه .

وقال السيد علي خان الشيرازي في (رياض السالكين): هو أبو الحسين زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب عليهم السلام، وانه كان جم الفضائل عظيم المناقب وكان يقال له حليف القرآن عن أبي الجارود قال: قدمت المدينة فجعلت كلما اسأل عن زيد بن علي قيل لي ذاك حليف القرآن ذاك اسطوانة المسجد من كثرة صلاته، وفي (عمدة الطالب) زيد الشهيد.. مناقبه أجل من ان تحصى وفضله اكثر من ان يوصف ويقال له حليف القرآن.

وقال إبراهيم بن علي المعروف بالحصري القيراوني المالكي في (زهر الآداب وثمر الألباب)، كان زيد بن علي رضي الله عنه ديناً شجاعاً من احسن بني هاشم عبارة وأجلهم إشارة وكانت ملوك بني أمية تكتب إلى صاحب العراق: ان امنع أهل الكوفة من حضور زيد بن علي فإن له لساناً اقطع من ظبة السيف وأحد من شبا الأسنة وابلغ من السحر والكهانة ومن كل نفث في عقده .

وعن السيد علي خان الحويزي كان زيد بن علي بن الحسين عليه الرحمة من خيرة أولاد الأئمة المعصومين وكان فيه من الفضل والتقوى والزهد والورع ما يتفوق به على غيره ولم يكن يفضلّه إلا الأئمة المعصومون وإما شجاعته وكرمه فهما اظهر من ان يوصفا، وهو من رؤوس أباء الضيم فكأنه سلك طريق جده الحسين(ع) واختار قتلة الكرام على ميتة اللثام واحتساء المنية على طيب العيشة في كرب الدنية .

شربوا الموت في الكريهة حلواً خوف ان يشربوا من الدل مرا^(١)

١٢ - المذهب الزيدي :

الزيدية على قسمين: الزيدية الحالة الثورية، والزيدية المذهب، أما الأولى فكل تائر وكل حرّ أبي فهو زيدي لان زيدا أسس منهجاً في السلوك الثوري الرسالي، وعليه فكلنا زيديون. وأما الزيدية المذهب: فنحن نشكك في نسبته إلى زيد، لان زيدا لم يدع لنفسه، لانه خرج واستشهد لأهداف واضحة سببها بعد قليل، فمن أين جاءت هذه الزيدية !!؟

أقول : لعل هناك أكثر من سبب :

فالبعض تأثر بالحالة الثورية التي أوجدها زيد الشهيد، وكان يرى الإمامة من خلال القيام بالسيف، ففي رأيه ان زيدا هو الإمام الحق !! والبعض كانت له مصالح وطموح سلطوية فمن مصلحته ان يتكر مذهباً جديداً يبرز شخصيته من خلاله ويستطيع ان يدعي أي شيء في غياب الأصل - زيد بن علي - .

(١) زيد الشهيد /محسن الامين : كل الاقوال المنسوبة الى العلماء نقلتها عن كتاب زيد الشهيد .

والبعض طبيعته الانبهار بالبطولات والتضحيات، وحيث ان زيدا بطل عظيم من أبطال الإسلام فقد قاوم دولة عظيمة ، فلعل هذا الموقف قد هزّ البعض حيث جعلهم يعتقدون بإمامته ولكنهم لو كانوا بمستوى وعي سليمان بن خالد -الذي كان من المقاتلين مع زيد ولكنه كان يعرف حجم زيد بالنسبة إلى الإمام جعفر الصادق(ع)- لما اختلطت عليهم الأمور .

ان الذين ادعوا الإمامة للشهيد زيد قد أساءوا له إساءة كبيرة ، لانه إنما ثار ليؤكد ظلامه الأئمة ويأخذ بحقهم لا لينفصل عنهم ويؤسس مذهباً له.

١٣ - أسباب الثورة :

إن أسباب ثورة زيد بن علي انطلقت من طبيعة الصراع بين الحق والباطل من الولاء والبراءة لله والطاغوت، فأمثال زيد يريدون للحق ان يعمل به ويريدون حاكمية الله ان تسود، وأمثال هشام يريدون للباطل ان ينطلق ويعمم المجتمع، هذه مسألة الصراع بين زيد وبين هشام في عمقها^(١)، نعم هناك بعض الأسباب الظاهرية التي قد تكون عجلت موضوع الثورة، وهي :

(أ) الطلب بثأر الحسين بن علي (ع) .

(ب) ظلم الأمويين الشامل .

حيث ذكر ان زيدا كان يتردد على الكوفة بين الحين والآخر والناس يلتفون من حوله يشكون إليه ظلم الأمويين وما لاقوه من عسف وجور

(١) وعليه لو لم يقتل الحسين (ع) ولم يقع الظلم على شخص زيد ، فهل سيسكت زيد عن النظام الأموي وهو نظام لا مشروع ؟ لا شك انه يعلن الحرب على مثل هذا النظام ، فانه لا يجوز للمسلم ان يسكت عن نظام لا يحكم بشرع الله لا سيما إذا تكاملت شروط الثورة.

وتشريد من ولائهم ويدعونهم إليهم وكان هشام يتابع بدقة تحركات زيد وارتباطاته مع الناس ومن اجل الضغط على زيد راح هشام يثير الفتنة بين العلويين في ما يتعلق بأوقاف علي(ع) وصدقائه، وقد استطاع هشام ان يذكي نار الفتنة بين زيد وجعفر بن الحسن السبط على إدارة أوقاف علي(ع) في المدينة، وكان الذي يغذي الفتنة هو الوالي الأموي خالد بن عبد الملك بن الحارث ولكن زيد أدرك المؤامرة ولم يعد يخاصم ابن عمه .

(ج) الظلم الذي وقع على زيد خاصة :

ذكر المؤرخون ان زيدا وفد على هشام يشكو إليه ظلم وفساد حاكم المدينة وبقي في الشام أياماً لم يأذن له بالدخول عليه وكان زيد يكتب الرقاع ليدخل عليه فيرد عليه هشام ارجع إلى خالد بن عبد الملك في المدينة، وأخيراً سمح له بالدخول ولكنه أوصى من في مجلسه بان لا يفسحوا له ليبقى واقفاً بين يديه يقصد إذلاله واحتقاره ولم يكتف بذلك بل بادره بقوله: ما فعل أخوك البقرة؟ فرد عليه زيد: أنت تسميه البقرة ورسول الله لقد سماه الباقر لشدة ما اختلفتما لتخالفته في الآخرة كما خالفته في الدنيا وسترده النار ويرد الجنة، فالتفت إليه هشام وقال: بلغني انك تذكر الخلافة ولست هناك وأنت ابن أمه، فرد عليه زيد بحضور ذلك الحشد من أهل الشام بقوله: ان الأمهات لا يقعدون بالرجال عن الغايات لقد كانت أم إسماعيل أمة لأم إسحاق فلم يمنع ذلك ان بعث الله منها نبياً وجعله أباً للعرب، واخرج من صلبه خير الأنبياء واخرج من إسحاق القردة والخنازير فغضب

هشام وأمر بضربه ثمانين سوطاً، ولما خرج من مجلسه قال رضوان الله عليه: ما أحب امرؤ الحياة إلا ذل.

وروى ابن الأثير إن هشام بن عبد الملك لما أمره بالخروج من مجلسه وشتّم أمه وقال له زيد بن علي: سأخرج ولا أكون إلا حيث تكره^(١).

ومن الشام اتجه صوب الكوفة التي كانت تنتظره بفارغ الصبر وكانت الكوفة قد أعلنت لزيد - في إحدى سفراته إليها - إن أربعين^(٢) ألفاً سيضربون بسيفهم بين يديه حتى النفس الأخير وأعطوه الموائيق والعهود على ذلك فقال لهم: إني أخاف أن تفعلوا معي كما فعلتم مع آبائي فحلفوا له الأيمان المغلظة أن يجاهدوا بين يديه ويسالموا من سالم. دخل الكوفة متخفياً وكان ينتقل من منزل لآخر والشيعة يختلفون إليه بنفس الروح والعزيمة وبايعوه على كتاب الله وسنة نبيه وجهاد الظالمين وأنصاف المحرومين والدفاع عن المستضعفين ونصرة الحق وأهله، قيل: وصل عدد المبايعين إلى أربعين ألفاً من أهل الكوفة وحدها، وانضم إليهم جماعة من واسط والمدائن وغيرهما، ووصلت إلى زيد تحذيرات من بعض رجال أهل البيت كعبد الله بن الحسن ولكنه لم يتراجع وكان يقول: إني امرؤ سأموت إن لم اقتل.

(١) الانتفاضات الشيعية، ص ٤٩٣، الحسيني.

(٢) وفي المقاتل قالوا له معك مائة الف سيف من اهل الكوفة والبصرة وخراسان يضربون بني امية بما دونك، ص ٩١.

نعم لقد كان اقتداء زيد بجده الحسين(ع) الذي توالى عليه
النذر فرد على الجميع بقوله: لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع
الظالمين إلا برماً.

ورد على قول الحر -لان قاتلت لتقتلن- بقوله: اباالموت
تخوفني؟ ثم تمثل بقول الشاعر :

سأمضي وما بالموت عار على الفق	إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً
رواسي الرجال الصالحين بنفسه	وفارق مشبوراً وخالف مجرماً
فأن عشت لم اندم وان مت لم الم	كفى بك ذلاً ان تعيش وترغماً ^(١)

وبقي زيد لعدة اشهر يعبأ أصحابه للقتال واتفق مع زعماء
أصحابه أن تكون ساعة الصفر في بداية شهر صفر لسنة ١٢٢
ولكن الأنباء بعد أن توالى على هشام وهي تشرح له حالة الكوفة
وبيعتها لزيد كتب إلى يوسف بن عمر الثقفي حاكم العراق كتاباً
جاء فيه: انك لغافل عن زيد بن علي الغارز ذنبه في الكوفة يبايعه
أهلها غير عابئ بك ولا بجندك فإذا أتاك كتابي فالح في طلبه وأعطه
الأمان وان أبي عليك فاقتله ان ظفرت به فانه لذلك مستحق^(٢).

فاتجه الوالي للبحث عن زيد وكان لابد له ان يظهر مخافة ان يؤخذ
على حين غرة فدعا اتباعه الذين بايعوه ووعدوه بالوفاء حتى النفس
الأخير ولكنهم ما ان رأوا الوالي يشتد في طلبهم وسمعوا التهديد

(١) مقتل الحسين ، ص ١٨٤ ، عبد الرزاق المرقم .

(٢) الانتفاضات الشيعية ، ص ٤٩٦ ، الحسيني .

والوعيد حتى دب الوهن والضعف والتخاذل بينهم وراحوا يلتمسون مخرجاً للتملص من البيعة فأثاروا عجاجه في تلك الظروف العصيبة صاغتها عقول أناس قد اندسوا في صفوفهم لتشتيت شملهم كما يقول السيد هاشم معروف .

لذا طرحوا عليه مسألة من المسائل الحساسة، إذ قالوا له : ما تقول في أبي بكر وعمر، فقال لهم: فأني لا أقول فيهما إلا خيراً ولا سمعت من آبائي أحداً يقول فيهما إلا خيراً، فقال له القوم: فترى إن بني أمية ما ظلموك؟ فقال زيد: ليس القياس في ذلك بسواء، إن بني أمية قتلوا جدي الحسين بن علي(ع) وحملوا رأسه إلى الشام وقتلوا أهل المدينة ونهبوها ثلاثة أيام ثم رموا بيت الله الحرام بالحجارة والعذرة والنار وأبو بكر وعمر لم يفعلوا من ذلك شيئاً، واشد ما أقوله فيمن ذكرتم انا كنا أحق الناس بهذا الأمر ولكن القوم استأثروا علينا ودفعونا عنه ولم يبلغ ذلك عندنا كفراً ..

ان هؤلاء الذين نقاتلهم ليس كأولئك وإني أدعوكم إلى العمل بالكتاب وإحياء السنة وإماتة البدعة، فان تسمعوا يك خيراً لي ولكم وان تأبوا فلست عليكم بوكيل فرفضوه ونقضوا بيعته^(١).

وأرسل زيد دعائه يستنهضون الناس وهم ينادون بشعار المسلمين -يا منصور أمت - فلم يستجب له سوى ٢١٨ رجلاً وقيل أربعمائة وجعل أنصاره ينادون: يا أهل الكوفة اخرجوا من الذل إلى العزّ والى

(١) الانتفاضات الشيعية ، ص ٤٧٩ ، نقلا عن الكامل في التاريخ .

الدين والدنيا فإنكم لستم في دين ولا دنيا فلم ينفع معهم هذا النداء وكان زيد بن علي يقول لقد فعلوها حسينية أما والله لا قاتلن حتى الموت^(١).

وتقدم البطل الإسلامي زيد بن علي بهذا العدد القليل مواجهها الآلاف ولكنه أبلى بلاءً حسناً مع أصحابه في ساحة الحرب وبينما هو يقاتل إذا به يسمع رجلاً من العدو يشتم علياً والزهراء فاطمة فغضب زيد وبكى حتى ابتلت لحيته والتفت إلى من كان معه وقال أما فيكم أحد يغضب لفاطمة بنت محمد؟ وإذا رجل من أصحابه يتطوع للدفاع عن حرمة فاطمة بنت محمد فراح يتحرى ذلك الرجل الذي شتم فاطمة حتى قتله .

واستمر القتال بين الطرفين وكان زيد يقاتل وهو ينشد هذين البيتين :

أذل الحياة وعز الممات	وكلاً أراه طعاماً وكلاً
فأن كان لا بد من واحد	فسيري إلى الموت سيراً جميلاً

وبينما هو يقاتل إذ أصابه سهم في جبهته ونفذ فيها فتراجع هو وأصحابه فادخله أصحابه بيتاً من بيوتهم واستدعوا له طبيباً فقال له: إن نزع السهم من رأسك أخاف عليك الموت فرد عليه زيد قائلاً:

(١) الفتوح ، ج ٨ ، ص ٣٢٠ ، أحمد بن اعثم .

الموت أهون علي مما أقاسيه من الآلام فلما انتزع السهم من جبهته
فاضت روحه الطاهرة ودفن في ساقية واجروا عليه الماء ولكن أحد
الجواسيس كان معهم فراح إلى السلطات واخبرهم فما كان منهم إلا
إن أخرجوه واحتزوا رأسه وبعثوا به إلى طاغية الشام فصلب على
مدخل قصره واما جسده بقي مصلوبا في الكوفة عدة سنوات حتى إذا
ظهر يحيى بن زيد في بالجوزجان كتب الوليد بن يزيد إلى يوسف بن
عمر كتابا جاء فيه: إذا أتاك كتابي فانظر عجل أهل العراق فاحرقه
وانسفه في اليم نسفاً وذري في الفرات، وصدقت في نبوءة جده رسول
الله(ص). حيث قال : يقتل رجل من أهل بيتي ويصلب لا ترى الجنة
عين رأت عورته^(١).

١٤ - ثورة زيد وأثرها في تخليد ثورة الحسين(ع):

لقد ساهمت ثورة زيد في إحياء الحالة الثورية وقد تكون بفضل
هذه الثورة جهاز ثوري دائم على استعداد للمساهمة في كل
عمل ثوري ضد السلطة^(٢).

وان الأمة بحاجة إلى عمل ثوري بين الحسين والآخر لكي لا
تغفل أو تذهب في نوم عميق لذا فإن الله يقيّض بين فترة وأخرى
رجالاً من هذه الأمة تكون إعادة الحياة والروح إليها على أيديهم .

(١) الانتفاضات الشيعية ، ص ٥٠١ ، الحسيني .

(٢) ثورة الحسين ، ص ٢٤٨ ، محمد مهدي شمس الدين .

كما ان المخلصين من أبناء الإسلام وقادته هم على منهج
وخط أحد، (وان هذا طرحي مستقيماً فاتبعوه) يتمم بعضهم حركة
بعض، فالحسين(ع) أسس منهجاً للثورة ورسم خطأاً للتضحية وترك
هذا التراث للثائرين من بعده ليؤصلوه في ضمير الأمة بشكل اعمق
ويبرزوا معاله كالذي يفتح طريقاً في ارض وعرة ولكنه يترك تعبده
وإظهاره بشكله النهائي إلى الآخرين من بعده، فالحسين شق الطريق
والتوابون والمختار وزيد بن علي هؤلاء عبدوا الطريق وأبرزوه
بمعاله الجميلة وبين الحين والآخر يصاب هذا الطريق بتصدع فيقيض
الله له من يصلحه .

ان ثورة زيد أعادت من جديد إلى الأذهان ثورة الحسين(ع)،
وكأنها قالت للعالم ان الحسين خالد انه حي لن يموت، كيف يموت من
كان مع الحق والحق معه؟ كيف يموت من أعطى كل شيء لله؟ كيف
يموت من يطالب بحقه ويواصل نهجه أمثال المختار وزيد بن علي هؤلاء
المخلصون، هؤلاء الصالحون؟ الذين لا غبار على دينهم وأفكارهم
ورؤاهم، وصدق الأستاذ الدكتور احمد الوائلي الذي عبر عن هذه
الحقيقة بقوله :

الجراحات والدم المطلول	أينعت فالزمان منها
ومشت تنشئ الفتوح وبعـ	ض الدم فيما يعطيه فتح

والدم الحر صرخة تنبئ
يا أبا الطف يا نجيعاً إلى الآن
توج الأرض بالفتوح فللرمل
ارجفوا أنك القتل المدمى
كذبوا ليس يقتل المبدأ الحر
كذبوا لن يموت رأي لنور
ويعت الرسول جسماً ولكن

والثائرين هذا السبيل
تهادى على شذاه الرموم
على كل حبة إكليل
أفمن ينشئ الحياة قتيلاً؟
ولا يغلب النهى التضليل
الشمس من بعض نوره تعليل
في رسالات لن يموت الرسول

الْعَامِلُ الْثَالِثُ عَشَرَ

الْمَوْلُ الشَّبْعِيَّةُ

بِحُلَاكِ ثَوْرَةِ الْحَسَنِ (ع)

الدول الشيعية تخلّد ثورة الحسين(ع)

قامت في مناطق العالم الإسلامي أكثر من دولة شيعية، وقد لعبت هذه الدول درواً حضارياً واضحاً كالدولة البويهية والدولة الفاطمية والصفوية، كما إن هذه الدول كان لها اهتمام خاص بقضايا أهل البيت(ع) عامة وقضية الإمام الحسين(ع) خاصة، لذا تعتبر مواقف هذه الدول من العوامل المؤثرة في تخليد قضية الإمام الحسين(ع) ولهذا سأتناول بعض تلك الدول وليس كلها كما سأبين خلاصة عنها وعن أثرها فيما يتعلق بثورة الحسين(ع).

والدول التي نتناولها في بحثنا هي :

- (أ) الدولة الفاطمية .
- (ب) الدولة البويهية .
- (ج) الدولة الحمدانية .
- (د) الدولة الصفوية .
- (و) الجمهورية الإسلامية الإيرانية .

(أ) الدولة الفاطمية :

مؤسس هذه الدولة وأول خلفائها هو عبيد الله بن محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق(ع). بقي الفاطميون في الحكم مدة ٢٧١ سنة وقد شملت دولتهم مناطق واسعة حدودها من المحيط الأطلسي غرباً إلى البحر الأحمر شرقاً وقد فاقت قوتها في بعض الأحيان قوة الدولة العباسية في بغداد .

ويؤكد الشيخ محمد جواد مغنية في كتابه (الشيعة في الميزان) على أن عقيدة الحكام الفاطميين هي الإسماعيلية ويوضح الفرق بين الاثني عشرية والإسماعيلية بما يلي :

(١) الاختلاف في عدد الأئمة وأشخاصهم بعد الإمام جعفر الصادق (ع).
(٢) إغراق الإسماعيلية في تأويل القرآن وسنن النبي (ص) على موافقة أساسهم بما لا يتحملة اللفظ، ولا يشهد عليه شاهد من عقل أو نقل أو إجماع . أما الإثنا عشرية فيتركون بعض الآيات التي يشتبه معناها على العقول كفواتح السور وما إليها يتركونها بدون تأويل ولا يؤولون آية أو حديثاً إلا بشروط وهي :

- أن يتنافى المعنى الظاهر مع ما يقطع به العقل أو يقوم الإجماع على خلافه.
- أن يحمل اللفظ على معنى صحيح.
- أن يتحمل اللفظ المعنى المؤول به.

(٣) إن الدعوة الإسماعيلية تغمرها أمواج من السرية والتخفي حتى التبتت عقيدتها على أكثر الباحثين، أما تعاليم الاثني عشرية فظاهرة لإخفاء فيها ولا غموض .

(٤) استخدام التقية إلى حد تضييع الهوية بشكل تام حتى أنهم يصبحون سنيين مع السنة ومسيحيين مع المسيحية على حد قول مغنية . أما الاثنا عشرية فلا يستعملون التقية إلا في الظروف القاهرة كالخوف على النفس والمال والعرض.

٥) إن الإسماعيلية ينشرون تعاليم عقيدتهم ومبادئ مذهبهم على خطوات ولهم دعاة يتدرجون في مراتب العقيدة من المعلومات البسيطة حتى الوصول بالمستجيب إلى مباحث وأفكار فلسفية عميقة لا يفهمها إلا القليلون، أما الاثنا عشرية فلا مراتب عندهم^(١).

ولكن الإسماعيليين هم من الشيعة يتفقون مع الاثني عشرية في مسألة أحقية أمير المؤمنين (ع) وأهل البيت (ع) بالخلافة، ويتفقون معهم في ستة من الأئمة، وهم: الإمام علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد الباقر وجعفر بن محمد الصادق عليهم السلام.

ثم ينحرفون عن ولده موسى الكاظم إلى ولده إسماعيل، وتستمر الإمامة عندهم في أولاد إسماعيل.

قام الفاطميون بنشر عقائدهم بكل صراحة وألزموا المسلمين بها فبعد بناء الجامع الأزهر في القاهرة واتخاذهم القاهرة عاصمة كان الفكر الشيعي يُدرس في الجامع الأزهر دون سواه، وأضافوا على خطب الجمعة والعيدين (الهم صل على محمد المصطفى وعلى علي المرتضى وفاطمة البتول والحسن والحسين سبطي الرسول)، كما أمروا أن يؤذن في جميع المساجد بـ (حي على خير العمل)، وهكذا بقيت شعائر التشيع عامرة في مصر وباقي البلدان التي كانت تحت نفوذ الفاطميين حتى سقطت تلك الدولة على يد صلاح الدين الأيوبي.

(١) الشيعة في الميزان / ٢٥٠ / محمد جواد مغنية .

وعلى عهد الفاطميين انتشر التشيع في مصر والبلدان الأخرى، لأنه مذهب الدولة الرسمي، ولأنه المذهب الحق فأى مذهب قاداته وأئمة أمثال علي والحسن والحسين وباقي أئمة الهدى سلام الله عليهم ؟
كما ازدهرت مجالس الحسين في ظل الحكام الفاطميين الذين كانوا يشجعون على حضور المجالس ويحضرون بأنفسهم تلك المجالس ويلزمون الجهاز الحكومي بالحضور .

يقول السيد مير علي في كتابه (مختصر تاريخ العرب): وكان من أفخم عمارة القاهرة في عهد الفاطميين (الحسينية) وهي بناء رفيع الأرجاء تقام فيه ذكرى مقتل الحسين في موقعة كربلاء.

ويقول الشهرستاني في (تاريخ النياحة) نقلاً عن الخطط للمقريزي: فكانت مصر في عهدهم -أي الفاطميون- بوقت البيع والشراء تعطّل الأسواق ويجتمع أهل النوح والنشيد ويكونون في الأزقة والأسواق ويأتون إلى مشهد أم كلثوم ونفيسة وهم نائحون باكون .

وأمعن الفاطميون في إحياء هذه الشعائر وما إليها من شعائر الشيعة حتى أصبحت جزءاً من حياة الناس^(١) .

وكان الملوك الفاطميون يشجعون الناس على ذلك حتى إن معز الدولة الفاطمي أمر بإقامة العزاء في خارج البيوت فكانت النساء يخرجن ليلاً في أيامه - المحرم - كما يخرج الرجال فهاراً^(٢) .

(١) تاريخ النياحة / ١١٢ .

(٢) المصدر السابق / ١١٢ .

وكان الحاكم الفاطمي يخرج إلى مجالس الحسين يوم العاشر من المحرم حافي القدمين حاسر الرأس ويجلس على الأرض وهو باكٍ حزين ثم يعود إلى قصره بعد انتهاء المجلس العام فيأمر بإدخال الشعراء والرائيين فينشدون الشعر ويقرأون السيرة المفجعة لمأساة الحسين (ع) حتى إن بعض المؤرخين وصف مصر بأنها كوفة ثانية.

ويقول الأستاذ شمس الدين : وقد كان في مصر الفاطمية في القرن الرابع الهجري فئة من الناس متخصصة في النوح والإنشاد .

ويصور النص التالي ما كان عليه الحال في مصر - ولازال الكلام لشمس الدين - : وفي يوم عاشوراء من سنة ست وتسعين وثلاثة مائة للهجرة جرى الأمر فيه على ما يجري في كل سنة من تعطيل الأسواق وخروج المنشدين إلى جامع القاهرة ونزولهم مجتمعين بالنوح والنشيد^(١) .

ونقرأ في خطط المقرئ هذا النص : كان الفاطميون في يوم عاشوراء ينحرون الابل والبقر ويكثرون النوح والبكاء وما زالوا على ذلك حتى انقرضت دولتهم، واطاف إلى ذلك بروايته عن ابن زولاق في سيرة المعز لدين الله، انه في يوم عاشوراء سنة ٣٦٣ انصرف خلق من الشيعة إلى قري أم كلثوم ونفيسة ومعهم جماعة من فرسان المغاربة ورجالهم بالقيام بالبكاء على الحسين وكسروا أواني السقائين، وفي سنة ٣٩٦ جرى الأمر على ما كان يجري في كل سنة من تعطيل الاسواق وخروج المنشدين إلى جامع القاهرة ونزولهم مجتمعين بالنوح والبكاء والنشيد، واستطرد المقرئ في

(١) ثورة الحسين في الوجدان الشعبي / ٢٦٠ / محمد مهدي شمس الدين .

وصف ما كان عليه حال الفاطميين من مظاهر الحزن حكومة وشعباً في العاشر من المحرم إلى أن قال: إذا كان يوم العاشر احتجب الخليفة عن الناس فإذا ارتفع النهار ركب قاضي القضاة والشهود وقد غيروا زيهم ثم صاروا إلى مشهد الحسين فإذا جلسوا فيه جعلوا ينشدون الشعر في رثاء أهل البيت ولا يزالون على ذلك إلى أن تمضي عليهم ثلاث ساعات، ثم يستدعيهم الخليفة إلى القصر فيدخل قاضي القضاة والداعي ومن معهما إلى باب الذهب فيجدون الدهاليز قد فرشت بالحصر فيجلس القاضي والداعي إلى جانبه وسائر الناس على اختلاف طبقاتهم فيقرأ القرآن ثم ينشد المنشدون ويتقدمون بعد ذلك للمائدة المؤلفة من الاجبان والالبان والعسل وغير ذلك. وبعد الفراغ من الأكل انصرف النواح وطافوا بالقاهرة وقد أغلق البياعون محلاتهم وحوانيتهم ذلك النهار بكامله إلى غير ذلك من المظاهر التي دأبت عليها الدولة الفاطمية في مصر طيلة حكمها^(١).

أقول عندما تقوم دولة عظمى كالدولة الفاطمية بتبني سياسة الترويج لثورة الحسين وتوعية الجمهور على أساس القيم الحسينية فإن هذه الدولة تكون قد ساهمت بحجم كبير في إحياء هذه القضية والأمر لا يحتاج إلى تعليق أكثر .

(ب) الدولة البويهية :

الدولة البويهية من أهم الدول الشيعية التي قامت في التاريخ وامتد حكمها من إيران إلى العراق وبعض مناطق العالم الإسلامي . وملوك هذه الدولة هم أبناء أبي شجاع الذي ينحدر من أصول ملوك الفرس، وكان له

(١) سيرة الائمة الاثني عشر ، ج ٢ / ١٠٧ / هاشم معروف الحسني.

من الأولاد ثلاثة وهم : عماد الدولة أبو الحسن علي، وركن الدولة أبو علي الحسن، ومعز الدولة أبو الحسن أحمد، كان الثلاثة قادة في الجيش وكان أبوهم أدخلهم الجيش جنوداً لفقره ولكن دهائهم وحنكتهم العسكرية أوصلتهم إلى مراتب قيادية في الجيش الإيراني، وصاروا يستميلون الناس بحسن أخلاقهم حتى أسسوا قاعدة عسكرية ومدنية واسعة في شيراز، مكنتهم من إعلان التمرد على الحاكم حتى سيطروا على شيراز. قال ابن الأثير: استولى عماد الدولة على شيراز ونادى في الناس الأمان وبث العدل^(١).

إن هذه الأسرة قامت بخدمات جليلة للإسلام بشكل عام ولخط أهل البيت بشكل خاص لاسيما قضية الإمام الحسين (ع)^(٢).

لقد أطنب ابن الأثير في الكامل على مآثر عضد الدولة وما قام به من خدمات نحو الحرمين الشريفين في مكة والمدينة وأما خدماته في كربلاء والنجف فهي عظيمة ولا زالت بعض الآثار باقية إلى اليوم .

وقال في تراث كربلاء : وفي عام ٣٧١ هـ شيد عضد الدولة البويهية قبة ذات أروقة وضريح من العاج وعمر حولها بيوتاً وأحاط المدينة بسور، وعضد الدولة هذا هو الذي أمر بإعادة مشهد الحسين بن علي (ع) بعد أن كان المتوكل قد أمر عام ٢٣٦ هـ بهدم قبره وهدم ما حوله من المنازل وبأن يحرق ويذرق ويسقى^(٣).

(١) الكامل في التاريخ ج ٨ / ٢٧٦ / ابن الأثير .

(٢) أصبح آل بويه حكام العراق الفعليين، أما الحاكم العباسي فلم يكن يمثل إلا الشكل .

(٣) تراث كربلاء / ٣٦ / سلمان هادي الطعمة .

وقال الأمين في أعيان الشيعة وتقدمت كربلاء على عهد البويهيين الديلمة تقدماً ملموساً وازدهرت ازدهاراً واسعاً وتقدمت معالمها الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية فامتدت تجارتها وأخضلت زراعتها وأينعت علومها وآدابها فدبت في جسمها روح الحياة والنشاط^(١).

إن معز الدولة البويهى هو أول من أدخل عادة إحياء الذكرى المؤلمة للحوادث التي وقعت في محرم وعين فترة الحداد فكانت بموجبها تغلق الأسواق ويعطل القصابون أعمالهم ويتوقف الطباخون عن الطبخ وتفرغ الأحواض والصهاريج بما فيها من الماء.

وكانت تقرأ في ذلك اليوم المراثي والمناجات وإن عادة إعلان الحداد العام خلال العشرة الأولى من المحرم كانت اعظم ابتداء ابتدعه معز الدولة، وكان قد أصدر مرسوماً حثّم على الناس إحياء الذكرى السنوية لمقتل الحسين حتى وصفه علمائنا بقولهم: وكان معز الدولة متصلباً في التشيع أمر الناس بإقامة المآتم للحسين الشهيد(ع) في العشرة الأوائل من المحرم واستمرت عليها الشيعة من ذلك الحين.

وكان معز الدولة مع وزرائه وأعيان دولته يزور الإمامين الكاظمين في كل خميس وكان يبيت معهم ليلة الجمعة في بيت فخم أعده حول المشهد ثم يرتحل نهار الجمعة بعد تجديد الزيارة إلى محل الحكم.

أما جلال الدولة فقد زار مشهد الإمام علي والإمام الحسين عليهما السلام، وكان يتحفى قبل أن يصل إلى مشهد كل منهما بفرسخ يفعل ذلك تديناً.

(١) تراث كربلاء / ٣٧.

وقد ذكر انه لما مات عضد الدولة أوصى أن يدفن في جوار أمير المؤمنين(ع) فدفن وكتب على قبره: هذا قبر عضد الدولة وتاج الملة أبي شجاع بن ركن الدولة احب مجاورة هذا الإمام المعصوم لطمعه في الخلاص (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها) وصلاته على محمد وعترته الطاهرة^(١). ويقول الشيخ شمس الدين: ما أن مضى على سلطاهم -أي البويهيون- عقدان من السنين حتى جعلوا من المآثم الحسيني شأناً من شؤون الدولة^(٢). وقال ابن الأثير في أحداث سنة ٣٥٢: في هذه السنة أمرت الدولة الناس إن يغلقوا دكاكينهم في العاشر من محرم ويعطلوا الأسواق والبيع والشراء ويظهروا النياحة على الحسين ففعل الناس ولم يكن للجنة قدرة على المنع لكثرة الشيعة ولأن السلطان منهم^(٣).

هذه هي مآثر آل بويه ومانسيه أو تناساه التأريخ أكثر من هذا بكثير لان دولة حكمت مائة و ست وعشرين سنة، تلك البلاد العريضة لا شك إن مشروعها -إحياء خط أهل البيت- كان أوسع بكثير مما نقله المؤرخون لنا إلا إن عادة المؤرخين يخفون أكثر الحقائق المتعلقة بأهل البيت وشيعتهم ومما ينبغي أن نعلمه إن الدولة البويهية قد تحددت الدولة المركزية ودويلات صغيرة كانت منتشرة في أرجاء الوطن الإسلامي كما إنها واجهت التيار الشعبي الذي عبى طوال تلك الفترة ضد أهل البيت(ع) وشيعتهم، وعليه

(١) راجع كتاب الشيعة في الميزان /محمد جواد مغنية ، وكتاب تراث كربلاء/سلمان هادي الطعمة ، وكتاب تاريخ النياحة /محمد صالح الشهرستاني .

(٢) ثورة الحسين في الوجدان الشعبي ٢٦٢ .

(٣) الكامل في التاريخ ج ٨ / ٥٤٩ / ابن الاثير .

فإذا تأملنا في هذه المسائل نعرف أهمية هذه الدول الشيعية التي قامت هنا وهناك في أزمنة مختلفة فأن من سنن الله في المجتمع إن تقوم مثل هذه الدول لتعمر واقع الشيعة الذي أحدث فيه الأعداء الخراب والدمار. إن دولة آل بويه قامت في مثل هذه الظروف التي يحدثنا عنها التاريخ بأن: الناس إذ ذاك يلقون جهداً جهيداً من الحنابلة إذا أرادوا الخروج إلى الحائر^(١). وفي نقل آخر: كان ببغداد نائحة مجيدة حاذقة تعرف بخلب تنوح بقصيدة الناشئ فسمعتها في دور بعض الرؤساء لأن الناس إذ ذاك كانوا لا يتمكنون من النياحة إلا بعز سلطان أو سراً لأجل الحنابلة^(٢).

في هذه الظروف العصيبة التي مرت بها شيعة آل محمد(ص) قامت دولة آل بويه في إيران والعراق فكانت اعظم سند لهم وساعدتهم على تثبيت وجودهم من خلال الحرية التي عاشوها في ظل دولة آل بويه، وبسبب مشروعهم الذي سعوا من خلاله لإحياء التشيع وقضية الحسين(ع)، لذا كانت تلك الدولة ضرورة من الضرورات التي لا بد أن تكون لما يترتب عليها من نتائج.

(ج) الدولة الحمدانية:

الدولة الحمدانية التي قامت في سوريا وجزيرة ابن عمر، أي إنها شملت جزءاً من العراق إلى جانب سوريا وكانت عاصمتها حلب، والحمدانيون سمووا بهذا الاسم نسبة إلى جدهم حمدان جد سيف الدولة، ينتسب آل حمدان

(١) اعيان الشيعة ج ١٧ / ٣٢٠ محسن الامين .

(٢) ثورة الحسين في الوجدان الشعبي ٢٦٣.

إلى قبيلة تغلب واهم زعماء هذه الدولة سيف الدولة القائد الإسلامي العظيم الذي غزا الروم أربعين مرة وكان يجمع الغبار الذي يجتمع على ملابس الحرب حتى تكونت منه لبنة فأوصى بها أن تدفن معه وتجعل تحت خده فنفذت وصيته^(١) .

كانت الدولة الحمدانية طوال الفترة التي قامت بها^(٢) تعمل على نشر التشيع وان لم تصل إلينا وثائق تاريخية كثيرة عن تلك الفترة ، إلا إن الباحث قد يجد من الوثائق ما يشير إلى الأعمال التي قام بها الحمدانيون ، فمن أعمالهم : إن سيف الدولة ضرب في سنة (٣٥٤) دنانير كتب عليها (لا إله إلا الله محمد رسول الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فاطمة الزهراء الحسن والحسين وجبرئيل عليهم السلام)^(٣) .

وقد وفد على سيف الدولة في حلب جماعة من العلماء الشيعة منهم الشريف أبو إبراهيم جد بني زهرة الأسرة العلمية المعروفة .

ويقول الشيخ محمد حسين المظفري : ارتفع شأن التشيع في سوريا وانتشق الهواء الطلق بعد أن حبسه عنهم أرباب السلطات المتعاقبة وبعد أن طال عليهم الانقباع بين جدران التقية ، فكان بقاع سوريا أيام الحمدانيين مكتظة بالشيعة وكان المؤذن يؤذن بحمي على خير العمل في جميع المساجد ، وفي ظل الحمدانيين ازدهر التشيع ، لاشك أن الحركة الحسينية قد تطورت

(١) الشيعة في الميزان .

(٢) الفترة التي حكم بها الحمدانيون كانت ٥٩ سنة .

(٣) الشيعة في الميزان / راجع فصل الدولة الحمدانية .

وكانت المآتم الحسينية تقام بكل حرية ، ويؤكد النص التالي حالة المجالس الحسينية في تلك الفترة ، ذكر المؤرخ محمد علي كرد في (خطط في الشام) ما نصه: ويجتمع الشيعة في أيام عاشوراء فتيقن المآتم على الحسين بن علي شهيد كربلاء وعهدهم بذلك بعيد يتصل بعصر الفاجعة والظاهر من سيرة ديك الجن الحمصي في كتاب (الأغاني) : إن هذه الاجتماعات للمآتم كانت معروفة في زمانه^(١) .

ومن الدلائل على ازدهار التشيع والقضية الحسينية إبان دولة الحمدانيين إن أبا فراس الحمداني أحد أبرز أمراءهم كان من الشعراء البارزين في الثورة الحسينية وقد اعتبره الشيخ شمس الدين من الشعراء الذين كان لهم منهج خاص في تناول الثورة الحسينية .

وكانت له قصائد كثيرة في مدح أهل البيت (ع) وورثائهم ، أكد فيها على عقيدته بصورة واضحة ، ولعل أهم قصائده (الشافية) التي سأنقلها نصاً بعد قليل، وإليك بعض أشعاره في أهل البيت (ع) .

ومن قصيدة له في مدح أهل البيت (ع) افصح فيها عن ولائه لهم (ع) وفيها يقول:

شافعي احمد النبي ومولا	ي علي والبنت والسبطان
وعلي وباقر العلم والصا	دق ثم الأمين ذو التبيان
وعلي والخيران علي	وأبوه والعسكري الداني
والإمام المهدي في يوم لا	ينفع الاغفران ذي الغفران ^(٢)

(١) ثورة الحسين في الوجدان الشعبي ٢٦٢ .

(٢) أعيان الشيعة ، ج ١٨ ، ص ٥٦ . محسن الأمين .

ومن قصيدة له في رثاء الإمام الحسين (ع) :

وأحترز رأساً طالماً في	ادته كفّاً جده ويده
يوم عليه تغيرت شمس	وبكت دمّاً مما رآته سماه
لا عذر فيه لمهجة لم تنفطر	أو ذي بكاء لم تفض عيناه
تباً لقوم تابَعوا أهواءهم	في ما يسوؤهم غداً عقباه
أتراهم لم يسمعوا ما	منه النبي من المقال أباه
إذ قال يوم غدیر خم معلناً	من كنت مولاه فذا مولاه

إلى أن يقول :

اظننتم أن تقتلوا أولاده	ويظلكم يوم المعاد لواه
أو تشربوا من حوضه يمينه	كأساً وقد شرب الحسين دماه ^(١)

فبعد استعراض مقطوعتين من شعر أبي فراس نعود إلى أهم مقطوعة في شعره، التي تناول فيها بعض القضايا العقائدية وفضائل أهل البيت (ع) ومثالب أعدائهم وبين من خلالها علاقته مع آل الرسول (ص).

إليك قصيدته الشافية كما رواها أبو جعفر محمد بن أمير الحاج

الحسيني - شارح الشافية - .

والشافية نظمها ردّاً على قصيدة لأبن سكرة العباسي التي يقول فيها :

بني علي دعوا مقاتلكم	لا ينقص الدر وضع من وضعه
----------------------	--------------------------

(١) المصدر السابق ، ص ٦١ .

فرد عليه أبو فراس بهذه القصيدة -التي عرفت فيما بعد بالشافية-،
وعند إلقائها في بغداد أمر- إن تشهر خمسمائة سيف بالعسكر- في زمان
كان فيه بنوا العباس الخلفاء وآل بويه السلاطين وآل حمدان الأمراء، فقال
أمام ذلك الحشد :

وفى آل رسول الله مقتسم
سوم الرعاع ولا شاء ولا نعم
قلب تصارع فيه الهمة والهمم
الاعلى ظفر في طيه كرم
والدرع والرمح والصمصامة الخنم
رمث الجزيرة والخدراف والغنم
يوما ورأيهم رأي إذا عزموا
من الطغاة اما للدين منتقم
والأمر تملكه النسوان والخدم
عند الورود واوفى وردهم لم
والمال الاعلى أربابه ديم
ولا الشقي بها إلا الذي ظلموا
وان تعجل فيها الظالم الإثم
بنو علي مواليتهم وان أرغموا
حتى كأن رسول الله جدكم
ولا تساوت بكم في موطن قدم
ولا لجدكم معشار جدهم
ولا نثيانتكم من أمهم أمم

الدين مخترم والحق مهتضم
والناس عندك لانس فيحفظهم
اني أبيت قليل النوم ارقني
وعزمة لا ينام الليل صاحبها
يصان مهري لا مر لا أبوح به
وكل مائة الضبعين مسرحها
وفتية قلبهم قلب إذا ركبوا
يا للرجال اما لله منتصر
بنو علي رعايا في ديارهم
محلاون فأصفي شرهم وشل
فالأرض إلا على ملاكها سعة
وما السعيد بها إلا الذي ظلموا
للمتقين من الدنيا عواقبها
لا يطغين بني العباس ملكهم
أتفخرون عليهم لا أبأ لكم
ولا توازن يوما بينكم شرف
ولا لكم مثلهم في المجد متصل
ولا لعرقكم من عرقهم شبه

قام النبي بها يوم الغدير لهم
حتى إذا أصبحت في غير صاحبها
وصيرت بينهم شورى كأنهم
تالله ما جهل الأقوام موضعها
ثم ادعاهما بنو العباس ارثهم
لا يذكرون إذا ما معشر ذكروا
ولا رآهم أبو بكر وصاحبه
فهل هم مدعوها غير واجبة
أينكر الخبر عبد الله نعمته
بئس الجزاء جزيتهم في بني حسن
لا بيعة ردعتكم عن دمائهم
هلا صفحتم عن الأسرى بلا سبب
هلا كفتم عن اللجاج سوطكم
ما نزهت لرسول الله مهجته
ما نال منهم بنو حرب وإن عظمت
كم غلرة لكم في الدين واضحة
أنتم آله فيما ترون وفي
هيهات لا قربت قربي ولا نسب
كانت مودة سلمان لهم رحماً
يا جاهدا في مساويهم يكتمها
ذاق الزبيري غب الحنث وانكشفت
بأؤوا بقتل الرضا من بعد بيعته

والله يشهد والأملأك والأمم
باتت تنازعها الذؤبان والرخم
لا يعلمون ولالة الأمر أيهم
لكنهم ستروا وجه الذي علموا
وما لهم قَدَمٌ فيها ولا قَدَمٌ
ولا يحكم في أمرهم حكم
أهلاً لما طلبوا منها ومازعموا
أم هل أئمتهم في أخذها ظلموا
أبوكم أم عبيد الله أم قثم
أباهم العلم الهادي وأمهم
ولا يمين ولا قربي ولا ذمم
للصافحين بيد عن أسيركم
وعن بنات رسول الله شتمكم
عن السياط فهلا نُزّه الحرم
تلك الجرائم الادون نيلكم
وكم دم لرسول الله عندكم
أظفاركم من بنيه الطاهرين دم
يوماً إذا أقصت الأخلاق والشيم
ولم تكن بين نوح وابنه رحم
غدر الرشيد بيحيى كيف ينكتهم
عن ابن فاطمة الأقوال والتهم
وابصروا بعض يوم رشلهم وعموا

يا عصابة شقيت من بعدما سعدت
لبئس ما لقيت منهم وان بليت
لا عن أبي مسلم في نصحه صفحوا
ولا الأمان لازد الموصل اعتمدوا
ابلغ لديك بني العباس مألكة
أي المفاخر أضحت في دياركم
وهل يزيدكم في مفخر علم
خلوا الفخار لعلامين إن سئلوا
يا باعة الخمر كفوا عن مفاخركم
لا يغضبون لغير الله إن غضبوا
تنشى التلاوة في أبياتهم سحرًا
منكم عليه أم منهم وكان لكم
أم من تشاد له الألحان سائرة
إذا تلوا سورة غنى خطيبكم
ما في ديارهم للخمر معتصر
ولا تبیت لهم خنشى تنادمهم
الحجر والبيت والأستار مترهم
وليس من قسم في الذكر نعرفه
صلى الإله عليهم كلما سجعت

ومعشرًا هلكوا من بعد ما سلموا
بجانب الطف تلك الأعظم الرمم
ولا الهبيري نجى الحلف والقسم
فيه الوفاء ولا عن عمهم حلموا
لا تدعوا ملكها ملاكها العجم
وغيركم أمر فيها ومحنتكم
وفي الخلاف عليكم يخفق العلم
يوم الفخار وعمالين إن علموا
لمعشر بيعهم يوم الهياج دم
ولا يضيعون حكم الله إن حكموا
وفي بيوتكم الأوتار والنغم
شيخ المغنين إبراهيم أم لهم
عليهم ذو المعالي أم عليكم
قف بالديار التي لم يعفها القدم
ولا بيوتهم للسوء معتصم
ولا يرى لهم قرد له حشم
وزمزم والصفاء والركن والحرم
ألا وهم دون شك ذلك القسم
ورق فهم للورى كهف ومعصم^(١)

حقاً إنها شافية، شافية في رد الباطل وإحقاق الحق، ومن خلالها نستطيع
فهم المستوى الذي وصل إليه التشيع في ظل الدولة الحمدانية .

(١) شرح شافية أبي فراس ، ص ٤٧ ، الطبعة الجديدة - تحقيق صفاء الدين البصري .

(د) الدولة الصفوية

الصفويون سادة من سلالة الإمام موسى الكاظم (ع)، وأول سلاطينهم ومؤسس دولتهم هو الشاه إسماعيل. ويرجع كثير من الباحثين الفضل إليه في توحيد إيران التي كانت تتوزع الزعامة فيها عدة أطراف، وفي سنة ٩١٤ هـ أصبحت بغداد بشكل كامل تحت نفوذه .

استمرت الدولة الصفوية في الحكم من سنة ٩٠٥ هـ إلى سنة ١١٤٨ هـ، وفي هذه الفترة الطويلة ازدهر التشيع أيما ازدهار، وأصبح المذهب الرسمي للبلاد، وبعدها كانت إيران تخضع مذهبياً لأكثر من مذهب، فقد قام الصفويون بإعلان المذهب الشيعي مذهباً رسمياً للدولة وأمر الحكام الصفويون بإحياء التراث الشيعي فقد دعوا العلماء إلى البحث في بعض المواضيع ودعوا إلى شرح الكتب كأصول الكافي وقد تعاون معهم كبار العلماء أمثال الشيخ الكركي صاحب كتاب جامع المقاصد، كما قاموا بزيارات إلى العتبات المقدسة في النجف وكربلاء وخراسان، ففي السنة التي سقطت بها بغداد بيد الشاه إسماعيل قام بزيارة كربلاء، فأمر بتذهيب حواشي الضريح الحسيني وأهدى اثني عشرة قنديلا من الذهب، كما أهدى الشاه نفسه شبكة فضية أي صندوقاً بديع الصنع للحائتر المقدس وفرش رواق الحضرة بأنواع المفروشات القيمة واعتكف هناك ليلة ثم رجع في اليوم التالي متوجهاً إلى الحلة ومنها إلى النجف وقد بذل الشاه صفى الدين الصفوي الكثير من الأموال لأجل تعمير الروضة الحسينية خلال عام ١٠٤٢ هـ ووسع المسجد الكبير الملحق بالحائتر الحسيني^(١).

(١) تراث كربلاء ٤٣ / سلمان هادي طعمة .

وتواصلت التعميرات والإضافات والهدايا الصفوية لمرقد الإمام الحسين(ع) وبقية الأئمة الأطهار سلام الله عليهم .

واما الشاه عباس فهو الذي قام ببناء الحضرة العلوية في النجف بهندسة الشيخ البهائي وقد أودع في خزائن أمير المؤمنين(ع) وحفيده الرضا(ع) التحف الثمينة، وصنع شيئاً لم يصنعه أحد من الحكام قبله ولا بعده فقد مشى على قدميه من عاصمته أصفان إلى مرقد الإمام الرضا في خراسان لمسافة تزيد على ألف ومائتي كيلومتر، وكان برفقته السيد ميرداماد والشيخ البهائي، وفي زمان هذا الحاكم قويت حركة التأليف في الفقه والأصول والحديث والأخلاق وغيرها، واما الشعائر الحسينية في زمن الصفويين قد ازدهرت اشد الازدهار حتى قال البعض إن هذه الشعائر اصلها من أيام الصفويين وهو خطأ ولكن هذا الكلام إن دلّ على شيء فإنما يدل على ازدهار الحركة الحسينية في ظل الدولة الصفوية .

ويقول الشيخ شمس الدين : وهو يتحدث عن الدور الثاني من أدوار المآتم الحسيني: والمحيط الوحيد الذي ازدهر في هذا الدور هو إيران بعد استيلاء الصفويين على الحكم فقد انتعش التشيع في إيران وازدهرت نشاطاته في كل مجال وعلى رأسها مؤسسة المآتم الحسيني التي ازدهرت في ظل الحكم الصفوي في هذا الدور غدا اللطم عنصرا اصليا في بعض المآتم الحسينية في العراق وإيران وكان هذا اللطم من العادات التي ادخلها البويهيون على المآتم الحسيني .

إذن كانت الدولة الصفوية بما فيها من سلبيات إلا إن إيجابية واحدة منها وهي نشر التشيع وحفظه تجعلنا نقف أمامها رافعين يد الاحترام والامتنان لما قدمته من عطاءات كبيرة على مستوى الإسلام والتشيع والحسين، فالدولة الصفوية دولة شيعية، كان حكامها يأتون بعلماء الدين في صلواتهم ومنهم يأخذون معالم دينهم، نعم الحاكم يبقى حاكماً في بعض تصرفاته فلا تنسينا التصرفات السلبية إيجابياتهم وعطاياهم العظيمة.

لقد حولوا إيران التي كانت على خط غير خط أهل البيت قبلهم، حولوها إلى اتباع متفانين في خدمة آل محمد، يبذلون أموالهم وأنفسهم في سبيل نصره قضايا الإسلام المتمثل بآل محمد (ص).

(و) الجمهورية الإسلامية الإيرانية:

وهي الدولة الإسلامية المعاصرة التي انتصرت في عام ١٩٧٩ بقيادة أحد أبرز مراجع التقليد الشيعي، انه آية الله العظمى الإمام روح الله الموسوي الخميني (قدس سره الشريف).

انتصر هذا العالم الجليل بقوة الإيمان وإرادة شعبه المؤمن على جبار متعطرس وظالم اهلك الحرث والنسل.

إن لثورة الإمام الخميني تأثيراً واضحاً على كل شعوب العالم الإسلامي شيعيها وسنيها، فهي الحدث الأهم في القرن العشرين، إنها ولادة قوة إسلامية عالمية.

وفي ظل قيادة الإمام الخميني والسيد الخامني أصبح التشيع موضع احترام المسلمين، وان هناك حركة قوية نحو تقبل خط أهل البيت (ع)

والكتب التي تصدر كل يوم عن مفكرين فهموا التشيع فأمنوا به كخط عقائدي وسياسي لهم ، توضح مدى انتشار التشيع في العالم ، لان بعض أبناء المسلمين يقارن بين المواقف الرافضة للظلم من قبل علماء الشيعة وسكوت الكثير من العلماء من إخواننا السنة فينتهي إلى إن السبب هو الفكر، فالفكر الشيعي يقوم على نبذ الظلم ومقارعة الحاكم الظالم ، بينما يؤكد الفكر الآخر على حصانة الحاكم حتى لو كان ظالماً بحجة إن الخروج عليه يؤدي إلى مفسدة اكبر من السكوت على ظلمه ، وعندهم ينحصر دور العلماء في حالة انحراف الحاكم بالذهاب إلى المساجد والدعاء له بالهداية !!

إن الفكر الشيعي ينطلق في هذا المجال من فكر الرسول(ص) وأهل بيته (من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ناكثاً لعهده فلم يغبر عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله).

ومن اجل التعريف بفكر أهل البيت -الحق- أسست الجمهورية الإسلامية الجامعات والمعاهد والمراكز العلمية التي تُعنى بتدريس ونشر فكر أهل البيت(ع) للعالم اجمع. وأما على صعيد القضية الحسينية فأن الجمهورية الإسلامية أولت هذه المسألة أهمية قصوى لإيمان قائدها بأن الثورة لم تكن لولا الحسين(ع)، قال الإمام الخميني : كل ما لدينا من عاشوراء .

وسأنقل للقارئ العزيز مجموعة من كلمات هذا الرجل العظيم طبعت في كتاب بعنوان (نهضة عاشوراء) ضمت كل ما قاله في الإمام الحسين(ع).

في حديث مع علماء الدين قال (ره): إن الذي صان الإسلام وأبقاه حياً حتى وصل إلينا نحن المجتمعين هنا هو الإمام الحسين(ع) الذي ضحى بكل ما

يملك وقدم الغالي والنفيس وضحى بالشباب والأصحاب من أهله وأنصاره في سبيل الله عز وجل ونهض من اجل رفعة الإسلام ومعارضة الظلم... ونحن السائرون على نهجه والمقتفون لأثاره المقيمون لمجالس العزاء التي امرنا بها الإمام جعفر الصادق (ع) وأئمة الهدى إنما نكرر عين ما كان ونقول ما كان يقوله الإمام ويروم تحقيقه، إلا وهو مكافحة الظلم والظالمين... لقد حفظت هذه المآتم شعبنا وصانته ولم يكن عبثاً إن ضيق جلاوزة رضا خان على إقامة هذه المجالس^(١).

وكان رحمه الله يقيم مجالس العزاء الحسيني في أيام المحرم فتقل عبر التلفزيون ويظهر ابن العقد التاسع بهيبته ووقاره وهو يبكي جده الحسين بكاءً العارف بحقه وولايته. وكان يؤكد على ضرورة إحياء المجالس، بقوله: فقد ظهرت الآن فئة تقول لترك المجالس وقراءة المراثي، انهم يجهلون أبعاد ومراثي المجالس الحسينية ولا يعلمون إن ثورتنا هي امتداد لنهضة الحسين (ع) وإنها تتبع لتلك النهضة وشعاع من أشعتها، انهم لا يعون إن البكاء على الحسين يعني إحياء لنهضته.

إن هؤلاء الذين يطالبوننا بالكف عن المآتم والمجالس الحسينية لا يعلمون إن هؤلاء المقيمين لهذه الشعائر إنما يقدمون لهذا البلد وللإسلام أسمى الخدمات .

(١) نهضة عاشوراء / ٧/ وما بعدها الإمام الخميني .

ولولا نهضة الحسين(ع) تلك ، لتمكن يزيد واتباعه من عرض الإسلام مقلوباً للناس فهم لم يكونوا يؤمنون بالإسلام منذ البداية وكانوا يكون الحسد والحقد لأولياء الإسلام^(١) .

لقد قامت الجمهورية الإسلامية بتشجيع الرجال والشباب والنساء لإحياء قضية الحسين ومنحت عطلاً رسمية في يومي تاسوعاء وعاشوراء، وكذلك يوم الأربعين ويوم ولادة الإمام الحسين(ع)، ودعت المسلمين إلى الأخذ من الدروس الحسينية ، كما شُيّدت مئات الحسينيات بتشجيع منها، وطبعت مئات الكتب الحسينية في ظل سياستها الداعية إلى إحياء قيم النهضة الحسينية. والذي يود معرفة الواقع الذي تعيشه النهضة الحسينية في ظل الجمهورية الإسلامية ، فليكلف نفسه عناء الحضور في أيام المحرم ليرى ماذا يحدث في هذا البلد المسلم من ملاحم لإحياء نهضة الحسين . كما إن تأثير الثورة الإسلامية على شعوب العالم دفعت ببعض الشعوب أن تقتدي بطريقة الإحياء للنهضة الحسينية في بلدانها على غرار ما هو موجود في الجمهورية الإسلامية .

نعم إن الدول الشيعة قامت عبر التاريخ ومارست مسؤوليتها تجاه نهضة الحسين حتى أصبحت جزءاً من سياستها الداخلية وجزءاً من مشروعها الحضاري. وعليه نقول (اللهم ارحم من مضى من إخواننا من خدّمة القضية الحسينية، واحفظ من بقي منهم ووفقهم لمزيد من العمل، لصالح الأهداف الحسينية) .

(١) راجع نهضة عاشوراء .

العامل الرابع عشر

المفتر الحسيني

بجاء ثورة الحسين (ع)

المنبر الحسيني يخلد ثورة الحسين (ع)

ليس المراد بالمنبر الحسيني هو الخشب الذي هُندس بطريقة معينة إنما المقصود به ما يطرح من أفكار وأحاديث ومفاهيم إسلامية وفضائل قادة المسلمين والبحث في مشاكل المسلمين والسعي إلى إيجاد حل لها هذا هو المنبر الحسيني ، والمنبر الحسيني مؤسسة حضارية تعنى بهذه القضايا كلها مع إضافة البحث المفصل في سيرة أهل البيت عامة والحسين خاصة، وعادة يختم هذا المنبر بذكر جانب من مصيبة الحسين أو أهل البيت (ع) .

تأريخ المنبر :

يعتبر الإمام زين العابدين مؤسس هذا المنبر وأول من اعتلى الأعواد وتكلم بكلام نال استحسان الحاضرين بل تعجبوا من منطقته الفياض وذلك في مجلس يزيد في عام ٦١ للهجرة، أي بعد شهادة الإمام الحسين (ع) بعدة أيام وكانت خطبته في ذلك المجلس هي الخطبة التأسيسية لمنبر الحسين واليكم نص تلك الخطبة : «الحمد لله الذي لا بداية له والدائم الذي لا انقضاء له والأول الذي لا أولية له والآخر الذي لا أخيرة له والباقي بعد فناء الخلق قدر الليالي والأيام وقسم فيما بينهم الأقسام فتبارك الله الملك العلام.. إلى أن قال: أيها الناس أعطينا ستا وفضلنا بسبع أعطينا العلم والحلم والسماحة والفصاحة والشجاعة والمحبة في قلوب المؤمنين وفضلنا بأن منّا النبي والصديق والطيار وأسد الله وأسد رسوله وسبطا هذه الأئمة، أيها الناس

من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي، أيها الناس انا بن مكة ومنى انا ابن زمزم والصفاء انا ابن من حمل الركن بأطراف الرداء.. انا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى انا ابن من ضرب بين يدي رسول الله ببدر وحنين ولم يكفر بأية طرفة عين انا ابن صالح المؤمنين ووارث النبيين ويعسوب المسلمين ونور المجاهدين وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين. ذاك أبو السبطين الحسن والحسين علي بن أبي طالب انا ابن فاطمة الزهراء وسيدة النساء وابن خديجة الكبرى انا ابن المرملة بالدماء انا ابن ذبيح كربلاء انا ابن من بكى عليه الجن في الظلماء وناحت عليه الطير في الهواء. فلما بلغ إلى هذا الموضع ضج الناس بالبكاء وخشي يزيد الفتنة فأمر المؤذن أن يؤذن للصلاة^(١) ..

لقد جمع الإمام في هذا المنبر كل العناصر الأساسية للمنبر الحسيني فقد ركز في بداية خطبته على مسألة التوحيد والمسائل العقائدية الأخرى والمنبر ينبغي أن يكون هكذا ، إن يجعل من أولوياته طرح المسائل العقائدية لان العقائد تشوه بين الحين والآخر بسبب تطفل بعض الجهال من أدعياء العلم، وطالما طالبنا الحوزة العلمية بتشكيل لجنة علمائية لكتابة العقائد لان صورة العقائد مشوهه بسبب الاختلاف الشديد إذ ليس هناك كتاب عقائدي متفق عليه^(٢) .

(١) مقتل الحسين ٣٥٢/٣٥٣ ، عبد الرزاق المكرم .

(٢) الاختلاف في العقائد موجود في المدرسة الشيعية كما هو موجود في المدرسة السنية الى حد التكفير عندهم -السنة- لماذا هذا الاختلاف؟ الا يمكن توحيد العقائد ولو بين ابناء الطائفة الواحدة فعند الشيعة مثلاً يتفقون على عصمة الأئمة ويختلفون في التفاصيل ويتفقون في الشفاعة ويختلفون في مقدارها ونوعها وهكذا

والعنصر الثاني في خطبة الإمام (ع) هو التأكيد على دور أهل البيت في الحياة الإسلامية والإشارة إلى مزاياهم التي تجعل المسلم يقطع بكفاءتهم دون غيرهم وهذه المسألة غاية في الأهمية في حياة الفرد المسلم لأن المسلم إذا شخص القيادة الكفوّة وسار خلفها أحرز سعادته في دنياه وآخرته، وإن من أسباب انحطاط المسلمين هو اتباعهم لقيادات ليست كفوّة، وأهل البيت (ع) هم القيادات الربانية التي لا مثيل لها في الدنيا ولهذا قال النبي (ص) (مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق) ^(١).

يقول الإمام شرف الدين : وإن تعلم إن المراد من تشبيههم (ع) بسفينة نوح، إن من لجأ إليهم في الدين فأخذ فروعه وأصوله عن أئمتهم نجاة من عذاب النار ومن تخلف عنهم كمن آوى يوم الطوفان إلى جبل ليعصمه من أمر الله غير إن ذاك غرق في الماء وهذا في الحميم والعياذ بالله ^(٢).

والمسألة الثالثة التي أكد عليها الإمام علي بن الحسين عليهما السلام هي مظلومية أبيه الشهيد بكر بلاء حتى أنه أبكى كل من حضر .
إذن أشار (ع) إلى أهم العناصر في المنبر الحسيني .

المنبر الحسيني في أدواره :

بدأ المنبر الحسيني بتلك البداية الموفقة على يد الإمام السجاد (ع) إلا أنه أصيب بحالة من التراجع والتدني حتى وصل إلى ما يساوي قراءة الشعر والسيرة المفجعة لآل محمد (ص) فقط، ولم يعد المنبر يتناول القضايا الحساسة

(١) حياة الإمام الحسين ج ٨١/نقلا عن مجمع الزوائد ج ٩/١٦٨.

(٢) حياة الإمام الحسين ج ٨٢/نقلا عن المراجعات للسيد شرف الدين .

والمشاكل التي تعصف بالمجتمع الإسلامي، واستمر حال المنبر على ما هو عليه إلى ما قبل مائة وعشرين سنة تقريباً إلى أيام الخطيب الشيخ كاظم سبتي الخطيب العالم الذي رفع من مستوى المنبر نحو الرقي ، ولعل الأسباب تعود إلى :-

(١) معاقبة الحكام الصارمة لمن يتناول مثل هذه القضايا الخطيرة فأهم منعوا حتى الشعر ومطلق الرثاء أهل البيت (ع) واعتبروا ذلك جريمة لا تغتفر لذا كان بعض الشعراء لا يجراً على نظم الشعر في الحسين (ع) وإذا نظم شعراً ينسبه إلى الجن أو إلى هاتف.

(٢) عدم تبني المنبر كوسيلة من وسائل التوعية من قبل العلماء والفقهاء خوفاً من قهمة (الروزخونية) التي قد تسقط العالم، فإنه إلى يومنا هذا تعاني الأوساط الحوزوية من هذه الأفكار الخاطئة لذا لم نعهد مراجعنا العظام قاموا بارتقاء المنبر وهزوا الدنيا بخطب تلهب الحماس في النفوس .

وكم كان بودي أن تستفيد الأمة من الأفكار النيرة لفقهاءنا العظام لو ارتقوا المنابر، لماذا يقنع المرجع الديني من نفسه بإقامة المآتم الحسيني وحضوره فقط؟، وأما الذي يرقى المنبر في مجالس العزاء فهو في اغلب الأحيان شخص أمي لا يعرف ألف باء الإسلام، نعم له صوت جهوري وإذا صادف إن صعد المنبر خطيب مثقف تأتية وصية من حاشية المرجع أن يكتفي بقراءة المصيبة أو التعرض لشيء من فضائل أهل البيت (ع) فقط، لذا تعتبر المجالس التي تعقد في بيوت المراجع بسيطة جداً بينما هي قدوة المجالس، وينبغي أن تكون منطلقاً للعلم والوعي، ولكني أقولها للتأريخ إن بعض مراجعنا رأيناهم يحبون

تلك المجالس العامة بالحضور الجماهيري بكلماتهم القيمة والتي يتناولون فيها قضايا المسلمين ومشاكلهم من خلال سيرة الحسين (ع) .

إن المنبر الحسيني مر بأدوار عديدة أشار إلى تلك الأدوار فضيلة الشيخ محمد مهدي شمس الدين في كتابه القيم (ثورة الحسين في الوجدان الشعبي) وإن كان الشيخ قد تحدث عن المآثم الحسيني وليس عن المنبر ولكن يمكن اعتبار تلك الأدوار أدواراً للمنبر لوجود الملازمة بين المآثم والمنبر، كما إنني وضعت كلمة المنبر بعد كلمة المآثم عندما اشعر إن الشيخ يريد من المآثم المعنى الذي يساوي المنبر.

الحدود الأولى :

أ) التوسع في عرض تفاصيل الأحداث ومسبباتها القديمة السابقة عليها مما يتصل بخلافة الرسول (ص) والسياسات التي اتبعت في عهد عثمان والسياسة الأموية بصورة شاملة طبعاً كل ذلك في الشعر، لذا أشار المؤلف إلى أسماء الشعراء أمثال سفيان بن مصعب العبدي (ت ١٢٠ و ١٧٨هـ) والكميت بن زيد الاسدي (ت ١٢٠هـ) وهما أول من نهج هذا الأسلوب في الشعر الرثائي، ثم ذكر بعد ذلك عبد السلام بن رغبان وديك الجن ودعبل الخزاعي والقاسم بن يوسف الكاتب والشريف الرضي والمرتضى وغيرهم، وهؤلاء من شعراء القرن الثالث وما بعده إلى نهاية القرن الخامس .

ب) نمو البعد الفضائي للمآثم - المنبر - الحسيني، فقد غدا المآثم - المنبر - يشتمل على ذكر فضائل أئمة أهل البيت وموقعهم البارز في تاريخ الإسلام

ووصايا رسول الله ومخالفة بعض الأمة لهذه الوصايا ويعتقد الشيخ إن هذه المرحلة بدأت في سنة ٦١هـ وامتدت إلى ما قبل سقوط بغداد في القرن السابع الهجري ويشير إلى أربعة نصوص بالإضافة إلى شعر الرثاء لتلك الفترة تعكس صورة المأتم - المنبر - الحسيني والنصوص هي :

مقتل الحسين لأبي مخنف وهذا النص موجود في تأريخ محمد بن جرير الطبري^(١) ، مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني .

ت ٣٥٦ ، روايات ابن اعثم أبي محمد أحمد ت ٣١٤ المنقولة في مقتل الحسين للخوارزمي^(٢) ، كتاب الإرشاد للشيخ المفيد محمد بن النعمان البغدادي ت ٤١٣ ومقتل الحسين للخوارزمي^(٣) .

الدور الثاني :

حافظ المأتم - المنبر - الحسيني في هذا الدور على العنصر الثالث وهو المأساة ونقد السلطة الأموية والعباسية وهو نقد نظري لموضوع غير موجود إذ إن الدولتين قد سقطتا .

ومن حيث التطور الشكلي فقد ظهر في الأمرين التاليين:
أ) المواعيد الزمنية أكثر ثباتاً وتنظيماً .

(١) أكد الكثير من المحققين أن كتاب مقتل أبي مخنف المتداول بأيدي الناس كتاب موضوع ومقتل أبي مخنف الصحيح موجود في كتاب الطبري - تأريخ الأمم والملوك - المؤلف .

(٢) أقول روايات ابن اعثم موجودة في كتابه الفتوح الذي طبع في الآونة الأخيرة بأربعة مجلدات فراجع .

(٣) ثورة الحسين في الوجدان الشعبي .

ب) غدا اللطم أصيلا في بعض المآتم الحسينية في العراق وإيران واما التطور النوعي في محتوى المآتم - المنبر - فان دليلنا في معرفة مظاهره في هذا الدور هو الكتب التالية : مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب السروي المازندراني، ت ٥٨٨، مثير الأحزان لابن نما، ت ٦٤٥ .
اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس الحلبي ، ت ٦٦٤ ، هذا بالإضافة إلى الأعمال الشعرية التي أنشئت في هذه الفترة كما ظهر هذا التطور النوعي في الأمور التالية :

- لغة المآتم - المنبر - : كانت لغة المآتم - المنبر - هادئة في الدور الأول وفي الدور الثاني كانت لغة المنبر المآتم - المنبر - عاطفية ففي الدور الأول كان هدفها تصوير أحداث الثورة فغدا هدفها في الدور الثاني إثارة النفسية والعاطفية لدى رواد المآتم - المنبر - الحسيني .

- عدم الدقة التاريخية : حيث كان التساهل في نقل الرواية لاسيما فيما يتعلق بالأفعال التي تؤدي إلى إثارة عاطفية ومن نماذج ذلك رواية زواج القاسم بن الحسين وهي رواية غير صحيحة لان القاسم كان يوم عاشوراء لا يزال صبيا لم يبلغ سن الزواج أولا ولم يرد في شأن الزواج أي نص يوثق به من المؤرخين .

- الزهديات : لقد تأثر المآتم - المنبر - الحسيني كأية مؤسسة ثقافية اجتماعية بالتغيرات والطوارئ التي شهدتها المجتمع الإسلامي في الفترة الواقعة بين سقوط بغداد وبدايات العصر الحديث وهي المساحة الزمنية التي يشغلها الدور الثاني المآتم - المنبر - الحسيني وقد تأثر المآتم - المنبر - بما حل بالإنسان

المسلم ومجتمعه في هذه الفترة: الانحلال السياسي، والتخلف الاقتصادي، والحروب الأهلية، والمجاعات والأوبئة وقد نما من هذا المناخ الحافل بأسباب بؤس الإنسان وبؤس المجتمع تيار ثقافي فلسفي هذا البؤس وهو تيار التصوف المرضي الذي قدم للإنسان المسلم فلسفة تستمد قوة تأثيرها وفاعليتها من دعوى إنها دينية تركز على نصوص من الكتاب والسنة وممارسات ممثلي الإسلام الكبار وهي دعوى لا أساس لها من الصحة على الإطلاق، نشأت من الجهال بروح الإسلام العامة ويرى الأستاذ شمس الدين إن هذه الفلسفة قد طغت على الدور الثاني ويذكر لذلك مثالا من كتاب المنتخب للطريحي: (فنزهو أيها الأخوان أنفسكم عن الركون إلى الدنيا وإياكم وطلب الرياسة والعليا فإنها دار لا يدوم فيها نعيم ولم يبق أحد من شرها سليم وكيف يرضى العاقل بالدنيا دارا بعد آل الرسول وسلالة الطاهرة البتول ، هذه والله دار غدرت بمواليها فلا خير والله فيها إلا من اتخذ فيها الزاد ليوم المعاد،...).

فقد استمرت هذه النظرة الزهدية وهذا الموقف السلبي طيلة فترة القرون المظلمة عند المسلمين وامتد إلى العصر الحديث في بعض الأرياف^(١).

الدور الثالث :

يرى الأستاذ شمس الدين إن هذا الدور يبدأ من أوائل العصر الحديث حتى الوقت الحاضر كما يؤكد على إن كتب المقاتل التي كتبت في هذه المرحلة لم تعد تصلح مصدراً لرصد التغيرات الشكلية والنوعية التي دخلت على المأتم - المنبر - الحسيني إلا في حدود ضيقة فأن التغيرات النوعية التي دخلت على المأتم - المنبر - ذات طبيعة تختلف اختلافا أساسيا عن طبيعة كتب المقتل فهذه الكتب مختصة بحكاية قصة الواقعة .

(١) ثورة الحسين في الوجدان الشعبي ، ص ٢٥٧ وما بعدها .

من المظاهر الواضحة لهذا الدور زيادة عدد الخطباء وكثرة المناسبات لإقامة المجالس وعلى صعيد النوعية برز الخطباء المثقفون بالثقافات المتنوعة حتى غدا الخطيب يتفاعل مع قضايا العصر فيتناول قضايا الشعوب المستضعفة ، كما إن لغة المنبر قد طرأ عليها تغيير واضح فقد غدت لغة بسيطة سهلة قريبة إلى الإفهام بدل السجع والتكلف في الكلام، كما يلاحظ على المنبر الحسيني الحديث الدقة في طرح القضايا التاريخية والتحليل الرائع لحركة الإمام الحسين (ع) وتناول القضايا العلمية كعلم الفلك والكيمياء والفيزياء وعلم الحيوان والطب وغيرها .

وفي إحدى المراحل التي مرت بها الأمة الإسلامية والتي عرفت بمرحلة المد الشيوعي قام الخطباء بدور عظيم لمواجهة الإلحاد الذي عمّ البلاد وقد نجحوا في إعادة الأمة إلى طريق الإسلام وذلك من خلال دراستهم بشكل مستوعب الأفكار الشيوعية والاشتراكية لنقضها وبيان الرأي الإسلامي فقد تسلح الخطيب آنذاك بسلحين وهما معرفة الفكر الإسلامي بشكل دقيق ودراسة الفكر الشيوعي والتعرف على نقاط ضعفه، كما قام المنبر الحسيني بمهمة تربية الأمة تربية أخلاقية واجتماعية وسياسية.

تطوير المنبر الحسيني الحديث :

لقد ساهم جماعة من الخطباء والعلماء بتطوير هذه المؤسسة المباركة أذكر منهم:

١- السيد محسن الأمين العاملي : الذي رأى إن الخطباء في

سورية ولبنان وباقي البلاد الشيعية يقرؤون على الناس الخرافات والأباطيل مما يسيء إلى شخصية قادة الإسلام ويسيء إلى حقيقة الإسلام فقام رحمه الله

بكتابة مؤلفه القيم المجالس السنية وألزم الخطباء في سورية ولبنان - ممن له تأثير عليهم - بقراءة ما ورد فيه من روايات وقصص وتحليلات للوقائع والأحداث، وواصل الكتابة لتطوير المنبر الحسيني فكتب كتابه الدر النضيد ولواعج الأشجان في مقتل الحسين وغيرها من كتبه النافعة وقد لقي معارضة شديدة من قبل جماعة من المعممين الذين رأوا في كتابه (التنزيه في أعمال الشبيه) تهديداً لاستمرار الشعائر الحسينية وإن كان الكثير من العلماء قد أيد السيد الأمين في اصلاحته، وأرى من المناسب إن أضيف إلى كتابي مدورد في مجلة النور عن رجل العلم والعمل السيد الأمين في ما يتعلق باهتماماته بالخطابة والخطباء قال كاتب المقال : - الأستاذ إبراهيم العاتي- كان للسيد موقف في هذا الخصوص -الخطابة واقامة العزاء- طفى على ماعداه، وصار لا يذكر اسمه عادة إلا ويشار إلى موقفه من العزاء الحسيني وضرورة تخليصه مما علق به من الشوائب والبدع ، فينقسم الناس حينئذٍ إلى مؤيد ومعارض .

كان يؤله ما يورده الذاكرون أو الخطباء من أحاديث ليس لها سند تاريخي، بل أكثرها موضوع أو مكذوب، فضلاً عن إضافتهم روايات وأخباراً وصوراً وعبارات محزنة لمجرد تهيج السامعين، وجرياً على منهجه الإيجابي الذي لا يكتفي بالنقد وحسب، فإنه وجد إن أفضل طريق لإصلاح الخلل في المنبر الحسيني هو إن يؤلف الكتب التي تتناول واقعة الطف وسيرة الأئمة ومصائبهم تستمد مادتها التاريخية من أدق المصادر وأوثقها، فألف كتاب -لواعج الأشجان في مقتل الحسين(ع)- انتقاه من الكتب المعتمدة ورتبه -أحسن ترتيب، ثم اردفه بكتاب -أصدق الآثار في قصة اخذ الثار-، وبكتاب

-الدر النضيد في مرآتي السبط الشهيد-، ثم رأى إن تدريب الخطباء على قراءة ما هو صحيح وموثق لا يتم إلا بوضع كتاب خاص لهذا الغرض، فألف كتابه المهم - المجالس السنية في مناقب ومصائب العترة النبوية- في خمسة أجزاء ، الأربعة الأولى خاصة بالحسين (ع) والخامس خاص بلنبي (ص) والزهاء وباقي الأئمة (ع)، وراجت تلك الكتب رواجاً كبيراً ونفدت طبعاتها ، وكان لها الأثر الكبير في نشر الوعي بين الخطباء، وتصحيح الكثير مما يقرأون كي يعرف الناس سيرة أهل البيت (ع) على حقيقتها، دونما مبالغة أو تهويل .

ولم يكتف السيد بذلك بل فرض على الخطباء رقابة عسيرة تولاهها بنفسه منعتهم أن يسترسلوا في التهويل والتهويل ، وكان إذا سمع من أحدهم وهو على المنبر كلمة لم ترضه لا يتوانى عن أن ينبهه في الحال ، وان يقطع عليه خطابه ليصححها في أذهان الجمهور المستمع ، ثم يأمر الخطيب بمعاودة الكلام ، ولم يكن يستطيع مع الجيل أكثر من هذا، لذلك عمد إلى اختيار جيل جديد من الخطباء رباه بيديه وخرّجه بنفسه، فكان أفرادهم من أحسن الناس ثقافة وتعمقا في البحث، بل اختار فيهم من يحسن لغة أجنبية، ليكون أكثر إحاطة بشؤون العصر وتطوارته، ولما تكامل هذا الجيل ذهب الجيل الماضي وخلا الميدان للخطباء الجدد^(١) .

(١) مجلة النور ، العدد -٧٢

٢- جماعة العلماء المجاهدين في العراق : حيث أسسوا

معهداً لتخريج الخطباء والمبلغين وقد استمر هذا المعهد لعدة سنوات وتخرج منه كثير من الخطباء الشباب^(١)، وكان معهداً نموذجياً تدرس فيه العلوم المختلفة اذكر بعضاً منها: فن الخطابة، علم النفس، علوم القرآن، الفقه المقارن بين المذاهب، التاريخ الإسلامي، الثقافة والفكر الإسلامي، العقائد، الأدب والنصوص، فنج البلاغة، وغيرها من الدروس الأخرى ولكن - للأسف الشديد - فقد تقوض ذلك المشروع الكبير بسبب انقطاع الإمداد المالي عنه.

٣- الدكتور احمد الوائلي : مؤسس المنبر الحسيني الحديث

وعميد الخطباء. كان المنبر الحسيني قبل الوائلي في افضل حالاته عبارة عن قصيدة في رثاء الحسين وخطبة من خطب فنج البلاغة للإمام علي(ع) مع شرح بسيط لتلك الخطبة وإشارة إلى مسائل الموت والآخرة والوعظ والإرشاد ثم يختم الخطيب مجلسه بذكر الحسين(ع)، إلا إن المنبر الحسيني بفضل الدكتور الوائلي اصبح شيئاً آخر لثقافة الوائلي المتنوعة ومنهجه الجديد ذي الخصائص المتعددة ومن خصائص منهجه :

(١) منهم المؤلف الذي درس فيه لعدة سنوات بعد تخرجه منه .

❖ الاهتمام بالبحوث القرآنية: ففي اغلب الأحيان يتناول نصاً قرآنياً ثم يأخذ بالبحث اللغوي والآراء التي تذكر في كتب التفسير وكل ما يتعلق بذلك النص ثم يتبنى الرأي الذي يراه صحيحاً .

❖ الاهتمام بمسائل العقيدة وتنقيتها مما ادخله فيها الغلاة والجهال .

❖ الاهتمام بموضوع الإمامة والخلافة والتركيز على فضائل

أهل البيت (ع).

❖ الإهتمام بطرح المسائل العلمية وآخر ما تم من اكتشافات حديثة

والتأكيد على رأي الإسلام فيها وفي بعض الأحيان يبين إن الإسلام قد سبق الحضارة الحديثة باكتشافها كل ذلك يحتاج إلى معرفة واسعة بتفاصيل الإسلام وللوائلي اطلاع واسع على كثير من العلوم الحديثة حتى إن المستمع يظن انه من أهل الاختصاص فيها .

❖ الإهتمام بتربية المجتمع تربية إسلامية صافية ليس فيها إفراط أو

تفريط والمجتمع يتفاعل مع منبر الوائلي حتى أصبحت آراءه متبناة من قبل مستمعيه وعشاق منبره فطالما ردد الجمهور آراءه واعتبرها اصح الآراء .

❖ الإهتمام بالأدب كشاهد لتعزيز الفكرة إلى جانب القرآن والسنة

وسيرة عظماء الإسلام والوائلي ذواق يعرف كيف ينتقي شواهد .

❖ الإقلال من السيرة المفجعة (المصيبة) بخلاف ما كان شائعاً قبل

الوائلي في المدرسة الخطابية القديمة التي تهتم بالمصائب أكثر من اهتمامها بالمسائل الأخرى ومنهج الوائلي يعتبر ثورة على المدرسة الخطابية القديمة .

❖ التحليل الواعي لقضايا الإسلام عموماً ولقضية الحسين خصوصاً ولأهمية أفكار الوائلي فإن جيلاً من الخطباء نشأوا على محاضراته وأشرطته وقد نجحوا خطابياً وإن لم يكونوا مبدعين، والخلاصة إن للوائلي تأثيراً واضحاً على كثير من الخطباء، ولا سيما الجيل الذي نشأ بعده .

هذه بعض خصائص المنهج الخطابي لشيخنا الوائلي، والوائلي بحق طور هذه المؤسسة المباركة وبذلك يكون الوائلي أحد العلماء الخطباء العاملين الذين ساهموا بتخليد ثورة الحسين (ع) بتطويره لمنبر الحسين (ع) .
كما لا يفوتني أن أذكر إن هناك طاقات شابة من خطبائنا لهم قيمتهم ومكانتهم في عالم الخطابة ولهم ثقافة جيدة وفكر واسع يمارسون دورهم في توعية الأمة وتوجيهها ولهم الفضل في عملية الإصلاح الاجتماعي في الأمة .

كما ساهم بتطوير المنبر الحسيني أولئك الذين كتبوا عن ثورة الحسين بأقلام واعية شعراً ونثراً، فإنه نذر البعض جزءاً من حياته للكتابة والخطابة في سيرة أبي الضيم جزا الله الجميع خيراً. وأرى إن الجزء الأكبر من عملية التطوير للمنبر الحسيني يمر عبر تطوير ثقافة الخطيب والفهم الصحيح لرسالة المنبر والوعي لقضايا العصر، فإذا ما تمت هذه العناصر الثلاثة أصبح المنبر متطوراً يواكب حركة التطور التي يشهدها العالم كل يوم .

إن المنبر الحسيني قام بدور كبير في حفظ ثورة الحسين (ع)، فمن خلال المنبر تليت مئات الآلاف من أبيات الشعر الذي يحمل معانٍ سامية، ومن خلال المنبر ألقى من الخطب الهادفة ما لا يحصى كثره، ومن خلال المنبر تحركت ثورات جماهيرية كثيرة تطالب بحق الحسين وأهل بيته وأصحابه وتندد بالحكام الظلمة، إن المنبر الحسيني لعب دوراً هاماً في إحياء الإسلام في النفوس إلى جانب إحياءه للقضية الحسينية لذا لا بد من دعم المنبر الحسيني وتطويره^(١) لأنه أهم وسيلة نستطيع من خلالها إحياء مبادئنا وقيمنا المقدسة .

أهداف المنبر الحسيني

إن للمنبر أهدافاً يراد تحقيقها وقد أوضح الإمام السجاد (ع) مؤسس المنبر الحسيني تلك الأهداف عندما قال ليزيد: أتأذن لي أن أرقى هذه الأعداء فأتكلم بكلام فيه الله تعالى رضى وهؤلاء (الناس) أجر وثواب^(٢). إذن المنبر مسؤولية ورسالة فيها جانبان إلهية المنبر وإنسانيته، لأنه عمل عبادي يجب إن يكون خالصاً لوجه الله تعالى كما هي الصلاة

(١) أدعو الحوزة العلمية ومراجع الدين إلى الاهتمام بالمنبر لأنه لساهم والترجمان لأفكارهم.

(٢) مقتل الحسين ص ٣٥٢ عبد الرزاق المقوم .

والصوم والحج وباقي العبادات، ولهذا لابد من توفر عنصر التقوى والورع في الخطيب ليكون منبره خالصاً لله عز وجل، وإذا كان لله فإن الله يباركه ويجعله ذا قيمة عند الناس .

ولأن المنبر للناس فلا بد من معرفة الناس المخاطبين فلا يستهين الخطيب بهم، يطرح عليهم مسائل خرافية وهم طبقة مثقفة، أو انه يطرح المسائل العلمية والناس يعيشون محنة سياسية أو أمنية، ينبغي إن يكون الخطيب عالماً بنوعية الناس ومشاكلهم وحاجاتهم ليكون المنبر طبقاً لحاجة الأمة، على الخطيب إن يكون واعياً في خطابه مع المجتمعات فالمجتمع العراقي يختلف في مشاكله عن المجتمع الخليجي والمجتمع اللبناني يختلف في مشاكله عن المجتمع السوري، وهكذا الذي يعيش في أوروبا غير الذي يعيش في بلاد المسلمين، لذا لابد من فهم المجتمعات ثم مخاطبتها على أساس ذلك الفهم، وأما ما يحدث بشكل عام إن الخطيب يحضر مادته الخطابية في بلده ثم يدعى إلى بلد آخر غريب في عاداته وتقاليده ومشاكله عن بلده فيقوم بطرح الأفكار التي لا تتناسب مع ذلك البلد .

إن المنبر مؤسسة إسلامية يراد من خلالها إحياء الإسلام وإحياء سيرة الرسول (ص) وأهل بيته (ع) في الحياة ، لذا ينبغي إن يكون بهذا المستوى وتلك مسؤولية الخطباء .

واخيراً أدعو زملاءنا الخطباء إن يفكروا جدّياً بمؤسسة تجمع شتاتهم وتنضج أفكارهم وتوحد أهدافهم وقد نادينا من قبل بتأسيس رابطة للخطباء ووضعنا بعض اللمسات مع جمع من الخطباء المتحمسين لهذا المشروع ولكن -للأسف الشديد - لم يكتمل مشروعنا لأسباب لا أود أن أذكرها وختاماً أقول داعياً الله تعالى:

اللهم ارحم من مضى من العلماء والخطباء والشعراء وجميع من خدم مبادئ الحسين(ع) واحفظ الباقيين منهم ووفقهم لمزيد من العمل والعطاء.

الفهرس

الاهدا.....

حين يدي القلاى

المقدمة..... ٥

الطفاة والثورة الحسينية ٦

تشويه صورة الحسين(ع) وثورته ٧

معاقبة من يذكر الحسين(ع) بخير ٨

المنع والمعاقبة لمن يزور المرقد الحسيني ٩

محاولات متواصلة لهدم المرقد الحسيني ١٠

محاربة الشعائر الحسينية ١١

العامل الاول ١٣

الارادة الربانية تخلد ثورة الحسين(ع) ١٤

ملاح الارادة الربانية في القضية الحسينية ١٦

ربط الجماهير بالحسين(ع) وثورته ١٦

تسخير الطاقات لصالح القضية الحسينية ١٧

دفع كافة الاخطار التي احاطت بالقضية الحسينية ١٩

٢١	العامل الثاني
٢٢	شخصية الحسين(ع) تخلد ثورته
٢٢	السيرة الذاتية
٢٤	الحسين(ع) ابن رسول الله(ص)
٢٧	نظرة المسلمين الى الامام الحسين(ع)
٢٩	العامل الثالث
٣٠	الامام الحسين(ع) يخطط بذكاء لخلود ثورته
٣٠	ترقب الحسين(ع) لموت معاوية
٣٣	التركيز الاعلامي لبيان الثورة واهدافها
٣٤	اختيار الحسين(ع) لاصحابه
٣٦	العامل الرابع
٣٧	الرسول محمد(ص) يخلد ثورة سبطه الحسين(ع)
٤٣	العامل الخامس
٤٤	عاشوراء مجمع الفرائد
٤٥	الحسين(ع) قائد الثورة
٤٦	اصحاب الحسين عليهم الرضوان
٤٨	المرأة في عاشوراء
٥١	الاطفال الشهداء
٥٤	الشيوخ الشباب
٥٤	عابس بن ابي شبيب الشاكري

٥٥	حبيب بن مظاهر الاسدي
٥٧	العامل السادس
٥٨	السيدة زينب والامام علي بين الحسين(ع) يخلدان ثورة الحسين
٥٨	الف : السيدة زينب
٥٨	ملاح من شخصية الحوراء زينب(ع)
٦٣	جهادها في ثورة الحسين(ع)
٧٠	باء : الامام علي بن الحسين(ع)
٨٠	العامل السابع
٨١	طبيعة المأساة وبشاعة الجريمة
٨٥	العامل الثامن
٨٦	العاطفة تخذل ثورة الحسين(ع)
٨٨	الموقف الاول
٨٩	الموقف الثاني
٨٩	الموقف الثالث
٩٠	اولاً : العاطفة ضرورة لدعم الفكر
	ثانياً: الاساليب المعبرة عن التعاطف الجماهيري مع ثورة
٩٢	الحسين(ع)
٩٤	الاتجاه الاول
٩٤	الاتجاه الثاني

٩٧	العامل التاسع
٩٨	الامة من أهل البيت يخلدون ثورة الحسين(ع)
٩٨	(١) نماذج من سيرتهم لاحياء القضية الحسينية
١٠١	(٢) حثهم المتواصل للامة لاحياء القضية الحسينية
١٠٥	(٣) وسائل احياء الثورة الحسينية
١٠٦	العامل العاشر
١٠٧	الحكام الظالمون يخلدون ثورة الحسين(ع)
١١١	العامل الحادي عشر
١١٢	الشعر يخلد ثورة الحسين(ع)
١١٢	اولاً : اهمية الشعر في الثقافة الاسلامية والانسانية
١١٤	ثانياً : شعر رجال الثورة الحسينية
١١٩	ثالثاً : شعر المحاربين للحسين(ع)
١٢٢	رابعاً : شعر ما بعد الثورة الحسينية
١٢٦	الجواهري في عينيته
١٢٨	مصطفى جمال الدين في بائيته
١٣٢	محمد جمال الدين الهاشمي
١٤٠	العامل الثاني عشر
١٤١	الثورات الشيعية تخلد ثورة الحسين(ع)
١٤١	ثورة أهل المدينة
١٤٦	ثورة التوابين

المختار وسيرته الذاتية	١٥٥
المختار في سيرته الذاتية	١٥٥
المختار شبهات وردود	١٥٨
الاولويات في الثورة	١٦٢
بداية الثورة	١٦٢
اعلان الثورة	١٦٤
الصراع بين المختار وآل الزبير	١٧٣
لماذا هزم المختار؟	١٧٧
هل كانت افعال المختار مع قتله الحسين موافقه للشرع؟	١٧٧
ثورة المختار تخلد ثورة الحسين(ع)	١٨٠
ثورة زيد بن علي عليهما السلام	١٨١ - ٢٠٠
ملكاته النفسية - عبادته - حبه للاصلاح الاجتماعي والسياسي والفكري - حرصه على الشهادة في سبيل الله - شخصية قرآنية - شخصية علمية - شجاته واباؤه - زيد التقى - هيئته وجلالة قدره - زيد في احاديث المعصومين - كيف ينظر زيد إلى ائمة الهدى من اهل البيت(ع) - رأي العلماء فيه - المذهب الزيدي - اسباب الثورة - ثورة زيد واثرها في تخليد ثورة الحسين (ع) .	
العامل الثالث عشر	٢٠١
الدول الشيعية تخلد ثورة الحسين(ع)	٢٠٢
الدولة الفاطمية	٢٠٢

٢٠٦	الدولة البويهية
٢١١	الدولة الحمدانية
٢١٧	الدولة الصفوية
٢٢٠	الجمهورية الإسلامية الإيرانية
٢٢٤	العامل الرابع عشر
٢٢٥	المنبر الحسيني يخلد ثورة الحسين (ع)
٢٢٥	تأريخ المنبر الحسيني
٢٢٧	المنبر الحسيني في ادواره
٢٣٣	تطوير المنبر الحسيني الحديث
٢٣٩	اهداف المنبر الحسيني
٢٤١	الفهرس
٢٤٦	المصادر

المصادر

- ١- الفتوح، ج ٥ - ج ٦ - ج ٨.
- ٢- الانتفاضات الشيعية .
- ٣- تاريخ الطبري ج ٥.
- ٤- حياة الامام الحسين بن علي(ع)،
ج ١-٢-٣.
- ٥- لسان الميزان ج ٣.
- ٦- بحار الانوار ج ٥٤.
- ٧- مقتل الحسين (ع).
- ٨- معجم رجال الحديث- ترجمة المختار .
- ٩- تنزيه المختار .
- ١٠- الكامل في التاريخ ج ٤ - ج ٨ .
- ١١- بحوث مع أهل السنة والسلفية .
- ١٢- حياة الامام زين العابدين(ع) .
- ١٣- مقاتل الطالبين .
- ١٤- زيد الشهيد .
- ١٥- ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية
وأثارها الإنسانية .
- ١٦- ثورة الحسين في الوجدان الشعبي.
- ١٧- الشيعة في الميزان .
- ١٨- تاريخ النياحة ج ١.
- احمد بن اعثم .
- هاشم معروف الحسني .
- محمد بن جرير الطبري .
- باقر شريف القرشي .
- احمد بن حجر العسقلاني .
- العلامة المجلسي .
- عبد الرزاق المكرم .
- السيد ابو القاسم الخوني .
- عبد الرزاق المكرم .
- ابن الاثير .
- مهدي الروحاني .
- عبد الرزاق المكرم.
- ابو الفرج الاصفهاني .
- محسن الامين .
- محمد مهدي شمس الدين .
- محمد مهدي شمس الدين .
- محمد جواد مغنیه .
- محمد صالح الشهرستاني .

- ١٩- تراث كربلاء . سلمان هادي الطعنه .
- ٢٠- اعيان الشيعة ج ١٧-١٨ . محسن الامين .
- ٢١- شرح شافية ابي فراس . محمد بن امير الحاج الحسيني .
- ٢٢- نهضة عاشوراء . الامام الخميني .
- ٢٣- الديوان . الدكتور مصطفى جمال الدين .
- ٢٤- المنتخب من الشعر الحسيني . علي اصغر المدرسي .
- ٢٥- من وحي عاشوراء . محمد حسين فضل الله .
- ٢٦- في رحاب الائمة (ع) . محسن الامين .
- ٢٧- ابو الشهداء . عباس محمود العقاد .
- ٢٨- معالم المدرستين . مرتضى العسكري .
- ٢٩- موسوعة كلمات الامام الحسين (ع) . مجموعة من المؤلفين .
- ٣٠- الوثائق الرسمية لثورة الامام الحسين (ع) . عبد الكريم القزويني .
- ٣١- إبصار العين في أنصار الحسين (ع) . محمد السماوي .
- ٣٢- ميزان الحكمة ج ٥ . محمدي ري شهري .
- ٣٣- مجلة الثقافة الاسلامية - تصدر عن المستشرية الثقافية الايرانية - دمشق . العدد ٥٠ .
- ٣٤- حول البكاء على الامام الحسين (ع) . محمد التستري .
- ٣٥- مقتل الحسين (ع) . ابو المؤيد-الموفق الخوارزمي .
- ٣٦- التاريخ الاسلامي . محمد تقي المدرسي .
- ٣٧- اللهوف في قتلى الطفوف . ابن طاووس .

- ٣٨- اخبار الزينبيات .
العبدلي .
- ٣٩- زينب الكبرى (ع) .
جعفر النقدي .
- ٤٠- الصحيح من سيرة النبي جعفر مرتضى .
الاعظم (ص) ج ١ .
- ٤١- ماذا في التاريخ ج ٥ .
محمد حسن القبيسي .
- ٤٢- نفس المهموم .
عباس القمي .
- ٤٣- كامل الزيارة .
ابن قولويه .
- ٤٤- مجلة النور - عدد ٧٢ .
مؤسسة الامام الخوئي - لندن
- ٤٥- زيد الشهيد .
عبد الرزاق المقرم .
- ٤٦- سيرة الائمة الاثني عشر، ج ٢ .
هاشم معروف الحسني .